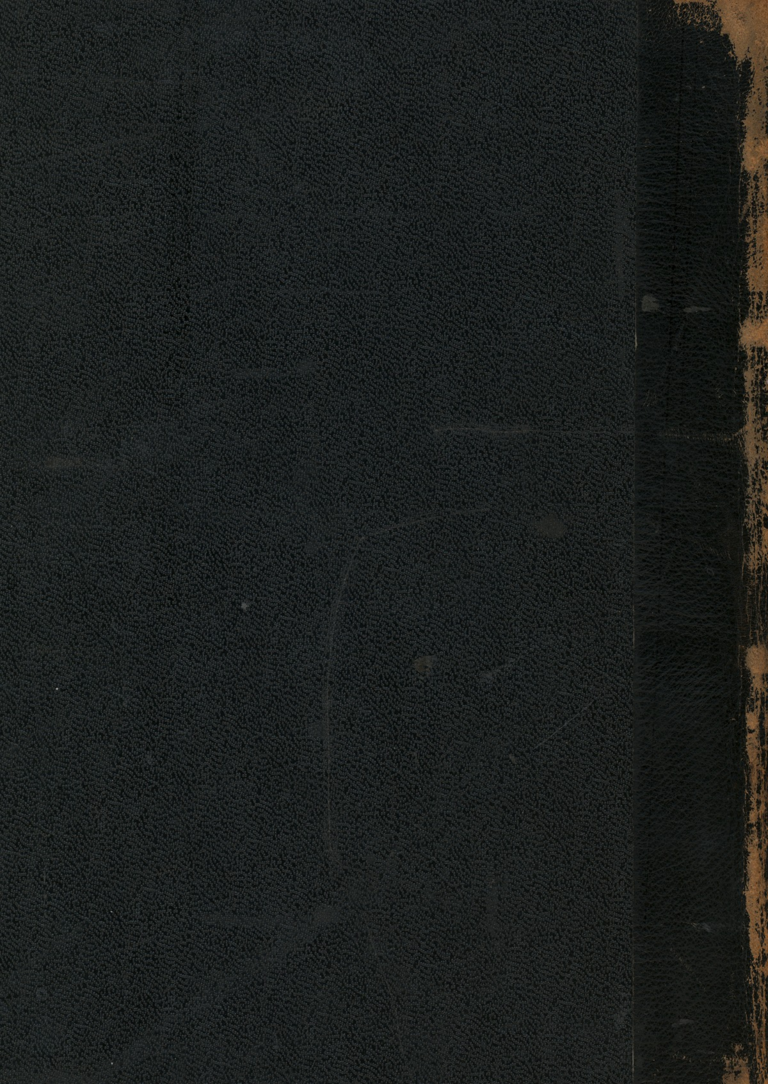


(الجزء الخامس) (المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام إن للإسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ هـ ١٨ يوليه سنة ١٩٣٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير المنار

بقلم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الأزهر

كانت مجلة المنار مرجعاً من المراجع الاسلامية العالية تحل فيها مشاكل العقائد والفقه وتحيط بالمسائل الاجتماعية الاسلامية وأخبار العالم الاسلامي وما فيه من أحداث وأمراض وعلل وكان صاحبها السيد رشيد رضا رحمه الله رجلا عالما عاملا غيورا مخلصاً للاسلام محبا لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح. وقف حياته لخدمة دينه والأمم الاسلامية ، وكان شجاعا فى الحق لا يهاب أحداً ولا يجامل ولا يحابى

نشأ على هذا واستمر فيه إلى أن لقي ربه واحتجبت بعد ذلك مجلة المنار

فأحس العالم الاسلامى بفداحة الخطب وشدة وقع المصاب فانه لا يوجد فيما أعلم الآن ذلك الرجل الذى له من سعة الاطلاع وحسن التدبير وحكمة الرأى وقوة الادراك فى السياسة الشرعية الاسلامية مايضارع به المرحوم السيد رشيد

ذلك ماض جليل نودعه مع الفخر به والأسى عليه والآن قد علمت أن الأستاذ حسن البنا يريد أن يبعث المنار ويعيده سيرته الأولى ، فسرنى هذا فان الأستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه يفهم الوسط الذى يعيش فيه ويعرف مواضع الداء فى جسم الأمة الاسلامية ويفقه أسرار الاسلام ، وقد اتصل بالناس اتصالا وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالاصلاح الدينى والاجتماعى على الطريقة التى كان يرضاها سلف هذه الأمة

(وبعد) فانى أرجو للاستاذ البنا أن يكون على سيرة السيد رشيد رضا وأن يلازمه التوفيق كما صاحب السيد رشيد رضا والله هو المعين عليه نتوكل وبه نستعين .

« روائع »

من قطعة للرافعى رحمه الله فى وصف الصحابة يفتحون مصر

إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل وإن نبيهم أطهر من السحابة فى ممائها وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها وإذا سلوا السيف سلوه بقانون وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون . . . ولأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي فأنهم جميعاً فى واجبات القلب وواجبات العقل الضمير الاسلامى فى الرجل منهم يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته

« افتتاح »

فى الميدان من جديد

بعونك اللهم وفى رعايتك وتحت لواء دعوتك المطهرة وفى ظل شريعتك القدسية وعلى هدى نبيك الكريم العظيم سيدنا محمد ﷺ تستأنف هذه المجلة « المنار » جهادها وتظهر فى الميدان من جديد

رحمة الله ورضوانه ومغفرته « للسيد محمد رشيد رضا » منشىء المنار الأول ومشرق ضوئها فى الوجود ، فلقد كافح وجاهد فى سبيل الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه وجمع كلمة المسلمين وإصلاح شئونهم الروحية والمدنية والسياسية وهى الأغراض التى وضعها أهدافاً لجهاده الطويل حتى جاءه أمر ربه بعد أن قضت المنار أربعين عاماً كانت فيها منار هداية ومنهج سداد وإرشاد

ولقد ترك السيد رشيد فراغه واسعاً فسيحاً وقضى وفى نفسه آمال جسام وشاهد قبل وفاته تطوراً جديداً فى حياة الأمة الاسلامية فاستبشر بهذا التطور الجديد وشام منه خيراً وأمل فيه كثيراً وعزم على أن يساير هذا التطور بالمنار ودعوة المنار وأن يجعل منها فى عامها الجديد (الخامس والثلاثين) لسان صدق لجماعة جديرة « بالدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين » تخلف جماعة الدعوة والارشاد وتقوم على الاستفادة بالظروف الجديدة التى تهيأ لها المسلمون فى هذا العصر ، فقد كتب رحمه الله فى هذا المعنى فى فاتحة هذا المجلد ما نصه :

«سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد فى أعلى مقصديها أو قياعدا التعليم الاسلامى المدرسى منه الذى ضاق زمان هذا العاجز عن السعى له وتولى النهوض به فتركه لمن بعده التوفيق الالهى له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوحيده ووحدة أهله وجماعته ، ولا يصلح له غيرهم .... ثم ذكر بعد ذلك طرفاً من تاريخ مدرسة

الدعوة والارشاد وما لقيت من عقبات ومما كسات انتهت بالقضاء على فكرتها الجليلة ثم قال بعد ذلك ... وجملة القول إنى على هذه التجارب وما هو أوجع منها وأنفع من أمر مشترك المنار وعلى ما أقر به من عجزى عن النهوض بالأعمال المالية الخاصة والعامة بالأولى وعلى دخولى فى سن الشيخوخة وضعفها لم أزدد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعيي لأهم أصول الاصلاح الاسلامى وتجديد أمر الدين بما يظهره على الدين كله حتى تعم هدايته وحضارته جميع الأمم .. ولم أيأس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقاً لبشارة رسول الله ﷺ بأنه «لا يزال فى أمته طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة» رواه الشيخان فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ من عدة طرق . وهذه الطائفة كانت فى القرون الأخيرة قليلة متفرقة . إنى منذ سنتين أكتب عناوين خيار الرجال المتفرقين فى الأقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصناعاتهم وأعمالهم لمخاطبتهم فى الدعوة إلى العمل وأرجو من كل من يرى من نفسه ارتياحا إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب إلينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم إلى أن تنشر دعوتهم الرسمية ـ وأهم ما يرجى من الخير لأمة محمد ﷺ فى هذا العصر الذى تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو فى تعارف هذه الطائفة القوامة على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الأمة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذى يرجى أن تثق به فهى لا ينقصها إلا هذا وقد طال تفكيرى فيه وعسى أن أبشرها قريبا بما يسرها منه ـ وأعجل بحمد الله تعالى أن تجدد لى على رأس هذه السنة ما كان لى ولشيخنا الأستاذ الامام (قدس الله روحه) من الرجاء فى مركز الأزهر . وهو الذى يعبر عنه فى عرف عصرنا بشخصيته المعنوية وهذا الرجاء الذى تجدد بتوسيد أمره إلى الشيخ محمد مصطفى المراغى عظيم .. كان الازهر كنزاً خفيا أو جوهراً مجهولا عند أهله وحكومته وعقلاء بلده لم يفطن أحد قبل الأستاذ الامام لامكان إصلاح العالم الاسلامى كله به والاستيلاء على زعامة الشعوب الاسلامية فى الدين والأدب

والفقه بإصلاح التعليم العام فيه ولكن تعليم الاستاذ الامام رحمه الله وأفكاره هما اللذان أحدثا هذا الرجاء فى طائفة من شيوخه والاستعداد فى جمهور طلابه ولم يبق إلا الجد ولله الحمد ، انتهى

هكذا قضى السيد محمد رشيد حياته وفى نفسه هذه الآمال الجسام :

أن يكون المنار بعد سنته هذه لسان حال جماعة للدعوة إلى الاسلام وأن تتألف هذه الجماعة من ذوى العقل والدين والمكانة فى الشعوب الاسلامية وأن يشد الأزهر أزر هذه الجماعة وتشد أزره فيكون من تعاونهما الخير كله

ولقد كان السيد رحمه الله صادق العزم مخلص النية فى آماله هذه فاستجابها الله له وشاءت قدرته وتوفيقه أن تقوم على المنار « جماعة الاخوان المسلمين » وأن يصدره ويحرره نخبة من أعضائها وأن ينطق بلسانها ويحمل للناس دعوتها

يا سبحان الله . إن جماعة الاخوان المسلمين هى الجماعة التى كان يتمناها السيد رشيد رحمه الله ولقد كان يعرفها منذ نشأتها ولقد كان يثنى عليها فى مجالسه الخاصة ويرجو منها خيرا كثيرا ولقد كان يهدى اليها مؤلفاته فيكتب عليها بخطه «من المؤلف الى جماعة الاخوان المسلمين النافعه » ولكنه ما كان يعلم أن الله قد ادخر لهذه الجماعة أن تحمل عبئه وأن تتم ما بدأ به وأن تتحقق فيها أمنية من أمانيه الاصلاحية وأمل من آماله الاسلامية لقد تمنى السيد رشيد رضا فى الجماعة التى اشترطها أن تقوم بأعلى مقصدى جماعة لدعوة والارشاد أى ماعدا التعليم المدرسى ثم رجا أن توفق الجماعة الجديدة لهذا أيضا وستحقق جماعة الاخوان المسلمين هذا الرجاء بتوفيق الله فان إصلاح التعليم المدرسى الرسمى من أخص مقاصدها وإن أثرها فى طلاب الجامعة المصرية والمدارس المدنية من ثانوية وخصوصية لعظيم وسنواصل الجهد حتى نصل إلى الغاية إن شاء الله ويصبح التعليم كله مركزا على أصول سليمة مستمدة من روح الاسلام وسماحة الاسلام وتعاليم الاسلام وحضارته ومجده والله المستعان . ولقد أدرك الاخوان المسلمون منذ نشأت دعوتهم أهمية التواصل بين عقلاء المسلمين فأخذوا

يعملون لهذا وأصبح لهم بحمد الله عدد عظيم في كل قطر يعطف على فكرتهم ويؤيد دعوتهم ولقد اقترح علينا أخونا المفضال السيد أنيس أفندي الشيخ من وجهاء بيروت أن نعمل ما عمله السيد رشيد فنجمع عناوين ذوى المكانة من عقلاء العالم الاسلامى وتتصل بهم ونكتب في جرائدنا عنهم حتى يتعرف بعضهم إلى بعض والآن ننتهز هذه الفرصة فنوجه الرجاء الذى وجهه صاحب المنار من قبل إلى كل من يأنس من نفسه الغيرة على الاصلاح الاسلامى والاستعداد للعمل له من رجالات المسلمين أن يكتب الينا عن الناحية التي يؤمل أن يعمل فيها وحبذا لو تكرم فأضاف إلى ذلك إرسال صورته الشخصية وسنفرد لنشر هذه العنوانات والصور صحيفة خاصة بالمنار نسميها (صحيفة التعارف) بين أنصار الدعوة إلى الاسلام حتى إذا تكامل جمع يعتمد عليه فكرنا في الطريقة المثلى لتبادل الآراء والافكار

ولقد أدرك الاخوان كذلك منذ نشأت دعوتهم ما للأزهر من شخصية معنوية وأنه أعظم القوى أثرا في الاصلاح الاسلامى لو توجه اليه فاعتبروا أنفسهم عونا له في مهمته وتوثقت الروابط القوية بينهم وبين شيوخه وطلابه وكان من هؤلاء الفضلاء ما بين علماء وطلبة طائفة كريمة لها أبلغ الأثر في نشر دعوة الاخوان وخدمة فكرتهم التي هى في الحقيقة أمل كل مسلم غيور وواجب كل مؤمن عاقل

وإننا لنرجو أن نكون أسعد حظا من صاحب المنار رحمه الله في حسن معاملة المشتركين فيها فان مال الدعوة مهما كثر قليل بالنسبة لنواحى نشاطها وتشعب أعمالها فليقدروا هذه الحقيقة وسيجدون ما ينفقون في هذه السبيل عند الله هو خيرا وأعظم أجرا

ستعود المنار ان شاء الله إلى الميدان تناصر الحق في كل مكان وتقارع الباطل بالحجة والبرهان وشعارها الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه وجمع كلمة المسلمين والعمل للاصلاح الاسلامى في كل نواحيه الروحية والفكرية والسياسية والمدنية . ولقد كان للمنار خصوم وأصدقاء شأن كل دعوة إصلاحية فأما

أنصارها فنرجو أن يجدوا فى مسلكها الجديد ما يعزز صداقتهم لها وصلتهم بها وأما خصومها فان كانت خصومتهم للحق بالحق فاننا على استعداد تام للتفاهم معهم على أساس كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل لخدمة هذه الحنيفية السمحة

لم يكن الشيخ رشيد رحمه الله معصوما لا يجوز عليه الخطأ فهو بشر يخطىء ويصيب ولسنا ندعى لأنفسنا العصمة فنحن كذلك وما من أحد إلا ويؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا نريد أن نعرف الحق بالرجال ولكننا نريد أن نعرف الرجال بالحق ومتى كان ذلك رأينا جميعا ومتى كان شعارنا أن نرد التنازع الى الله ورسوله كما أمرنا فقد اهتدينا ووصلنا إلى الحقيقة متحابين وانقضت الخصومة وولى الباطل منهزما زهوقا

على هذه القواعد ندعو الامة والهيئات الاسلامية جميعا إلى التعاون معنا سائلين الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه والله حسبنا ونعم الوكيل

حسن البنا

روائع

« إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء . طبيعة تعمل فى طبيعة . فليس يمضى غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها . وهو بذلك فوق السياسات التى تشبه فى عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر . . . شتان بين عمل وعمل وإن كان لون يشبه لونا »

الرافعى فى وحى القلم

« لا تكون خدمة الانسانية إلا بذات عالية لا تبالى غير سموها ـ الأمة التى تبذل كل شىء وتستمسك بالحياة جبنا وحرصا لا تأخذ شيئا ، والتى تبذل أرواحها فقط تأخذ كل شىء »

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

بهذه الأوصاف قدم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تفسير المنار للناس كما كان يقدمه بأنه التفسير الذي فسر به القرآن من حيث هو هداية عامة للبشر ورحمة للعالمين جامع لأصول العمران وسنن الاجتماع وموافق لمصلحة الناس في كل زمان ومكان بانطباق عقائده على العقل وآدابه على الفطرة وأحكامه على درء المفاسد وحفظ المصالح

ولقد بدأ هذا التفسير حكيم الاسلام الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده على هيئة دروس يلقيها فى الأزهر على نخبة من خيرة الطلاب وكان تلميذه السيد رشيد يلخص مايسمع من هذه الدروس وينشر هذه الملخصات تباعا فى المنار ثم استقل بعد ذلك بالتفسير مسترشداً بطريقة أستاذه مجتهداً أن يكون تفسيره للقرآن الكريم محققاً لهذه الأوصاف التى صدره بها حتى وصل إلى قوله تعالى (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولىي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) فكانت آخر آية كتب فيها ثم أدركته الوفاة

ولقد أتم الأستاذ السلفى المحقق الشيخ بهجة البيطار فى الجزأين اللذين صدرا بعد وفاة صاحب المنار بقية سورة يوسف وتوقفت المجلة عن الصدور حتى تعرضت للنهوض بهذا العبء جماعة الاخوان المسلمين وانتدبنى أعضاء مكتب الارشاد العام لكتابة التفسير مع رياسة التحرير فلم أر بدا من النزول على حكمهم والامتثال لرأيهم احتراما للجماعة وإيثاراً للطاعة رغم المشاغل الكثيرة والأعمال المتراكمة

سأكتب التفسير فى المنار مستمدا من الله تعالى الحول والقوة

وسأحاول أن يكون فى هذه الحدود المرسومة - سلفيا- يتجه القصد فيه أول ما يتجه إلى استجلاء روح القرآن واستطلاع مقاصده فى بعد عن المماحكة اللفظية و المجادلة الشكلية الصناعية ، كما كان يفهم السلف رضوان الله عليهم كتاب الله — أثريا — يستمد من هذه الثروة المباركة التى تركها لنا الرواة الصادقون عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الأكرمين ومن تبعهم باحسان — مدنيا يربط قواعد الحضارة الاسلامية التى وضعها القرآن الكريم بالأصول الصالحة لهذه المدنية الحديثة ويبين فضل الأصول القرآنية على ما ابتدع الناس لأنفسهم من أصول جرت عليهم الشقاء والوبال . فليست مدنية هذا العصر شرا كلها وليست خيراً كذلك والقرآن الكريم خير كله فعلى ضوئه نتبين الصالح من نظم الاجتماع وغير الصالح - عصريا - يصل روح القرآن الخالد بروح هذا العصر ويقرب فكرة القرآن المشرقة إلى العقل العصرى فى أسلوب قريب المأخذ سريع الافادة — اجتماعيا — يعرض لمشاكل الاجتماع وأصوله النافعة ويبين حلولها وصلاحيتها كما جاءت من لدن الحكيم الخبير — سياسيا — يصور الأمة المسلمة المثالية والأمة المسلمة الحالية ويكشف عن الفرق بين الحالين ثم يشخص الداء ويصف الدواء للحاكم والمحكوم على السواء

على هذه الأصول سأكتب تفسير المنار إن شاء الله فان وفقت فمن الله وهو ولى التوفيق وإن كانت الأخرى فحسبي أن حاولت أداء الواجب واجتهدت فى تحرى الفائدة ورجائى إلى القراء الكرام أن يتكرموا ببيان ما يبدو لهم من ملاحظات حتى نتعاون جميعاً على الوصول إلى الكمال الممكن والله حسبنا ونعم الوكيل .

« ســـورة الرعد »

يرى بعض العلماء أن من حرمة القرآن وتوقيره ألا يقال سورة النحل

وبسورة الرعد وسورة البقرة الخ ولكن يقال السورة التى يذكر فيها النحل والسورة التى يذكر فيها الرعد وهكذا . ولقد جرى على ذلك شيخ المفسرين الطبرى فعنون لهذه السورة فى تفسيره بقوله « أول السورة التى يذكر فيها الرعد » وقد رد القرطبى على من قال بهذا الرأى فقال : هذا يعارضه قوله ﷺ « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى كل ليلة كفتاه » أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود — ولعل هذا هو الأقرب إلى سماحة الاسلام وابتعاده عن التعقيد الشكلى وفى اللغة والمجاز مندوحة:

مكان النزول

قال ابن الجوزى : اختلفوا فى نزولها على قولين: أحدهما أنها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة ، وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية إلا آيتين إحداهما قوله تعالى « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » والأخرى قوله تعالى « ويقول الذين كفروا لست مرسلا » والقول الثانى أنها مدنية رواه عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد ، وروى عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الخ » وقال آخرون المدنى منها قوله « هو الذى يريكم البرق إلى قوله تعالى « له دعوة الحق » وقال آخرون : نزلت آية منها بالجحفة وهى قوله تعالى (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى) الآية وتكاد الطبعات فى المصاحف تجمع على أنها مدنية نزلت بعد سورة محمد ﷺ

ويلاحظ اضطراب الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تحديد المكى والمدنى منها ولعل ذلك من اشتباه الأمر على الرواة

والذى يتفق مع القواعد العامة فى تعرف المكى والمدنى أن معظم هذه السورة الكريمة مكى فقد جعل العلماء من علامات المكى غالباً أنه يتعرض للعقائد وأدلتها من النظر فى الكون واستجلاء عجائب صنع الله فيه مع الزجر والوعيد وبيان جزاء المخالفين والمؤمنين لأن ذلك هو الموافق لحال المخاطبين

من الكفار والمشركين ، أما المدنى فغالبه : تقص فيه الأحكام التفصيلية من عبادات ومعاملات وغيرها ، وأيضاً فمن علامات المكى أن يغلب فيه الخطاب والتعبير بيأيها الناس ونحوها من ألفاظ العموم على حين أن الخطاب والتعبير يغلب فى المدنى أن يكون بيأيها الذين آمنوا ونحوها . والناظر فى مقاصد السورة الكريمة يراها بحال المكيين وموقفهم أخلق فنحن نرجح القول بمكية معظمها والله أعلم

وعدد آياتها ثلاث وأربعون عند الكوفيين وخمس وأربعون عند الشاميين والسبب فى ذلك اختلافهم فى أن الآية الأولى « المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق إلخ أوإن « المر » وحدها آية «وتلك آيات الكتاب» آية ثانية وما بقى بعد ذلك آية ثالثة ، فعلى الأول هى ثلاث وأربعون ، وعلى الثانى هى خمس وأربعون مع الاتفاق على جواز الوقف بل على استحسانه فى كل موضع من هذه المواضع .

المقاصد العامة فى السورة

عرضت السورة الكريمة لتقرير عظمة الخالق وإثبات المعاد والرد على منكريه مع التقديم لذلك بعرض الأدلة من ظواهر هذا الكون العجيب ، والتقفية بضرب الأمثلة الرائعة لكل من الحق والباطل

ثم عرضت بعد ذلك لقسمى المؤمنين والمخالفين وأوصاف كل منهما والأخلاق التى تنبتها فى نفسه العقيدة وتنميها ، وجزاء كل من الفريقين فى الدنيا والآخرة ثم تثبيت الرسول ﷺ وارتقاب يوم الفصل الذى يعلم فيه الجاحدون لمن عقبى الدار

وتستطيع أن تجمل هذه المقاصد السامية فى أنها إثبات التوحيد والمعاد وبيان ماينتج من الايمان بهما من أخلاق فاضلة وجزاء حسن كريم والمقابلة بين ذلك وضده كما هى عادة القرآن

المناسبة بين هذه السورة الكريمة وماقبلها

وتستطيع من ذلك أن تلمس المناسبة بين هذه السورة وبين السورة التى قبلها ، ففى السورة التى قبلها أجمل يوسف عليه السلام عقيدة التوحيد فى قوله: « ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » الآيات ، وفى هذه السورة أفاض فى بيان هذه العقيدة وتدعيمها بالأمثلة الواضحة والبراهين والأدلة

وفى السورة التى قبلها تناول بالتحليل نفوس أخوة يوسف وما استولى عليها من أخلاق . إذ ذاك دفعتهم إلى ما فعلوا بأخيهم ثم ماكان بعد ذلك من توبتهم ومسامحته إياهم واستغفار أبيهم لهم ، وفى هذه بسط لأخلاق المؤمنين كالتأكيد لما ذكر هنالك والتبيين له

وفى سورة يوسف أجمل الاشارة إلى مافى الكون من روائع الآيات وإن أعرض الناس عنها ولم يكلفوا أنفسهم عناء النظر فيها فذلك قوله تعالى : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » — وفى هذه السورة الكريمة تناول هذا الاجمال بالتفصيل المبين ، فذكر من آيات الله فى السماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والماء والنبات والرعد والبرق الخ ما يلفت الأبصار الزائغة ، ويسترعى الأفئدة الغافلة المعرضة

ولما كانت سورة يوسف قد تناولت بالبيان والتفصيل ماكان من جدود اليهود والنصارى وهم أبناء يعقوب بالنسبة لأخيهم ثم ختمت بأن فى قصص هؤلاء وغيرهم من أنبياء الله الذين قص الله من نبئهم على رسوله عبرة لأولى الألباب ، وكان ذلك مظنة اعتراض من اليهود على عادتهم فى التحريف والعناد جاءت فاتحة سورة الرعد مؤكدة لكل هذه المعانى فذلك قوله تعالى : «والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » وبذلك ينقطع عليهم سبيل الاعتراض ويتقرر المعنى فى نفس القارىء والسامع ، ولما كان ختام سورة يوسف قد عرض لحقيقة الدعوة القرآنية وسبيلها فى قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) مع بيان أن هذه

الدعوة ليست بدعا من دعوات المرسلين ، ولا مخالفة لما جاءوا به ، وكانت المناسبة تامة بين السورتين ، فقد جاء كذلك فى ختام سورة الرعد عرض لهذه الدعوة الكريمة فى قوله تعالى : « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب » ثم ذكر بعدها طرفاً آخر من شئون المرسلين من قبل لبيان أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن فى أحواله بدعا منهم فقال : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) وإذا نظرنا إلى أن سورة يوسف كلها جاءت تفصيلا لما وقع من ذرية يعقوب وأبنائه عليه السلام رأينا أن ورود هذه الآية الكريمة فى سورة الرعد إجمال فى الدليل ينكىء على ذلك وسيأتى التفصيل فالمناسبة تامة ولاشك

وثم وجوه أخرى من المناسبات يطول بنا الأمر إذا أردنا أن نتقصاها ، وسيأتى بعضها خلال التفسير إن شاء الله

(المر تلكَ آياتُ الكتابِ والذى أُنزلَ إليكَ من ربكَ الحقُّ ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لايؤمنونَ)

(المر) الكلام فى فواتح السور بهذه الحروف الكريمة تقدم مسهباواختار صاحب المنار فى ذلك أنها أسماء للسور ، وقد يعترض على هذا القول بأن ذلك يتجه لو لم يكن لهذه السور أسماء ، أما وقد سميت بعد ذلك فما الحكمة فى تعدد التسمية ؟ ، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى أن كل سورة تفتتح بمثل هذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وبيان أحقيته مما يدل على أن المقصود بها لفت النظر إلى اختصاصه بالاعجاز مع أنه مركب من جنس هذه الحروف التى تفتتح بها السور — ومن طرائفه فى ذلك أنه نقل عن بعضهم أن مجموع حروف الفواتح فى القرآن أربعة عشر حرفا يجمعها قولك « نص حكيم قاطع له سر » ولا شك أنه استئناس طريف ولكن غير مقصود طبعا

وقد قيل فى تأكيد المعنى الأول وهو أن هذه الحروف فى فواتح السور للاشارة إلى الاعجاز أنك لو أنعمت النظر فى حروف كل سورة من السور التى تفتتح

بالحروف المقطعة لوجدت حروف الافتتاح أكثر الحروف دوراناً فيها، وعلى هذا القول نستطيع أن نفهم حكمة اختلاف هذه الفواتح فهي أحياناً ألم فقط ، وأحياناً المص وأحياناً الر وأحياناً المر ، وتتضح لك بهذا حكمة زيادة الميم فى فاتحة الرعد بخلاف ما قبلها وما بعدها ، ونقل عن ابن عباس أن الحكمة فى زيادة الميم فى هذه الفاتحة أن معنى الفواتح السابقة فى الر فقط أنا الله أرى ، وأما فى هذه فمعناها أنا الله أعلم وأرى بزيادة أعلم على ما نقل عن ابن عباس فى أن هذه الحروف أجزاء كلمات والقول الأول أوضح وأبين

ومما يعجبنى فى حكمة افتتاح السور بهذه الحروف ما أشار إليه الحافظ ابن كثير أن المراد التحدى بنفس هذه الحروف وبيان ذلك . أن المعلوم لدى قريش ومن جاورها بل لدى كل من عرف النبي صلى الله عليه وسلم واتصل به أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب فحين يفجأ الناس باستفتاح كهذا فى أول تلاوته للقرآن فهو بلا شك سيسترعى انتباههم لما يقرأ من جهة وسيحملهم على التفكير فى مصدر هذا العلم الجديد الذى طلع عليهم به من جهة أخرى والتفكير سلم الهداية وأول خطوات الايمان الصحيح ، ثم نقول بعد هذا والله أعلم بمراده بذلك كما كان يقول سلفنا رضوان الله عليهم

(تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق) إشارة إلى آيات القرآن الكريم وتأكيد لمعنى أحقيته ونزوله من عند الله تبارك وتعالى ، وأنه لا شك فيه ولا مرية — إنه تبارك وتعالى لما أشار فى سورة يوسف إلى القرآن الكريم وبين أنه سيقص على نبيه فيه أحسن القصص ثم ختم السورة بأن هذه القصص القرآنية عبرة لأولى الألباب وتصديق لما بين يديها من الكتب السماوية السابقة والشرائع الالهية الماضية ، وهى بعد ذلك كله تفصيل كل شىء ينفع الناس فى دينهم ودنياهم وهى كذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون بها ويصدقون — لما تقدم ذلك فى فاتحة السورة وختامها أكد ذلك المعنى فى فاتحة هذه السورة فقال تلك آيات الكتاب بخصائصها وروعتها وصفاتها النافعة الجليلة التى تقدمت وهى حق من عند الله لاشك فيه ولا مرية

« ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » لما ذكر فى الآية السابقة صفات هذه الآيات وأنها عبرة وتصديق وتفصيل وهدايه ورحمة ختم ذلك بأن الذى يستفيد هذه الفوائد جميعاً إنما هم المؤمنون المصدقون ، وقد ورد أنه ماجلس أحد إلى القرآن إلا زد أو نقص ، فان كان مؤمنا زاد إيمانا وهدى ، وإن كان غير ذلك نقص «وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً»

لما ذكر ذلك قرر فى هذه الآية ناموسا اجتماعيا — وهو أن أكثر الناس لا يؤمنون ، وقد تكرر هذا المعنى كثيراً فى القرآن الكريم ، وقلما تذكر الكثرة إلا ومعها الضلالة والاعراض ، وقلما نذكر القلة إلا ومعها الهداية والنور والانتاج وتأمل ذلك فى قوله تعالى « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » « ولا تجد أكثرهم شاكرين » « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » إلى جانب قوله تعالى «وقليل من عبادى الشكور» « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم» «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» الخ تجد ذلك يكاد يكون مطرداً وأنت إذا طالعت مصداق ذلك فى شئون الناس وأحوال الدعوات وجدته صحيحا مطرداً ، فما من دعوة حق إلا كان أهلها قلائل بالنسبة لمن يناوئها من أهل الباطل والدهماء ، ولكنك إلى جانب هذا تجد أن الغلبة ، دائما للقلة المحقة والنصر دائماً إلى جانبها . وبذلك يتضح لك وجه الجمع بين ما سبق من وعد الله لدينه أن يظهره على الدين كله مع تقرير أن أكثر الناس لا يؤمنون الايمان الكامل الحق ، ولو مع الحرص على ذلك ، ومن ذلك تعلم أن قول ذلك العربى «وإنما العزة للكاثر» لا يتمشى إلا إذا تساوت الفئتان فى غير العدد من وسائل القوة وزادت إحداهما الكثرة ، أما إذا تميز أهل الحق من أهل الباطل فقد كتب الله الغلب للمحقين مهما كان عدد خصومهم كثيرا «وكان حقا علينا نصر المؤمنين»

والسر فى انصراف أكثر الناس عن الايمان أن الانسان تتجاذبه قوتان

تحاول كل منهما أن تتغلب عليه وأن توجهه وجهتها : قوة الخير التى يؤازرها العقل ويرشدها الوحى ويقويها العمل الصالح وقوة الشر التى تمدها الشهوات ويزينها الشيطان ويقود إليها الهوى ، وتغرى بها زخارف المادة وأعراض الحياة الدنيا ولذائذها وتزداد ضراوة بالمعاصى والمخالفات

ولما كان العقل والوحى وما إليهما من عالم النفس السامية الفاضلة ، وكانت الشهوات والأهواء والزخارف الماديه من عالم هذا الحس ، وكان الانسان مادام فى حياته الدنيا فهو إلى الحس أقرب وبه ألصق ولا يقوى على مقاومة هذه هذه الدوافع إلى الشر إلا بتوفيق ربانى وإرادة قوية ومجاهدة دائمة وعزيمة صادقة وهو مايشق على أكثر النفوس. من هنا كان أكثر النوع الانسانى ماديا دنيويا إلا القليل الذى ملك عنان نفسه وقوى على التصرف فى عوالم حسه واستعان بطاعة الله على تثبيت هذا الايمان الكريم وسلوك هذا المسلك القويم وتأمل الاشارة إلى ذلك فى قول الله تعالى « إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » الآيات وتأمل دوران هذا المعنى فى كثير من الآيات التى ورد فيها ذكر الانسان

وانظر كيف أن صوارف الحس ونوازع النفس وتعلق الروح بالمادة لا تزال تحاول أن تصرف الانسان عن إيمانه لأقل المناسبات حتى بعد إن تثبت العقيدة وترسخ : وانظر مصداق ذلك فى الآية الكريمة «وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون » الآيات من سورة الأعراف وإلى ما كان من بعض أصحاب النبي صلى الله عليه فى غزوة حنين حين مروا بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من قبلكم) رواه الترمذى عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه

تأمل ذلك كله لتعلم صدق هذا الناموس الخالد (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) وليس معنى أنهم لايؤمنون أن يكونوا جميعاً كفارا ولا شك بل يدخل معنى الآية أن من الناس من لا يؤمنون لا ظاهراً ولاباطنا وهم الكفار على اختلاف أنواعهم من وثنيين وكتابيين وملاحدة وزنادقة الخ ومنهم من يؤمن ظاهراً ولا يؤمن قلبه كالمنافقين ، ومنهم من يؤمن لفظا ولا يؤمن عملا كعصاة المسلمين ، ومنهم من لا يتحقق بصفات أهل الايمان الباطنة مع قيامه بأعمالهم الظاهرة فيكون ناقص الايمان ، ومنهم من يتردد بين الشك والايمان وهكذا

والحكمة فى تقرير هذا الناموس فى كتاب الله تبارك وتعالى أمور

(منها) بيان أن الحق لا يعرف بالرجال بل الحق حق فى نفسه مهما قل تابعوه وكثر مخالفوه ، فعلى الناس أن يتلمسوا الحق فى البحث الصحيح والنظر الصادق والدليل القوى والبرهان المقنع بغير نظر إلى ما سوى ذلك من كثرة الاتباع عددا أوجاها أو قلتهم

(ومنها) تعزية المصلحين الذين يقضون الزمن الطويل فى الجهاد العنيف والكفاح الممض ثم يرون أنهم بعد ذلك كله لم يظفروا إلا بالعدد القليل من المؤمنين ، وفيه إلى جانب هذه التعزية إرشاد لأصحاب الدعوات أن تكون وجهتهم فى التكوين أولا الكيف لاالكم والايمان الصادق بالمبدأ والعقيدة لاالعدد الكثير الذى لايغنى شيئاً ، ولهذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شطر مدة الدعوة فى مكة يتخير لها الأكفاء حتى مكث مدة طويلة ولما يبلغ أصحابه الأربعين ولكن الرجل منهم كان أمة وحده

(ومنها) إرشاد المؤمنين إلى وجوب حياطة إيمانهم بصلاح العمل ومجاهدة النفس وسد الذرائع والبعد عن الشبهات واتباع سبيل الله حتى لا ينتكسوا ويعودوا بعد الايمان الكامل إلى مرتبة دون هذه الرتبة ، وأكثر مايكون ذلك إذا قلدوا غيرهم من الأمم وسلكوا سبيل سواهم ممن لايدين دينهم ولايعتقد عقيدتهم (ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من أهل الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن

يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »

وفى الآية الكريمة إشارة إلى أن الايمان لا يكون كاملا حقيقيا إلا إذا اعتقد المؤمن أن هذا القرآن حق نزل من عند الله ثم عمل على إنفاذه وجعله حكما على نفسه والله أعلم حسن البنا

الدعوة الى انتقاد المنار

إننا ندعو جميع من يطلع على المنار من أهل العلم والرأى أن يكتبوا الينا بما يرون فيه من الخطأ فى المسائل العلمية أو ما ينافى مصلحة الأمة ونعد المنتقدين بنشر كل ما يرسل إلينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون النقد مختصرا مؤيدا بالدليل نزيه العبارة

ونرجو عامة القراء أن يطالبوا كل من يسمعون منه انتقاداً للمنار بكتابته وإرساله إلينا لنشره وإلا أضاع الفائدة على نفسه وعلى الناس وكان نقده عقيما لا نتيجة له وهو مالا يرضاه لنفسه محب للمصلحة العامة ، ونسأل الله أن يوفقنا جميعا لخير ما يحب ويرضى

تحية المنار

جاءنا ـ بمناسبة إعادة صدور المنار . قصيدتان فريدتان إحداهما للأخ المفضال الشيخ أحمد عثمان الشاعر الأديب والثانية لأخيه المفضال المهذب محمود أفندى عثمان ببنى مجد مركز منفلوط تحمل كل منهما تحية عاطرة للمنار وتمنيات طيبات له فى عهده الجديد وثناء مستطابا على صاحبه الراحل رحمه الله وعلى الاخوان المسلمين أعانهم الله وكان يسرنا نشرهما لولا كثرة المواد فنعتذر ونتقدم اليهما شاكرين هذا الوفاء جزى الله بنى مجد والاخوان فيها خير الجزاء ،

فتاوى المنار

تقدم في هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الي اسمه بالحروف أو بعبر بماشاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

«بين طائفتين من المؤمنين»

(حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف)

سيدى الاستاذ محرر المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(وبعد) فلعلكم قرأتم مادار من الحوار بين كتاب مجلة الاسلام ومجلة الهدى النبوى حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف فما وجه الحق فى هذا الخلاف؟ وهل يجوز شرعا أن يتقاذف الفضلاء من المسلمين بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة؟ وأن تذاع مثل هذه البحوث على العامة وهلا يمكن أن تعملوا على التوفيق بين الفريقين حتى تنصرف القوى الى مايعود على المسلمين بالخير أفيدوا مأجورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد حلمى نورالدين

بتفتيش رى الجيزة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

(١) قرأت ماذار بين الكتاب الفضلاء على صفحات المجلتين المذكورتين وكثير من حضراتهم أصدقاء لنا وكلهم يعمل لخدمة الدعوة الاسلامية ويرجو للمسلمين النهوض من كبوتهم والاقالة من عثرتهم مخلصا من قلبه والحق أني أنا شخصيا لاأفهم معنى لاثارة هذا الموضوع فى وقت نحن أحوج ماتكون

فيه إلى الوحدة والتآزر على أحياء تعاليم الاسلام فى نفوس المسلمين

إن الفريقين مؤمنان أعمق الايمان بأن ماجاء من هذه الآيات وما صح من الاحاديث التى تعرضت لصفات البارى عز وجل كلها حق لا جدال فى صدقها ولاخلاف فقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) و(يد الله فوق أيديهم) (وكل شىء هالك إلا وجهه) (وهو القاهر فوق عباده) وكل مانحا هذا المنحى من الآيات والاحاديث التى تثبت صحتها فنيا كل ذلك موضع إيمان وتصديق وتسليم من الفريقين كليهما

الفريقان كذلك مؤمنان أعمق الايمان بأن قوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) كل ذلك حق لا مرية فيه فلا يشبه البارى أحدا من خلقه فى شىء من صفاته ولا يشبهه أحد من هؤلاء الخلق كذلك. وحقيقة ثالثه يؤمن بها الفريقان أيضا وهى أن ذات البارى جل وعلا وصفاته فوق متناول إدراك العقل البشرى الصغير الذى يعجز عن معرفة حقائق ماحوله من عالم الحس فضلا عن عالم الروح فضلا عن الملأ الأعلى فضلا عن ذات الله جل وعلا وصفاته

وأسوق هنا قول شارل ريشيه المدرس بجامعة الطب فى فرنسا سابقا فى مقدمة كتاب (الظواهر النفسيه)

(لماذا لا نصرخ بصوت جهورى أن كل العلم الذى نفخر به الى هذا الحد ليس الا ادراكا لظواهر الاشياء وأما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا ؟
ان حواسنا من القصور والنقص على حال يكاد معها يفلت من شعورها الوجود كل الافلات)

بل قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

هذه الحقائق المقررة والمسلم بها من الطرفين تجعل الخلاف لا معنى له فماذا على كل منهما لو قال (استوى الله على عرشه استواء تعجز عقولنا عن إدراك حقيقته مع علمنا بأنه لن يكون كاستواء الخلق) وبذلك نرد علم الحقائق لله تبارك وتعالى ونصيب بذلك الحق كل الحق لأن الحق هو أننا فى هذا جهلاء أتم الجهل وماذا علينا لو سلكنا هذه الطريقة فى كل ما ورد على هذا النحو (فيد

الله التى ذكرها فى كتابه صفة من صفاته تعجز عقولنا عن إدراك حقيقتها مع علمنا التام بأنها لن تكون كأيدينا) وهكذا

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى الواجب فى مثل هذه المعانى ووضع لنا أساس النظر فيها فقال (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الالباب) فتأمل قوله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) لتعلم هل لنا أن نخوض ونفيض ، أم أن الرسوخ فى العلم أن نقول آمنا به كل من عند ربنا ، ؟

استطراد

لقد أتى على المسلمين حين من الدهر فى عصر الانتقال الاول حين نقلتهم حوادث السياسة والإجتماع من دور الجهاد العملى خلف رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين المهديين من بعده حيث كان هم المسلم إذ ذاك أن يؤدى فريضة ربه ويراقب دخيلة نفسه ويقيم من نفسه حارسا يحاسبه على كل عمله ثم يمضى فى البلاد مجاهدا فى سبيل الله يعرض روحه على الموت فى اليوم ألف مرة فلا يظفر إلا بالحياة العزيزة وينشر لواء الله فى العالمين حتى يدركه الأجل فيودع الدنيا شهيدا سعيدا حين انتقل المسلمون من هذا الدور إلى دور الاستمتاع بمظاهر دنياهم الجديدة والاقبال على تنظيم ملكهم الواسع والاستفادة من ثمار هذه الحضارات والمدنيات التى اتصلوا بها ودخلت عليهم آثارها من كل مكون عمرانية واجتماعية وثقافية وعلمية فترجموا العلوم الأجنبية وتوسعوا فى البحث فيها ومزجوا كثيرا منها بتعاليم الدين السمحة السهلة فسلكوا بدينهم مسلكا فلسفيا قياسيا وقد جاءهم فطريا ربانيا نبويا فوق العلوم والفلسفات يخاطب الفطرة من غير وساطة ويجذب القلوب بما فيه من جمال وروحانية وصدق توجيه فى هذا الدور وفى وسط هذه المعمعة انقسم علماء الاسلام الى معسكرين معسكر

يدعو إلى تطبيق نظريات الدين على نظريات الفلسفة والمزج بينهما وبذلك يصطبغ الدين بآراء الفلاسفة فيذهب عنه جلال النبوة وروعة الوحي وسماحة الفطرة . وتتقيد الفلسفة بقداسة الدين وجلال العقيدة فتنزل بذلك عن أخص خصائصها وإنما الفلسفة تفكير دائم متواصل فيه الخطأ وفيه الصواب وفيه الشك وفيه اليقين والخطأ فيها سلم للاصابة والشك عندها باعث من بواعث الايمان وهذا المعسكر أطلق على نفسه أو أطلق الناس عليه القابا كثيرة فهم أهل الرأى وهم أهل القياس وهم النظار وهم المتكلمون على تفاوت بينهم فى هذه الالقاب وفى مدى تطبيق هذه الآراء ومعسكر يدعو الى أن يظل الدين بعيدا عن كل هذا ، يؤخذ من منابعه الاولى كتاب الله وسنة رسوله ويرجع فى بيانه وتفصيله الى الطريقة التى فهمه عليها السلف الصالح رضوان الله عليه وليتناول العقل بعد ذلك ماشاء من البحوث ولتجر الفلسفة على أى غرار شاءت وليخطىء العلماء الكونيون أو يصيبوا ولكن فى ثوب نظرى بحت قياسى بحت لايتناول عقائد الناس ولا يمس عباداتهم ولا يقرب الحقائق الدينية المقررة المكفولة بتسليم العقل بأحقيتها وصدقها - وأطلق هذا المعسكر على نفسه أو أطلق الناس عليه أهل الحديث أو السلفيون أو أهل السنة أو أهل الأثر على تفاوت كذلك فى هذه الالقاب وفى مدى الأخذ بهذه الفكرة ولا شك أن الحق مع هؤلاء ولا شك أن المسلمين لو سلكوا هذا السبيل ولم يشتغلوا بهذا الجدل ولم يصبغوا فطرة دينهم بهذه الصبغة ودرجوا على ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه لكان لهم فى ذلك الخير كل الخير ولنجوا من انقسامات وفتن كانت من أهم الأسباب لزوال عظمتهم وتوزيع ملكهم ومجدهم ولا شك أن كل عاقل يهمه أن يعود للاسلام مجده وعظمته الآن يدعو المسلمين الى الأخذ بهذا الرأى وهو مانعمل عليه وندعو اليه ونسأل الله المعونة فيه وفتح مغاليق القلوب لفهمه وفقهه

كان الأخذ والرد والجذب والشد قويا عنيفا بين الفريقين منذ نجم قرن هذا الخلاف وأنت خبير بأن خلافا كهذا فى صدر الاسلام أو قريبا منه ، ولما يمض على المسلمين بعد نبيهم ﷺ أكثر من قرن من الزمان وهو يتصل بالعقيدة

وهى أغلى مايدافع عنه الانسان لابد أن يصحبه من مظاهر العنف الشىء الكثير وذلك ما كان فقد تنابز الفريقان بالألقاب واشتد بينهما التخاصم حتى وصل إلى التكفير والزندقة ورمى بعضهم بعضاً بأعظم مايتصور من التهم ، واستخدمت فى ذلك الألفاظ المثيرة

فأهل الرأى والنظر — جهمية معطلة مؤولون حشوية زنادقة لايعرفون لهم ربا ولا يثبتون له صفة. وأهل الحديث والأثر — مشبهون مجسمون جامدون متعصبون لاينزهون الله ولا يقدرون عظمته قدرها ويضعونه فى صف خلقه

وألقيت إلى جانب ذلك عبارات شديدة وألفت كتب وانتصر كل فريق لرأيه وبدت الحدة فى كل ما قيل وما ألف ، لأن تلك طبيعة الموقف ومقتضيات الخلاف

كان ذلك فى هذا الدور الذى ذكرت لك ثم نقلت إلينا نحن الآن بعض هذه الآثار والحال غير الحال والموقف غير الموقف والفرق غير الفرق

ليس فينا أهل رأى وأهل حديث — وأنا أعلم أن هذا الحكم قد يكون محل خلاف بينى وبين بعض القارئين فهاهم يرون فريقين ينتصر كل منهما لفريق فما معنى هذا النفى ؟

ولكنى أؤكد لحضرات القراء أن طبيعة هذا العصر غير طبيعة العصر الذى شجر فيه هذا الخلاف بين المسلمين وأن المشاكل والأفكار التى تشغلنا الآن غير تلك المشاكل والأفكار — وأن الخلاف فى هذه المسائل محصور فى نطاق لا يكاد يذكر فى بعض المجالس وفى جدران بعض الهيئات ، حتى الأزهر نفسه وتلك مهمته مشغول عن هذا الخلاف

الأمة الآن معسكرات مختلفة لكل معسكر فكرته التى يدعو إليها وينادى بها فهناك المعسكر الذى يدعو إلى الاندفاع وراء الأفكار والمظاهر الغربية فى كل شىء ، وهناك المعسكر الذى يثير المعنى القومى وحده فى النفوس ويريد أن يجعله أساساً للنهوض وهناك المعسكر الذى يأخذ بأعناق الناس وجهودهم إلى المسائل السياسية البحتة التى يراد بها استقرار الحكم فى الداخل وحفظ الكرامة

فى الخارج ولا يعنيه إلا هذا وهناك معسكرات غير هذه ومن وراء ذلك كله معسكر محمدى قرآنى يهيب بكل هؤلاء إن الاسلام يكفل لكم من السعادة والقوة كل ماتريدون فهلموا إليه

أريد أن أصل من هذا الاستطراد إلى نتيجتين . الأولى . أننا ليس بيننا فى حقيقة الأمر خلاف كالذى كان بين الفلاسفة والسلفيين فى القديم فلا معنى لاحياء هذا الخلاف من جديد ، ولا معنى للاحتجاج كذلك بما قال هؤلاء وأولئك وأولى لنا جميعا أن نترك ذلك الدور بما كتب فيه وما كان من أهله فى ذمة التاريخ ونرجع جميعا فى ديننا إلى المعين الأصلى الذى ما زال وسيظل صافياً نقيا لاتكدره الحوادث ولا ينال منه الزمن ولا يزعزعه الخلاف ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة صلى الله عليه وسلم

(والثانية) أن ننصرف فى صف مؤمن قوى موحد إلى معالجة مشاكل عصرنا ودعوة الناس إلى محاسن هذا الدين وجلاله وتقوية معسكرنا معشر المنادين بالاسلام فوق كل المعسكرات حتى يكون له النفوذ الفكرى والعملى ، فيعود للاسلام ما كان له من هيمنة على الأرواح والأعمال

وبعد — فذلك رأيى أيها السائل فى موضع الخلاف

٢ — أما هل يجوز للفريقين أن يتقاذفا بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة وأن تذاع هذه البحوث على العامة فذلك مالا أقرهما عليه ولا أوافقهما فيه ، وفى لين القول وحسن الخطاب مندوحة وهذه بحوث دقيقة أولى بها أن تكون بين أهل العلم فى حلقهم الخاصة ومجالسهم المحصورة ، وأذكر الفريقين بما رواه البخارى فى صحيحه عن على كرم الله وجهه « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله »

وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » فان كان ولا بد من الكلام فى هذه المباحث فليكن ذلك فى قول لين وفى بحث هادىء حتى لا تسرى عدوى الخلاف والتهاتر من الخاصة إلى العوام وفى ذلك فساد كبير كما هو مشاهد فى البلاد التى تشتد

فيها العصبية لبعض الآراء ـ أقول هذا وأنا أعلم ما سيقال حول هذا الكلام من أن العقيدة أساس كل إصلاح وأن دين الله تبارك وتعالى جلى واضح لاخفاء فيه ولا يليق أن يكتم فيه شيء عن جميع الناس وبأن هذه خصومة فى الحق وهى جائزة وهذا هو الغضب لله وهو فضيلة وهذا هو الدفاع عن دينه وهو واجب وهذا من الجهاد بالقول والقلم والقعود عنه إثم فكيف يراد منا بعد هذا أن ننصرف إلى إصلاح جزئى والعقيدة فاسدة وكيف يراد منا أن نجعل هـذا الكلام خاصا ودين الله عام للناس جميعا

وأحب أن أقول لمن يدور بفكره أو على لسانه وقلبه مثل هذا القول: احترس أيها الأخ من خداع الألفاظ ومزالق الأسماء ـ فالعقيدة شيء والخلاف فى بعض المسائل التى لا يمكن لانسان أن يعرف حقيقتها شيء آخر ـ وأحكام الدين التى هى عامة للناس جميعا شيء والأسلوب الذى تؤدى به وتقدم للناس شيء غيرها ـ والخصومة والغضب للدين شيء ـ وخلق هذه الخصومة وإثارة الفتنة بها شيء ثان ولم لا يكون هذا من الجدل المنهى عنه ومن المراء الذى أغضب رسول الله أشد الغضب على المتمارين حتى جعله يقول:

(١) « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ: « ماضربوه لك إلا جدلا » رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح

(٢) ويقول « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » رواه أبو داود والترمذى والبيهقى وغيرهم وحسنه الترمذى

(٣) وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: « كنا جلوسا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما تفقأ فى وجهه حب الرمان فقال « ما هؤلاء بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »

« ٤ » وعن أبى الدرداء وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك رضى الله عنهم قالوا « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتمارى فى شيء من أمر الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال مهلا يا أمة محمد

انما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان المؤمن لا يماري، ذروا المراء فان الممارى قد تمت خسارته، ذروا المراء فكفى انما ألا تزال مماريا، ذروا المراء فان الممارى لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فان أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء » رواه الطبرانى فى الكبير أيضاً وقد يقال: إن المراء شىء وما نحن فيه شىء آخر فاقول: إن لم يكنه فهو نوع منه ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه واتقاء الشبهات استبراء للدين والورع أن تدع ما لا بأس به مخافة الوقوع فيما فيه بأس فهل بعد ذلك مذهب لذاهب أيها الاخوان

« ٣ » وأما العمل على التوفيق بين الفريقين فنعما هو وما أحبه الى النفس وما أعظم فائدته وإنا لمحاولون ذلك ان شاء الله وأعتقد أن كثيرا من المختلفين لو التقى بعضهم ببعض وتركوا طريقة التحاور الكتابى الى طريقة التفاهم الشفهى لانتج هذا التعارف خيرا كثيرا ولأدى إلى حل كثير من الخلافات فى هدوء وفى توفير للوقت والمجهود وحينئذ يستطيع كل رئيس جماعة أن يتقدم إلى جماعته برأى موحد أو بفكرة عامة فيؤدى ذلك الى الوحدة المنشودة ان شاء الله وسنترقب الفرصة المناسبة لمثل هذا الاجتماع فنعمل على تحقيقه ان شاء الله والله حسبنا ونعم الوكيل . حسن البنا

من هم الاخوان المسلمون ؟

وسائل من هم الاخوان؟ هم فئة ... باعوا النفوس لباريها عزيزات
هم غضبة ضرمت لله ...ورتها ... فأرسلوها لظى للغاصب العاتى
هم ثورة حميت فى الحق جذوتها ... فجاهدت باطلاحم الكتيبات
هم فيلق من جنود الله قد حملوا ... لواءه فغدوا نور الدجنات
عزت أخوتهم فى الله فانقطعت ... من السرائر أسباب الخلافات
يوحدون قلوب المؤمنين لكى ... تزداد أمتهم بالله قوات
حتى إذا استمسكت أوصالها وغدا ... بنيانها محكما صلب العلاقات
تقدموها إلى اليوم الرهيب وللقر ... آن فى يدهم لمع المضيئات

عن ديوان البواكير لعابدين

نشأة المنار والحاجة اليه

للاستاذ عبد الله أمين

المدرس بمدرسة المعلمين بعبد العزيز بالقاهرة

(١) حال العالم الاسلامي قبيل ظهور المنار (٢) حال الدين الاسلامي قبيل ظهور المنار (٣) دعاة الاصلاح قبيل ظهور المنار (٤) صاحب المنار قبيل ظهور المنار (٥) البواعث التي بعثت صاحبه على اصداره (٦) وجهة صاحب المنار في تحريره للمنار (٧) بقاء البواعث على اصدار المنار (٨) المجلات الدينية التي ظن أنها تحل محل المنار ومنزلتها (٩) حياة المنار ولو نصف حياة خير من موته (١٠) محاولة لاحياء المنار (١١) محاولة جديدة لاحيائه مرة أخرى

(١) حال العالم الاسلامى قبيل ظهور المنار

كان العالم الاسلامى قبيل ظهور المنار لأربعين سنة هجرية خلت يهيم في ليل دامس وظلام طامس من الضعف والاضمحلال في حياته العلمية والفنية والأدبية وفي مرافقه الزراعية والصناعية والتجارية وفي نظمه الاجتماعية والمنزلية والحكومية وفي تقاليده وعاداته وآدابه وفي أخلاقه وعقائده وشعائره الدينية وكان يرسف في قيود الاستبداد وأغلال الاستعباد وقد قطعت السياسة والمذاهب الدينية أواصر شعوبه فتفرقوا طرائق وتمزقوا حذائق وبسط الأجانب عليهم سلطانهم الاقتصادى والأدبى والعلمى والفنى والسياسى ، وأصبحوا عبيداً أرقاء بعد أن كانوا سادة أعزاء .

(٢) حال الدين الاسلامى قبيل ظهور المنار

وكان الدين الاسلامى نفسه مبتلى بشر المحن وأقساها (١) منها البدع والخرافات والاوهام والضلالات التي ابتدعها المسلمون بالاستحسان والاستقباح

على مثال ماورثوه عن آبائهم السابقين الأقدمين فغيرت مظاهره وحجبت أنواره وكانت شراً عليه من كل شر إذ نفرت منه كثيراً من أنصاره وأعانت عليه كثيراً من أعدائه (٢) ومنها مطاعن خصومه من السياسيين الذين حكموا عليه ظلماً وعدواناً بأنه دين تأخر وانحطاط لتأخر المسلمين واضمحلالهم ، والحقيقة أنه دين قوة ورفعة وعزة وما ابتلى المسلمون بالضعف و لاضمحلال إلا لانحرافهم عنه وتنكبهم سبيله القويم وصراطه المستقيم (٣) ومنها حرب المبشرين بالمسيحية الذين تؤيدهم دول الاستعمار العاتية القوية بساستها وبجنودها وبأموالها لأن الاسلام وهو دين سيادة وعزة أكبر عائق لهم عن الاستعمار (٤) ومنها قعود علمائه حينئذ عن رد المطاعن والشبهات عنه وعن تحريره من البدع والخرافات بل ومشاركتهم العامة فى كثير منها (٥) ومنها شبهات الملحدين الخارجين على الأديان وهؤلاء منهم الجاهل الذى غلبته شهوته وشقوته وسئم قيود الدين وتكاليفه فأخذ يحاربه ليتخلص منه ومنهم المفتون بأمور ظنية فى العلوم يخيل اليه أنها لاتجتمع هى والدين على حين أنها لو صارت يقينية ما زعزعت أركان الدين .

(٣) دعاة الاصلاح قبل ظهور المنار

وفى هذا الظلام الحالك وفى إبان هذا النوم العميق الذى يشبه الموت تألق فى سماء العالم الاسلامى قمر الاسلام النير حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغانى ثم مالبث أن تلألأ بجانبه نجم الاسلام الثاقب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصرى وأخذا يجاهدان أعظم جهاد فى حرب الاستبداد والمستبدين والاستعمار والمستعمرين والضلالات والمضلين والغفلة والغافلين ويهزان العالم بصوتيهما على المنابر وفى مجلة العروة الوثقى حتى انقشع الظلام واستيقظ النيام وذعر المستعمرون والمستبدون وأيقنوا أن للاسلام نوراً لايطفأ وحمى لايوطأ وحماة غلابين لاتلين لهم قناة ولا تهزم لهم كتيبة :

فان نغلب فغلابون قدما وإن نغلب فغير مغلبينا

(٤) صاحب المنار قبيل ظهور المنار

وكان السيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه حينئذ عالماً ناشئاً تقياً غيوراً متحمساً شجاعاً حاد الذهن كثير العلم والأدب سليم الفطرة لم يبتل بما ابتلى به أمثاله من التورط فى الضلال والخبل ، بل نشأ محباً للاصلاح بصيراً به وبالحاجة اليه ، وأخذ يجول ويصول فى ميدانه بسوريا جولات صادقات وما بلغته دعوة الامامين الحكيمين الاصلاحية إلا ملكت عليه قلبه وعقله جميعاً إذ كانت هى ضالته المنشودة فما أطاق بعدها صبراً على السكوت وأخذ ينظر يميناً وشمالا فلا يجد للعالم الاسلامى كله صحيفة إسلامية إصلاحية بعد مجلة العروة الوثقى .

(٥) البواعث التى بعثت صاحبه على اصداره

فكانت كل هذه الأمور مجتمعة وهى ماانتاب العالم الأسلامى من اضمحلال وما أصاب الاسلام من عدوان خصومه وخذلان أنصاره ، وقيام الامامين الحكيمين بالدعوة إلى الاصلاح ومافطر عليه السيد الامام صاحب المنار من الغيرة على الاسلام وماتعلق به من حب الاصلاح كانت هذه الامور هى البواعث التى دفعت صاحب المنار إلى القدوم الى مصر وكانت تزدان حينئذ بالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه ونور ضريحه ، وكانت أكفل للحرية وأخصب للدعوة وأرحب صدراً من سوريا وإلى انشاء المنار فيها ومواظبته وجده واجتهاده فى تحريره ونشره حوالى أربعين سنة هجرية لم تفتر له فيها همة ولم تلن له فيها قناة ولم ينثن له عزم حتى لقى ربه راضياً مرضياً .

(٦) وجهة صاحب المنار فى تحريره المنار .

ولما كان الاضمحلال الذى أحاط بالمسلمين من كل جانب وليد فساد أخلاقهم وعقائدهم وكان فساد أخلاقهم وعقائدهم وليد انحرافهم عن أصل دينهم وكان

الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، لما كان كل ذلك مالبث جهد السيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه أن انصرف كله الى رد المسلمين إلى أصل دينهم لتصلح بذلك عقائدهم وأخلاقهم وبصلاح عقائدهم وأخلاقهم تصلح كل أمورهم الدينية والدنيوية .

وذلك الاصلاح لايكون إلا باشهار حرب عوان على الفساد والمفسدين والبدع والمبتدعين والالحاد والملحدين والمشتبهات والمشتبه عليهم وسد أبوابها على المسلمين بالاعتماد فى بيان أحكام الدين وفضائله على الكتاب والسنة وعلى تأويل الأئمة المجتهدين وعلى نقد ماخالف الكتاب والسنة من تأويلاتهم وتأويل غيرهم وبما فتح الله له من أبواب الفهم السديد الصائب المنقطع النظير فأبلى فى هذه الحرب بلاء عظيما ولبث يجاهد فيها كل هذا الزمن الطويل واتى فيها عنتاً وأذى كثيرين فما وهن ولا استكان حتى استشهد فى ميدان الجهاد بعد أن أصدر من المنار أربعاً وثلاثين مجلدة وجزءاً من المجلدة الخامسة والثلاثين ، وليس بجانبه صحيفة واحدة إسلامية إصلاحية تشد أزره وتشركه فى أمره وبعد أن انتصر على أعيان الابتداع و الالحاد والهدم وبعد أن أصبح المنار أداة لاغنى عنها للدفع عن الاسلام والمسلمين وحمايتهما من عدوان المعتدين.

(٧) بقاء البواعث على إصدار المنار

فاذا كان الامام السيد محمد رشيد صاحب المنار رضى الله عنه وأرضاه قد مات فهل ماتت بموته الحاجة إلى المنار ؟ هل ماتت البدع ومات المبتدعون ؟ هل مات الالحاد والملحدون ؟ وهل ماتت المشتبهات ومات المشتبه عليهم ؟ وهل ماتت الرذائل والمنكرات ومات أنصارهما ؟ كلا . مامات هؤلاء ولا هؤلاء بل لايزالون أحياء يحاربون الله ورسوله والاسلام والمسلمين وما ماتت البدع والمنكرات وغيرها بل لاتزال فى تناسل وتكاثر ونماء وقوة فلم يكن لدولة المنكر فى أى عصر مضى من الأعوان الأقوياء الأعزاء المسخرين مثل ما لها الآن .

أكان للخمر والملاهي من الأنصار ومن الموائد والاندية والحفلات والمنازل

والدعاية الطويلة العريضة فى الصحف على اختلاف ألوانها ومنازعها ـ الا القليل النادر منها ـ مثل مالها الآن ؟ أ كان تهتك النساء وفجورهن من مظاهر الخيالة والمسارح والشواطىء وغيرها مثل مالها الآن أ كانت الصحف ـ إلا القليل منها ـ لا تصدر إلا إذا فخرت وتاهت بتحلية صدورها بصور العاريات الخليعات من النساء الفواجر ؟ أ كانت دور الخيالة تملأ الرحب من الارض وتعرض فيها مثل مايعرض الآن ؟ من مناظر مغرية بالفسق والفجور وارتكاب عظائم الامور كما انتشرت الآن ؟ أ كانت الصحف تتبارى وتتنافس فى الدعاية الطويلة العريضة للممثلات كما تفعل الآن ؟ ألم يكن كل ذلك وما هو شر من ذلك آلاف المرات فى حاجة إلى صحيفة كصحيفة المنار

(٨) المجلات الدينية التى يظن أنها تحل محل المنار ومنزلتها منه .

ليس فى العالم الاسلامى كله مجلة إصلاحية يظن أنها تحل محل مجلة المنار إلا مجلة الأزهر وهذه لسوء الحظ ـ قبل عهد مولانا الاستاذ الامام المصلح الشيخ محمد مصطفى المراغى ـ كانت حرباً على المنار لاعوناً له ثم هى الآن لاتغنى عنه لانها مرآة صادقة لمعهد لايزال فى طور انتقال من عهد اضمحلال مضى عليه قرون الى عهد قوة ورفعة بسعى مولانا الاستاذ الامام المصلح الشيخ المراغى فهى مجلة رسمية وفى عهد انتقال لاقبل لها بالحرية المطلقة التى لمجلة المنار المطلقة من كل قيد إلا قيود الكتاب والسنة ، ولو قدر لمجلة الازهر والمنار فى عهدهما الحديث أن تكونا فرسى رهان فى نصرة الاصلاح الدينى والاجتماعى ما كانتا كبيرتين على العالم الاسلامى بل ولاعشرات المجلات من نوعهما فأهلا وسهلا بهما .

(٩) المسئولون عن إصدار المنار

وإذن لم يكن العالم الأسلامى ولا الاسلام نفسه فى غنى عن المنار فان المسئول عن إصداره واحيائه هم أنصاره وأحباؤه فقد أصبح أمانة فى أعناقهم دون غيرهم من المسلمين لاتبرأ ذمتهم منه إلا إذا أحسنوا القيام عليه وأصدروه فاذا قام

بذلك ولو واحد منهم فقد سقط عن البـاقين لانه من فروض الـكفاية . وإن صاحب المنار ومناره فينا كرجـل قوى البنية مفتول الساعدين حفر لنا بئراً عذبا ماؤها وليس لنا ما نستقى منه غيرها وبقى طوال حياته يخرج لنـا ماءها بسواعـده أفئن مات طمسنا البئر وحطمنا الدلاء وأمسكنا عن الاستقاء حتى نموت عطشا لأننا لا نجد فينا رجلا مثله قوة جسم وقوة إرادة وعزيمة أم يجب علينا حفظا لحياتنا أن نحرص كل الحرص علي سلامة البئر وأن نتعاون على إخراج مائها والارتواء به

١٠ حياة المنار ولو نصف حياة خير من موته

يقول بعض الأنصار إن المنار مجلة ذاتية حيت بحياة صاحبها الذى استقل بتحريرها حوالى أربعين سنة هجرية نسجها فيها على منواله وصبغها بصبغته وقدها على مثاله فأصبحت لا تصلح لغيره ولا يصلح لها أحد من بعده فلابد أن تموت بموته ويجب أن ندعها تموت . وهذا ليس من المنطق السليم فى شىء إذ أن الحياة ولو كانت ناقصة خير من الموت فأن الأطباء لا يمكن أن يدعوا إنسانا فقد بعض أعضائه أو كسرها يموت وفى إنقاذه أمل حتى ينقذوه ولو كانت حياته بعد ذلك شرا له ولآله من موته فـكيف ندع المنار صحيفة العالم الاسلامى يموت ونحن موقنون أن فى حياته خيرا محققا لا لشىء إلا لأن هذا الخير دون ما كان له من الخير فى حياة منشئه رضى الله عنه وأرضاه ؟ كيف ندعـه يموت على مرأى ومسمع من العالم الاسلامى وفيه من يستطيع أن يحييه ولو بعض الحياة كيف ندعه يموت وقد سن له صاحبه طريق الحياة من بعده إذ فتح فى العـدد الاخير من المجلدة الرابعة والثلاثين وهى آخر المجلدات أبوابا جديدة له ودعا إلى الـكتابة فيها أنصاره ؟ وفى مصر وحدها مئات القادرين على الـكتابة فى هذه الأبواب باتقان وإجادة

١١ محاولة لاحياء المنار

لن يموت المنار ولن ينمحى إن شاء الله تعالى مادام وراءه أنصاره ومحبوه ، ولقد حاولت دار المنار جاهدة إحياء المنار وعهدت بذلك إلى حضرة السيد محيي الدين رضا ابن أخي الفقيد العزيز والمحرر في المقطم الأغر غير أن هذه المحاولة كانت عسيرة لأن المنار أصعب من أن ينهض به إنسان واحد كالسيد محيي الدين أفندى ليس في جهده ولا في ماله ولا في أوقاته فضل ينفقه في إحياء المنار وإصداره ، ولذلك لم يلبث أن مات مرة أخرى

١٢ محاولة جديدة لاحياء المنار مرة أخرى

ولقد سرت الدار سرورا عظيما حينما تقدمت جماعة الاخوان المسلمين وعلى رأسها الأستاذ الكبير حسن البنا طالبة منها أن تتولى إصدار المنار وذلك لما تعهده في هذه الجماعة من الاخلاص والجد في خدمة الدين والفضيلة وما تتوسمه فيها من القدرة على إصدار المنار إن شاء الله تعالى في ثوب قشيب نافع وما تؤمله من استمرار صدوره

وإنى لأرجو وقد حيّ المنار ومات ثم حيّ ومات ـ أن يحيا إن شاء الله تعالى هذه المرة وألا يموت بعدها أبدا وأن يثبت الله سبحانه وتعالى أقدام جماعة الاخوان المسلمين ويهديهم وإيانا سبل الرشاد وأن يوفقهم لأصلح الأعمال ويقدرهم على إصدار المنار ونشره وعلى إبقائه حيا أبد الدهر إنه سميع مجيب ـ

عبد الله أمين

موقف العالم الاسلامى السياسى اليوم

وواجب أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وحكوماتهم

نشبت الحرب الماضية والعالم الاسلامى كله منضو تحت اللواء التركى مستظل بظل الخلافة العثمانية إلا بعض أجزاء اقتطعتها يد المطامع السياسية الغربية من قبل

كانت مصر تحت الاحتلال البريطانى ثم صارت باعلان الحرب تحت الحماية وخاضت البلاد العربية ميادين القتال إلى جانب الحلفاء تصديقا لوعودهم وانخداعا بالأمانى المعسولة التى وضعوها أمام الأمة العربية

ولسنا بصدد اللوم أو العتاب أو تحديد مسئولية المخطىء والمصيب فى هذا كله فقد ذهبت تلك الأيام بما كان فيها وصارت مواقف الرجال والأمم فى ذمة التاريخ يحكم لها أو عليها

وانجلت تلك الحرب وويل للمغلوب وغلبت تركيا على أمرها وسلبت حق سيادتها على الولايات التابعة لها

وهنا نهضت الشعوب الاسلامية تجاهد وتكافح وتناضل وتطالب بحقها فى الحياة العزيزة الحرة الكريمة

كانت ثورة الكماليين على أرض الأناضول وانتهت بتكوين تركيا الحديثة هداها الله وألهمها الرشد

وكانت الثورة المصرية فى وادى النيل وانتهت بمعاهدة أغسطس ١٩٣٦ التى حققت جزءاً ضئيلا جداً من الأمانى المصرية ولا زالت مصر تكافح لاستكمال الباقى .

وكانت الثورة العراقية وانتهت بالمعاهدة العراقية الانجليزية التى حققت كذلك جزءا من الأمانى العراقية ومكنت العراق من السير سريعاً إلى استكمال ما بقى

واستولى الملك عبد العزيز آل سعود على الحجاز وضمه إلى نجد وكون منهما المملكة العربية السعودية

وكافحت سورية وناضلت وكاديتم بينها وبين فرنسا عهد وميثاق كالذى تم فى مصر والعراق مثلا لولا أن فرنسا نكثت عهدها بعد أن وثقته وقلبت للسوريين ظهر المجن ولا زالت فى موقفها هذا إلى الآن

وتعقدت قضية فلسطين ونشبت فيها الثورات تباعا ولم يفلح ذهب اليهود ولا خداع الانكليز فى تضليل الشعب الفلسطينى الباسل وصرفه عن أهدافه الحقة وعن المطالبة باستقلاله الكامل فى أرض الآباء والأجداد التى رواها دم الصحابة الطاهر فأنبتت أولئك الأحفاد البررة

واستمرت طرابلس ثائرة على الحكم الايطالى الظالم حتى قبض على المجاهد المؤمن السيد عمر المختار وضيق الخناق على المجاهدين فقتل من قتل ونفى من نفى، وانتهى كل ذلك بأن أعلنت إيطاليا تجنيس طرابلس بالجنسية الطليانية وقذفتها بسيل من المهاجرين الطليان يلتهم الأخضر واليابس

وقامت ثورات فى بعض جهات من هذا الوطن المتمرد على الظلم والجور كان من أظهرها ثورة الريف المغربى بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم ، وانتهت كلها بتشديد الضغط على خناق الأحرار والعاملين

هذا بسط موجز لموقف العالم الاسلامى من نفسه ومن غيره من الأمم التى ظلمته وتدخلت فى شأنه واستبدت بأمره واغتصبت حقوقه إلى الآن

***

اختل التوازن الأوربى وجرت الأحداث سراعا تسابق الدقائق والساعات وتغير الأفكار والآراء والمواقف والاتجاهات ، وانجلت تلك الغمرة عن وجود معسكرين قويين فى أوربا معسكر المحور ويضم ألمانيا وإيطاليا ومن لف لفهما من دويلات أوروبا ومن ورائهما اليابان فى الشرق ، ومعسكر الدول الديمقراطية ويضم انجلترا وفرنسا ومن تبعهما من دول أوروبا ومن ورائها أمريكا فى القارة الجديدة

وحرب الدعاية والكتابة والتربص والأعصاب كما يقولون قائمة على أشدها بين الفريقين ، وكل منهما يتودد إلى العالم العربى والاسلامى ويود أن يكسبه إلى جانبه فذلك هو الذى يرجح إحدى الكفتين على الأخرى فى آسيا وإفريقية على الأقل ، وإذا رجحت الكفة فى هاتين فقد رجحت فى أوروبة كذلك

إن دول الشرق الاسلامى قضت عليها الحوادث والظروف الماضية والحاضرة أن تتصل بالدول الديمقراطية وأن تكون إلى جانبها وأن يرتبط مستقبلها بمستقبل هذه إلى حد كبير — هذا الوضع إلى جانب الخصومة القائمة بين المعسكرين فى أوروبا كان يجب أن يجعل الدول الديمقراطية تسارع إلى اكتساب مودة العرب والمسلمين اكتساباً نهائيا وأن تسد الطريق على غيرها إلى ذلك الود ، وذلك فى وسعها ولا يكلفها عناء ولا عنتا بل لا يكلفها إلا أن تحق الحق وتعترف به لأهله ، وتبطل الباطل وتقاوم الذين يريدونها عليه فهل فعلت هذا ؟

العجب أن الدولتين الديمقراطيتين انجلترا وفرنسا فعلتا عكسه تماماً كأنهما تتحديان بذلك شعور العرب والمسلمين فى كل أنحاء الأرض ، فأما فرنسا فقد أساءت إلى سورية أبلغ الاساءة ففصلت عنها الاسكندرونة وقدمتها إلى تركيا رغم الصرخات العالية والاحتجاجات الكثيرة والأغلبية العربية فى هذا اللواء . وتنكرت لسورية مرة أخرى فعدلت عن إبرام المعاهدة واستبدت بالأمر فى داخلية البلاد استبدادا أدى إلى استعفاء الوزارة عدة مرات ، وتعذر قيامها بمهمة الحكم ثم أدى أخيراً إلى استقالة رئيس الجمهورية ، وهذا نص استقالته التى رفعها لمجلس النواب السورى

« إلى رياسة المجلس النيابى السورى الفخيمة »

« منحنى مجلسكم الكريم ثقته وانتخبنى ، فى أول جلسة عقدها ، لرياسة الجمهورية على أثر عقد المعاهدة وإقامة الصلات بين فرنسا وسوريا على قواعد التحالف والمودة ، وذلك لادراك هذه الأمة الغاية الشريفة التى تسعى إليها من الاستقلال والسيادة القومية . وقد تعاقبت حكومات فى سوريا وأخذت تبذل

قصارى جهدها فى سبيل إبرام العهد المقطوع والميثاق المعقود واثقة بأنه ينطوى على الخطة الوحيدة التى تعزز جانب الوطن السورى وترفع من شأنه كما توثق الروابط بينه وبين الجمهورية الفرنسية حتى يسود علاقتهما جو من الصفاء والاخلاص وحتى تقوى هذه البلاد على مقابلة الاحداث وصد الاطماع . غير أن الجهود التى بذلت لم تسفر عن نتيجة برغم الوعود الرسمية الصادرة من رجال الوزارات التى تعاقبت فى فرنسا منذ سنة ١٩٣٦ إلى الآن فذهبت ضياعاً تلك الآمال التى توجهنا بها إلى سياسة التحالف والتضامن وشهدنا العودة إلى أساليب قديمة وتجارب جديدة تناقض ما تعاهدنا عليه ودخلنا الحكم على أساسه . على أن حوادث الماضى وقرائن الحاضر لا تترك مجالا للشك فى أن هذه الخطط التى يراد اتباعها واستئناف العمل بها تؤدى إلى استمرار المشاكل والخلافات، كما أنها تضعف كيان هذه البلاد وتوهن قواها وتهدد استقلالها

ولذلك لا أرى بدا من الاستقالة من المنصب الذى عهدت الى الآن فى القيام به وتحمل أعبائه راجيا أن يكون فى الأيام المقبلة ما يخفف عنها الآلام والعناء وتحقق ما تصبو اليه من الكرامة والمجد »

وقد عرضت الاستقالة على المجلس فأقرها ودعا الوزارة إلى الاجتماع فاجتمعت وقررت القيام بأعباء الحكم ولكن المندوب السامى تحداها فى هـذا فأصدر قراراً بتدخل السلطة الفرنسية فوراً وتعطيل الدستور ومجلس الوزراء وعين مجلساً يتولى السلطة باسم فرنسا وهذا نص قراره

«قد نشأ عن استقالة مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية فى سوريا فقدان تام للسلطة التنفيذية . مما يجعل تدخل الدولة المنتدبة تدخلا فوريا أمراً لابد منه ، وفى هذه الحالة ترى الدولة المنتدبة نفسها مضطرة الى وقف تنفيذ الدستور فيما يتعلق بالسلطتين التنفيذية والتشريعية . والنظر فى نظام مؤقت يمكن من إدارة البلاد ادارة منظمة طبيعية .

بناء على ذلك قرر المفوض السامى أن يعهد فى السلطة التنفيذية ـ تحت مراقبته ـ الى مجلس مؤلف من مديرى مختلف المصالح الوطنية برياسة مدير الداخلية ، ويؤلف مجلس المديرين بقرار من المندوب السامى ويجوز له أن يتخذ

قرارات بتعيين الوظفين الملكيين ، ويجوز له بناء على رأى المجلس أن يصدر مراسيم لها مفعول القوانين ولاسيما فى الشئون المتعلقة بالميزانية . وتتخذ المراسيم التشريعية بعد موافقة المندوب السامى التى تجعلها نافذة ».

هذا هو موقف فرنسا فى سورية فأما موقفها فى بقية مستعمراتها الاسلامية فعلى ما كان عليه من عسف وجور ونفى للاحرار وتعذيب الوطنيين وهؤلاء شباب المغرب وعلى رأسهم الآن محمد بن عبد الكريم لازالوا فى أعماق المنافى والسجون

وأما انجلترا فقد أخذت تتلون كالحرباء فى حل قضية فلسطين وانتهى مجهودها وخداعها باصدار الكتاب الأبيض الذى لم يرض أحدا من الأمم الاسلامية حتى ان واحدة من الحكومات لم تشأ أن تتورط فى التوسط لدى عرب فلسطين الباسلين لقبوله

ولم تكتف بهذا بل أخذت جنودها تهاجم اليمن وتحتل أرضا يمانية بحتة كاقليم شبوه وتدعى على لسان محطات الاذاعة فيها أنها ضمن منطقة عدن المحتلة مما أدى الى احتجاج جلالة الامام لدى ملك انجلترا احتجاجا صارخا هذا نصه:

« من ملك اليمن الامام يحيى الى صاحب الجلالة الملك الامبراطور جورج السادس المعظم بلندن .

بعد تقديم وتأكيد الاخلاص والتعظيمات لذات عظمتكم أعرض لجلالتكم تأثراتى العظيمة من اذاعات راديو لندن باللسان الرسمى الحكومى وادعائها أن شبوه ومناطقها داخلة فى الأراضى العدنية المحتلة مستندة فى ذلك الى معاهدة سنة ١٩٤٠ (كذا من أصل البرقية)

وقد كنت خاطبت جلالتكم سابقا بشأن شبوه ومناطقها كلها وأنه لم يكن لأحد شأن فيها فى أى وقت كان لامن قبل ولا من بعد ، وكنت رجوت من عدالة جلالتكم طلب أوراق المخابرة الواقعة بشأنها من عدن للاطلاع على ما حدث من الوقائع بهذا الخصوص بين عدن واليمن فان ادعاء عدن بشبوه ومنطقتها مخالف لكل الوقائع وعار عن كل اثبات . فحكومتى مجبورة للاحتجاج ولا يمكن لليمن السكوت عن عمل مغاير للحق ومخالف للصداقة بكل معنى .

ومعلوم لجلالتكم أن شبوه ومنطقتها يمانيـة منذ خلق العالم الى اليوم ، وسيطرة اليمن لم تزل عليها ولاهى افترقت يوما واحداً عن أمها اليمن . وكل قرار غير شرعي بشأنها نرده بلا شك . ولم تتعهد اليمن لدولة ولا لشخص بان تسلمه حقوقها وملكها وهل يمكن ، ياصاحب الجلالة ، بيع أو اهداء أى أرض أو زراعة ممن لايصح تصرفه فيها ؟ ومن المعلوم أن العثمانيين وغيرهم لم يدخلوا شبوه ومنطقتها فلم يتصرفوا بشيء فيها ومنها . وهـل من المعقول والمقبول المطالبة بهدية تقدم من مالكها ؟ ومن المعلوم أن جدنا الامام الهادى هو الذى عمر الحصون قبل ألف سنة وأن سلفنا الامام أقام فى شبوه . فنحن متسلسلون فى شبوه ، وسكانها متعلقون بحكومتنا مع جملة اخوانهم بنى جابر .

وفى سنة ١٩١٤ ابتدأت الحرب العامة وتحاربت انجلترا مع العثمانيين . ولم يبق للدولة العثمانية وجود فى العالم . وأما تركيا الحاضرة فلم تصل الى اليمن ولم تعمل لليمن شيئاً فهل يمكن ، ياصاحب الجلالة ، أن تجيز القوانين الشرعية والمدنية العالمية الاعتداء على بلاد دولة مستقلة واغتصابها ؟ .

وهل يستطيع أى يمنى كان أن يرضى بتسليم أرض أجـداده التى حافظوا عليها الى هذا اليوم بدمائهم وجهودهم . فارجو من عدالتكم ، ياصاحب الجلالة ، أن تنظروا الى الأمر بعين العدل . ومعلوم جلالتكم أن عرشكم العالى وحكومتكم الجليلة عقدا برضائها وطلبهما معاهدة الوداد والصداقة مع اليمن .

وتصرح المادة الثالثة من هذه المعاهدة بانه لايجوز أن يتبدل أى حال بين عدن وبين اليمن الا بالاتفاق بين الطرفين ورضائهما وموافقتهما بالطرق الودية ، وأن تبقى الحالة التى كانت قائمة فى تاريخ عقد المعاهدة نافذة المفعول فهل ، ياصاحب الجلالة ، يرضى عدلكم وهل ترضى القوانين الدوليـة والحقوق السياسيـة والانسانيـة بعد تلك المعاهدة والشروحات المذكورة الودية وبعد مرور ست سنوات من عهدها أن يعتدى على شيء من أرضنا وحقوقنا الطبيعية وهل يمكن موافقتكم على هذه الاعتداءات والتجاوزات ؟

وانى بكامل احترامى وتعظيمى لذات جلالتكم المعظمة وبتمام تقديرى لحكومة

جلالتكم السنية ولشعبكم المنصف الكريم أرجو من جلالتكم تحقيق وتدقيق هذه المعاملة واصدار أوامركم العادلة إلى من يلزم بان يتفضلوا باحترام حقوقنا وشعبنا بلا جرح قلوب أمتنا وبلا استحقار أصدقائكم اليمنين الذين هم ثابتون حالا ومستقبلا فى صداقتكم ، وبان لايكون أى اجحاف بحقوق بلادنا ولا مخاصمة بين الدولتين المتضامنتين المتحابتين المتعاهدتين ان شاء الله

وتفضلوا يا صاحب الجلالة بقبول عواطف حسن نيتى وصداقتى وتقديراتى الخالصة الفائقة ؟ فى ١١ جماد الأول ١٣٥٨ - ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٩

فهل بمثل هذا الاستفزاز تريد الدول الديمقراطية أن تحصل على صداقة المسلمين والعرب .

ان الموقف الحالى يستدعى من العالم الاسلامى أشد الاهتمام وان الفرصة سانحة للمسلمين والعرب لو أرادوا أن ينتهزوا

وحضرات أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وبخاصة جلالة الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود وصاحب السمو الملكى الأمير عبد الاله الوصى على عرش العراق وجلالة الامام يحيي حميد الدين هم موضع الرجاء فى إفادة شعوبهم من مثل هذه الحوادث والله تبارك وتعالى سيسأ لهم عما استرعاهم وكل راع مسئول عن رعيته

ومن واجب الحكومات الاسلامية أن تتفق جميعا على خطة حازمة تعلن بها انجلترا وفرنسا فى اجماع وفى حزم وإصرار أن تبرم المعاهدة السورية على غرار معاهدة العراق وأن يكون بين انجلترا وفلسطين معاهدة تستقل بها الأرض المقدسة وتظل عربية مسلمة وأن يكفل استقلال الأوطان الاسلامية الحالية ولا يتعدى على أى جزء من أرضها

وأن يكون بين فرنسا وتونس والمغرب معاهدات سياسية كذلك تكفل لهذه الشعوب المسلمة العريقة أن تصل إلى استقلالها وحريتها فان وافقت الحكومات الديموقراطية على ذلك فهو الخير لها وللناس وإن أبت إلا الاصرار على هذا الموقف الظالم فليعمل المسلمون لأنفسهم وحسبهم مافات

لقد بدأت العراق والحجاز العمل وقامت مفاوضات بين الحكومتين

الهاشمية والسعودية أغلب الظن أنها تناولت فيما تناولته هذه النواحى الحيوية للممالك الاسلامية ولكن كل ذلك لا يكفى فانا نريد أن يكون الصوت إجماعيا من الحكومات الاسلامية جمعاء أو من معظمها على الأقل وأن تكون الخطوات واضحة بينة والوسائل صريحة حازمة وفق الله العرب والمسلمين لما فيه خيرهم وسعادتهم . حسن البنا

بين الشرق والغرب

أيها الغرب إن للشرق شأنا وعلى غابر الزمان العفاء
هب من نومه وكان خليقاً أن يجافى جفونه الاغفاء
تلك صحف التاريخ تشهد أنا خير نسل أقلت الغبراء
كم عمرنا الديار وهى خراب وملأنا القفار وهى خلاء
وركبنا البحار وهى طوام وألفنا الأسفار وهى عناء
يوم لا دق بالحديد تراب لا ولا شق بالبخار الماء
وملكنا بالسيف ملكا جساما لم يشد قبل ركنه بناء
أيها الشرق حدث الغرب عما أيقظت من سباتك الأرزاء
وإليك الأبصار من كل قطر شاخصات وللامور انتهاء
أنسام الهوان دون المنايا ؟ إنما الموت والهوان سواء
ليس دار الهوان للحر دارا إنما الحر داره الجوزاء
قد تلونت يا زمان علينا فحنانيك أيها الحرباء
قرع الدهر نابنا وقرعنا نحن والدهر لو درى أكفاء
من تفانى فى المجد نال بقاء وطريق البقاء هذا الفناء
ولقد آن أن يلم شتات وتسوى أرض ويعلو بناء

« بتصرف » محمد حبيب العبيدى

ما أحوجنا فى هـذا الزمان

إلى هداية القرآن

(بقلم الاستاذ الكبير محمد أحمد جاد المولى بك كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف المصرية)

قد وضح للمنصفين من العلماء والباحثين أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا ، ولم يتخذه لهوا ولعبا ،

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » . « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق » . « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » .« أيحسب الانسان أن يترك سدى » : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون »

وسواء أريد بالعبادة ظاهرها أم معرفة الله كما ذهب ابن عباس رضى الله عنهما فالمعرفة لاتكون بدون عبادة والعبادة لاتكون بدون معرفة .

لذلك كانت حاجة الناس إلى اهتداء بشريعة الذى فطرهم ضرورية وفوق حاجتهم إلى كل شىء . ، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب مثلا فأهل البدو كلهم . وأهل الكفور جميعهم وعامة بنى آدم لايحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبدانا وأقوى طباعا ممن هو متقيد بالطبيب من أهل المدن الجامعة .

ولقد فطر الله بنى آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم ، وجعل لكل قوم عادة وعرفا فى معالجة ما يهجم عليهم من الأدواء حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت من عادات الناس وعرفهم وتجاربهم

أما الشريعة فقائمة على معرفة الانسان مواقع رضا الله وسخطه فى أعماله

الاختيارية ، ولا طريق لهذه المعرفة إلا الوحى المحض بخلاف الطب فمبناه على تعرف المنافع والمضار التى للبدن وعليه . وأساسها التجارب بالاختبار وغاية مايقدر فى جهل تلك المنافع والمضار موت البدن وتعطيل الروح عنه ، وأما مايقدر عند فقدان الشريعة ففساد النفس وتنكبها الصراط السوى وانغماسها فى حمأة الرذائل مما يودى بها وبالمجتمع الذى تعيش فيه وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت .

فالناس أحوج ما يكونون إلى معرفة ماجاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه . وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر ، وتاريخ الامم الاسلامية أيام اعتصامها بحبل الدين وتهاونها به ، وما نراه فى الامم الغربية من الامراض الاجتماعيـة والخلقيـة المستعصية مع سبقها وعلو كعبها فى شئون المادة شاهد على ذلك

وما جاء به الرسول هو الكتاب الكريم والسنة الصحيحة وذلك هو الاسلام وهو دين الله وشريعته فى جميع الامم منذ بدء الخلق حتى تقوم الساعة . وقد أخبر الله بذلك فى غير موضع من القرآن « إن الدين عند الله الاسلام » فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » عام فى كل زمان ومكان . فنوح وإبراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام . وهو عبادة الله وحده لاشريك له والاستسلام له ظاهرا وباطنا وعدم الاستسلام لغيره كما قد بين ذلك القرآن فدينهم كلهم واحد وإن تنوعت شرائعهم . قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »

وقال تعالى لنبيه ﷺ « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون» «إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ».

ولقد جاء القرآن الكريم والسنة الصحيحة بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الأيمان الباطنة . ففي مسلم عن عمر رضي الله عنه أن جبريل أتي النبي

صلى الله عليه وسلم فسأله عن الاسلام والايمان والاحسان فأجابه . « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . ، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك : »

فمن لم يقم بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع أن يحصل له حقائق الايمان الباطنة . ومن حصلت له حقائق الايمان الباطنة فلابد أن يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة . فان القلب ملك والأعضاء جنوده . ومتى استقام الملك وصلح استقامت جنوده وصلحت . ففى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب »

وإن أصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله أجمعين ، وملاك ذلك الايمان بخاتم الرسل ﷺ فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله .

وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به وذلك يستوجب العذاب الأكبر . وقد أخبر الله تعالى فى كتابه أنه لايعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة قال تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا »

فالقانون السماوى سبب السعادة ومن الخطأ الاعتياض عنه بالقانون الأرضى الانسانى الذى لايخلو ـ وإن توافقت عليه الآراء ـ من أغلاط وأخطاء لاسيما إذا كان ممن لاعلم عندهم بمعانى كتاب الله وسنة نبيه الداعى إلى الله على بصيرة.

حقا إن الاعتياض عن القانون السماوى بالقانون الأرضى من أعظم أسباب المقت والحرمان وأكبر موجبات العقوبة والخذلان إذ هو إتخاذ لدين الله هزوا ولهوا ولعبا وتبديل النقمة بنعمة الله والكفران بالشكران . وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين

مشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ورسوله وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض وعنه إلى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التى لاتدخل تحت الحساب ولا تضبطها أقلام الكتاب قال تعالى « وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا »

« ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار »

«أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله »

« ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »

« ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم »

«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

فاذا كان هذا حكم الباغين المحاربين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عربا وعجما مؤمنهم وكافرهم إلى قانون اخترعه هو أو غيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة الرسول وحاربهما وحادهما وشاقهما بمخالفة أمرهما ؟ بلى وربك فانه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله إلا العالمون

وقد وسم الله من خالف أحكامه واتبع غيرها فى أحكامه وأعماله بالظلم والكفر والفسق قال تعالى

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

« ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك

يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »

قال أهل التحقيق من المفسرين . الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله .

فالقرآن يدعو إلى تحكيم ما أنزل الله وعدم تحكيم ماعداه إما تصريحا وإما تلويحا وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله المتقين من لدن بعث سيدنا محمد ﷺ إلى يوم تقوم الساعة . فقد صح عنه أنه قال « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتى أمر الله . » فبتحكيم ما أنزل الله يقوم العدل ويؤيد الملك ويستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل لهم الراحة والأمن والحرية التامة .

ومن شك فيما تقدم فلينظر الفرق بين حال الاسلام فى هذه القرون المتأخرة التى عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله فى القرون المتقدمة التى ما كانت على شىء أحفظ منها على أحكام الشريعة وأوعى لها فانه واجد الفرق كما بين الثرى والثريا . وكما بين الأرض والسماء

ألا ترى أن الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة نبيهم ﷺ فتحوا مافتحوا من الأقاليم والبلدان . ونشروا الاسلام والايمان والقرآن فى نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعُددهم وضيق ذات يدهم . ونحن مع كثرة عددنا ووفرة عُددنا وهائل ثروتنا لا نزداد إلا ضعفا وتقهقرا وذلا وحقارة فى عيون الأعداء وذلك لأن من ينصر الله يمكن له فى الأرض ويمده بنصر من عنده قال تعالى « ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقد بين الذين ينصرون دينه بقوله تعالى : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وقد وعد الله رسله ومن آمن بهم بالنصر فى الدنيا والآخرة فقال تعالى . « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »

« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون » . « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور » .

ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فى بعض المغازى فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة ولكنه أرادلهم ذلك ليذكرهم به وليزيدهم إيمانا بأن النصر من عنده « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين »

فمن نصر دين الله نصره الله ومن خذل دينه وخالف رسوله خذله الله فى الدنيا والآخرة .

ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبتوا فى مكانهم عند الجبل ولا يزايلوه سواء أكانت الدولة للمسلمين أم عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعاً فلما اختلفوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ها هنا ؟ وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وغادر نفر مكانه يجمع الأسلاب .

كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموا وقتل من قتل وذلك كله بشر مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانهم له وذلك معنى قوله تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » .

ولقد كان أهل المدينة فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أفضل أهل الدنيا والآخرة لتمسكهم بطاعة الرسول واعتصامهم بحبل الله ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم من المصائب مالم يجر عليهم من قبل « ولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم »

وكذلك الشام كان أهله أول الاسلام فى سعادة الدنيا والدين ثم قامت فتن بما كسبت أيديهم وبما اجترحوا من السيئات وسلط عليهم أعداؤهم فأذلوهم وضاع الملك من أيديهم .

وهؤلاء الأندلسيون كانوا رقودا فى ظلال الأمن وخفض العيش والدعة فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر .

فاشتغلوا بمعاصى الله تعالى وأكبوا على لهوهم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته ففعل الله بهم مالم يحصه قلم كاتب فسلط عليهم عدوهم حتى مزقهم كل ممزق وفرقهم أيدى سبأ ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه وما صاروا إليه وفى التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »

صورة كتاب

الشيخ محمد عبده إلى صديق جوابا على تنصل من هفوة بعد عتاب شديد

لو عرضت على نعم الله وفيها عزة الأمراء ، وبزة الأغنياء ، ووفاء الأولياء لما اخترت منها غير الوفاء ، ولعددت نفسى به أسعد السعداء هذه خلتى - تقبلها الله - وفيها لمهجتى أحياء . بهذا تعلم ما أدخلت من السرور على ، فيما كتبت إلى ، ولو جعل الله للمحبة شكراً أوفى يحقها منها لبذلته ، ولوقدر لها أجراً أجزل عائدة منها نفسها لالتمسته وقدمته . نعم كنت وجهت كتابى إلى شيطانك ، فلاقى الكتاب أكرم نفس فيك ، فانصرف والحمد لله عنك إلى حيث لا أراه فاهنأ بكرم محتدك وزكاء منماك والسلام

تطور الاسلام

لأديب غير معروف

كان نشاط الاسلام الغريب مدعاة دهشة لعقول البشر ، منذ تلك الأيام المعنة فى الزمن. التى حملت لواءه من فرنسا إلى الصين . ولكن هذه الشعلة الروحية المتقدة مالبثت أن أخذت تخمد على الأيام ؛ حتى ظهر الاسلام فى القرن الثامن عشر فى حال من الاحتضار . فأخذ العلماء يلتمسون المعرفة فى آفاق محدودة من الدين ـ لا كما نزل به القرآن وجاء به النبي ﷺ ؛ مشرقاً بالنور ، سمحاً إلى أبعد الحدود — بل كما فهموه ، هزيلا ضيقاً ، بل على أكثر مايكون عليه الدين من الهزال والضيق حين يبدأ فيسمح لظل آدمي أن يقوم بين العقل البشرى والله . إن الاسلام ، دين الفكرة المتحرر ، الذى استطاع أن يطرد الخرافات الكهنوتية من البلدان التى استظلت بظله ، انتهى إلى أن يكون هو نفسه مثقلا بأنواع العبودية والخرافات .

فرض الاسلام على معتنقه أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد ، ونقل عن النبي ﷺ أنه قال « فضل العلم أفضل من العبادة » . ولكن هذا الفرض أهمل فى عصور انحلال الثقافة العربية إهمالا مخجلا اطرحت معه دراسة العلوم الطبيعية من زمان . فكان ذلك من أهم الأسباب لتأخر الاسلام فى العصر الأخير . قال المستعرب الفرنسى الشهير ، « لازانوفا » :

منذ أن خبت شعلة الثقافة العربية زمن الغزو العثمانى ، ومنذ أن أخذ الاسلام الأول تثقله ربقة « أرثوذكسية » متحرجة ، ونحن ننظر إلى عقل العرب الحديث كشىء يختلف عن عقولنا ، ونعتقد أن المسلمين ليسوا بقادرين على أن يفهموا فكرنا ويمثلوه ، ناسين كلمة نبيهم الرائعة ، التى كانت مصدر الهدى لحضارتهم الأولى ، والتى تقول : « فضل العلم أفضل من العبادة » . إنى لأتساءل : أى رئيس دينى ، أو أى مبشر عظيم جرؤ فى يوم أن يتلفظ هذا الكلام الجسور ، الذى يكون «دستور الايمان» لعالمنا الثقافى اليوم ، فى حين

أن كلاماً كهذا كان يعد — لزمن غير بعيد — كفراً عند الجمهرة الكبرى من العقول المثقفة . بل أستطيع أن أتساءل أى أوربى فى عصر محمد استطاع أن يفكر بامكانية قطاعة كهذه ! . . وعلى هذه ، فأصح البديهيات عن حرية الفكر ، هذه البديهيات التى تدع وراءها أجرأ آراء « لوثر » و « كالفن » وأمثالها ، إنما فاه بها عربى من أهل القرن السابع ، هو مؤسس ذلك الدين الذى يزعم كثير منا أنه منحط انحطاطاً لا يرجى له علاج . وفى الحق ، ان تذوق العلم ، والتأملات الفكرية فى شتى الميادين ، وان حب الفكر الاغريقى والاعجاب بمآثره ، وهذا الفضول الملح لمعرفة ماوراء الطبيعة ، والرغبة الحادة فى رفع النقاب عن هذه الطبيعة — كل أولئك كان يمثل المزايا الصحيحة للروح العربية . إن هؤلاء العرب العظام الذين فقناهم فى الأربعة القرون الخالية ، كانوا الأساتذة الكبار للفكر الحديث قبل عصر النهضة » .

بيد أن العلماء الذين كان عليهم أن يرعوا تعاليم الاسلام الصحيحة مالبثوا مع الزمن ، أن رقفوا كل اهتمامهم على الفرعيات الصغرى من العبادات ، فكانت ، بذلك مفارقة خطرة لعمود الشرع الأول ، وكانت أن نشأت فى البلدان الاسلامية رجعية متحرجة ، وتعصب مخالف لروح الاسلام ، وطغت على مراكز الثقافة العربية مدرسية متطرفة كالتى عرفت فى القرون الوسطى ، تشوبها طائفة من الخرافات الفارغة . فد الجهل رواقه على الطبقات الدنيا ، فرغبت عن كل تجديد وأصبح المجتمع الاسلامى فاسدا على الجملة .

إن روح الاسلام لا تعنى — على أى حال — الاطمئنان إلى هذا الوضع الذى يسود العالم الاسلامى ، أو القناعة به . لأن الجبر (أى الاعتقاد بالقضاء والقدر على أنهما اجبار) لا يؤلف قسما من العقيدة الدينية . أما العامة ، فقد تملكتها بسبب الجهل والعبودية السياسية فيما بعد روح قناعة وتسليم تكفى لاحداث ركود عام فكان بذلك سبب رئيسى من الأسباب التى عاقت التقدم السياسى والاقتصادى للدول الاسلامية

لقد تقدمت دول النصرانية فى ميدان الحياة المادية ، كما تقدم المسلمون

زمان كانوا يخضعون لتعاليم الشرع التى نادت بحرية الفكر ، وحضت على طلب العلم . ودرس ماخلق الله . لقد اطرح الأوروبيون الأصفاد الاكليركية والمدرسية الضيقة : فكان تقدمهم فى الحقل المادى مدعاة للدهشة . بقدرما كانت الفتوح — المادية والروحية — التى قام بها المسلمون الأولون .

وضعف آخر عانى منه الاسلام كثيراً فى تاريخه . هو نفوذ الاوتوقراطية السياسية السيىء . فان قيام الاوتوقراطية المستبدة على رأس الاسلام قد أضر به كثيراً فى الحقبة التى سبقت الحروب الصليبية بقليل . إذ كان جو الفساد الذى خلقته هذه الاوتوقراطية المستبدة عائقا لنمو الاسلام . فتفسخت الأمصار الاسلامية إلى وحدات يسيطر عليها طغاة منهمكون فى منازعاتهم وحروبهم التى يستغل فيها الدين ويسخر لأغراض غريبة عنه . فما طال الزمن حتى كان الشرق المسلم غارقا فى ظلام عميق ، ضيق من أفقه الثقافى . وانتهى به إلى عقم أدبى عام

وعامل هام آخر ساعد على تأخر المسلمين . هو نشوء شعور بالتسامى مزور قام على التبجح بالفتوح العظيمة . والتغنى بمآثر الاسلام فى العصور الأولى . وحمل المسلمين على أن ينظروا إلى المخترعات الحديثة التى ولدها العقل الغربى نظرة استحقار واستخفاف .

إن المسلمين فى عصور انحطاطهم لا يشبهون المسلمين الأول إلا قليلا . فلم يعملوا بما تضمنته شريعتهم . ولاعنوا بتتبع سنن نبيهم . لقد قطع المسلمون شوطا بعيداً فى الحقول العقلية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية أيام استمسكوا بأمر دينهم ونهيه . ولكنهم لما رغبوا عن حبلهم هذا المتين . فقدوا روح البطولة . وأسقط فى يدهم . فأهملوا تثقيف أولادهم . كما أهملوا تثقيف بناتهم بخاصة . لقد ناءوا بهذه الحضارة وهذه الثقافة التى بناها أسلافهم بتأثير القرآن . والتأسى الشريف بالنبى ﷺ . فمااستطاعوا لهاصونا . وضعفت روح التكتل وأخذ التفسخ يظهر واضحا

وكان الغزو المغولى فى القرن الثالث عشر ضربة أخرى شديدة على الثقافة

الاسلامية إذ عطلت جيوش جنكيزخان أعظم مراكز العلم ، وأودت بمعظم العلماء . كان كل ذلك فى يوم كانت فيه الحدود الشرقية للامبراطورية الاسلامية غير مصونة إلا قليلا . وهنا نلاحظ أن فرضا من فروض الشريعة قد نسى أو أهمل : هو الجهاد . فانتهى الأمر أخيراً إلى سقوط بقايا الامبراطورية الاسلامية فى أيدى دول الاستعمار الأوروبية .

لقد عاقت الحروب الصليبية نمو الاسلام . فى حين أن اكتشاف طريق الهند التجارية الشرقيـة . واكتشاف أميركا مع مادعا إليه من اتجاه التجارة العالمية ناحية الغرب الى جانب ازدهار الحركة الصناعية والمواصلات عبر المحيط كل ذلك كسف أخيراً عالم الاسلام . فما آذن الزمن بالقرن الثامن عشر . حتى كان العالم الاسلامى غارقا فى سبات بينا شهد القرن التاسع عشر سقوط الدول الاسلامية . الواحدة بعد الأخرى . فى قبضة الدول الغربية المغيرة .

ولـكن السبات والركود ليسا من مبادىء الاسلام : إن هما إلا نتيجة لاحداث سياسية واقتصادية . وهكذا أخذت تقوم فى ذلك الحين محاولات فى الاصلاح الدينى . أظهرت واضحا أن خلف الرماد حياة للاسلام صحيحة فذة . هذه الحركات الاصلاحية نشطت لاحياء مجد الاسلام الأول . وطمحت إلى إعادة الدين إلى شكله الصافى الخالص قبل أن تثقله المعتقدات الدخيلة والبدع المفسدة .

وكان ابن تيمية فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) العـدو الأول لهذه البدع . ولـكن أربعة قرون انصرمت قبل أن تؤتى آثاره أكلها يانعا . ففى القرن الثامن عشر تأثر محمد بن عبد الوهاب من أهل نجد . بدراسة مؤلفات ابن تيمية فحاول كما حاول أستاذه من قبله أن يرجع للاسلام حيويته الأولى وصفاءه الأول . وأن يجتث الرذائل . ويبطل البدع المخالفة لتعاليم الدين الفطرية عزماً حملته فى سبيل هذا الاصلاح الدينى حوالى سنة ١٧٤٠ بعد أن حز فى نفسه ما رآه من التفسخ الأخلاقى وذيوع الخرافات بين المسلمين . وفى سبيل هذا بشر محمد بن عبد الوهاب بالرجوع إلى مصدرى الاسلام الأولين كتاب الله وسنة رسوله .

وقد حمل هـذا المصلح الطهرى . مؤسس الوهابية كل ما فى وسعه ليعيد للاسـلام بساطته الشديدة الأولى . فكانت الحركة الوهابية فى الواقع بشـير الانتعاش للاسلام الحديث . ولا نستطيع هنا . بداعى ضيق المجال أن نعرض بكلام مسهب لنمو هذه الحركة . إنما يكفى الذكر أنها نشأت فى جزيرة العرب فى ظل البيت السعودى وانتشرت فى نجد . ثم فى الحجاز زمنا قصيراً تقلصت عنه بعده إلى أن قام عبد العزيز بن سعود ببضع حملات ناجحات استعاد بها الحجاز وضرب بسلطانه على القسم الأعظم من بلاد العرب .

امتدت الحركة الوهابيـة إلى ما وراء الجزيرة . وعملت على إثارة حركات مشابهة . مستوحاة منها فى الهند وافريقيا وجزر الملاى · بل إن حركة السنوسى الشهيرة نفسها مدينة فى منشئها للايحاء الوهابى .

ففى منتصف القرن التاسع عشر حمل السير سيد أحمد خان لواء حركة تحريرية إصلاحية فى الهند . كان من ثمارها تأسيس جامعة إسلامية فى عليكره يتلقى فيها الطلاب إلى جانب التربية الدينية . ثقافة عصرية عميقة . ولقد اتجه السير سيد على فى المسائل الفقهية اتجاها حديثا محاولا أن يلائم بين حياة الشعوب الاسلامية وبين العصر الجديد وأن يؤلف بين الثقافة والتقاليد الاسلامية . وبين الآراء الحديثة والعلم الحديث .

وبعد وفاة السير سيد تعهد الحركة مولاى شيراغ على ومن بعده سيد أمير على الذى عبر عن آراء المجددين فى كتابه المعروف : « روح الاسلام » وتطورت الحركة من بعـده ، جامعة بين « العقلية » والتحرر ، وكان لها ممثلها فى شخص : « س خودا بخش » صاحب كتاب « وسائل هندية وإسلامية »

ويجب أن نذكر بصدد هذه الحركة العمل الذى قام به حكيم أجمل خان ، من دهلى ، إذ وقف نفسه على تدريب الطلبة المتأخرين من الجامعة فى عليكرة ، وبعثهم إلى الخارج مبشرين ، لينشروا بين شباب الطبقات المثقفة . ثقافة إسلامية حديثة مؤسسة قبل كل شيء على القرآن

أما أعظم مصلح فى الهند الاسلامية غير مدافع فهو المرحوم السير محمد اقبال

الفيلسوف الشاعر الكبير . الذي ألهمت آراؤه ومؤلفاته « مدرسة » من المفكرين الدينيين والسياسيين في الهند . ومن أبرز آثاره كتابه الممتع عن « تجديد التفكير الديني في الاسلام » الذي كان يريد فيه كما يقول « أن يلبي ولو جزئيا هذه الرغبة الملحة في إيجاد شكل علمي للمعرفة الدينية عن تجديد طريق الفلسفة الدينية الاسلامية على أساس من تقاليد الاسلام والتطورات الأخيرة في مختلف ميادين المعرفة الانسانية . » ولكي نقدم فكرة صادقة عن قيمة مؤلف السير محمد إقبال هذا لانجد أفضل من أن نقتبس ههنا الفقرة التالية من مراجعة له بقلم عالم « غربي » ممتاز لما فيها من « إشارة » الى العلاقات الغربية الاسلامية :

« إن العالم الغربي لا يعرف السير محمد اقبال ـ اذا استثنينا طبقة من الخاصة صغيرة — المعرفة التي يستحقها . قد لا يكون محمد اقبال مؤرخاً ولكنه فيلسوف لاهوتي ديني من الطبقة الأولى بعقل معجز جبار . وإدراك هذه الحقيقة لم يكن بالسهل على الغرب بسبب « إسلامية » إقبال كما كان في شأن طاغور الشاعر الغامض وغاندي الذكي الغريب . ان من الجميل أن يكتشف الغرب مسلما مجدداً حقا هو في الأقل صنو لاعظم مفكري الغرب في كل ناحية .

كم يكون من المؤسف أن نسلب القارىء الغربي لذة الاكتشاف الشخصي بتقديمنا هذا الرجل اليه ملخصا . فليس هناك رجل في العالم المسيحي يحق أن يدعى عصريا — أو ما شئت من النعوت — اذا لم يكن قد « اكتشف » بعد محمد اقبال وليس هناك كتاب للسير محمد أجدر من هذا كأداة وصل في هذا التعرف » .

فاذا انتقلنا الى تركية ، كان علينا أن نشير الى حركة اصلاحية سايرت ثورة سنة ١٩٠٨ . فحزب « تركية الفتاة » نادى بالاخوة والمساواة بين رعايا السلطان جميعا . وكان أحد مقدمي الزعماء في « جمعية الاتحاد والترقي » المصلح والسياسي الأمير سعيد حليم باشا الذي كان يعتقد أن الاصلاح لا يقوم على اقتباس ما هو غربي ، بل بالعودة الى الاسلام . وكان يعمل لامبراطورية إسلامية مستقلة ،

ويؤيد الخلافة فعل الكثرة المطلقة من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، مسترشداً بغاياته الأولى وهى بناء الدولة الاسلامية الصحيحة على قواعد حديثة . ولكن مؤثرات مغايرة كل المغايرة لأهداف الأمير سعيد حليم باشا ما لبثت أن ذرت قرنها، فقامت فكرة الوحدة الطورانية . رامية إلى خلق ثقافة تركية قومية حديثة

بيد أن أبرز المصلحين فى القرن التاسع عشر كان السيد جمال الدين الأفغانى الذى كان له الأثر الأعمق على الحركات الاصلاحية فى شتى الأقطار الاسلامية . ومصر بخاصة حيث قضى ثمانى سنوات (١٨٧١ — ١٨٧٩) وحيث تتلمذ عليه الشيخ محمد عبده . مفتى الديار المصرية الذى توفى سنة ١٩٠٥

لقد شملت أعمال هذا الرجل العظيم جميع أمصار الاسلام على التقريب . فخضعت أفغانستان وإيران وتركية ومصر والهند جميعاً . وفى فترات متباينة لأثره البعيد .

إن غاية جمال الدين القصوى كانت توحيد الشعوب الاسلامية فى ظل دولة إسلامية واحدة يمارس فيها الخليفة سلطة مطلقة كالتى كانت للخلفاء فى أيام الاسلام الغرر قبل أن تنهك من قواه الفتن والتفسخات . وقبل أن تغرق البلدان الاسلامية فى ظلام من الجهل والسكنة . فتصبح فريسة الاعتداء الغربى. كان يعتقد أن هذه الدول الاسلامية اذا تخلصت يوما من وباء الاستعمار الغربى والتدخلات الغربية . وجددت نظرتها الى الدين بحسب مقتضيات العصر ، استطاعت أن تخلق لنفسها أوضاعا جديدة باهرة دون تقليد للدول الغربية أو اعتماد عليها . وعنده أن الدين الاسلامى فى جوهره دين دنيا . وأنه قادر إلى أبعد حد لما له من قوة روحيه على أن يساير اختلاف أحوال الحياة . ويرى أن الثورات السياسية هى أسرع وأضمن سبيل يوفر للشعوب الاسلامية الحرية التى لا تستطيع هذه الشعوب أن تنتظم أمورها الداخلية بدونها . وقد وصف مؤرخ مصرى احتكاك جمال الدين بالشئون المصرية بهذه الكلمات . « لقد

ولدت بنزول جمال الدين مصر حركة جديدة قالت بوجوب تحديد التدخل الاجنبي والحكم الاوتوقراطي . وحاولت تحضير عقول الشعب لانشاء نظام قومي متحرر كما بذلت جهود لاصلاح الحالة الاجتماعية للجماعات عن طريق تفسير جديد لتعاليم الدين التي أفسدت من روحها الخرافات والتقاليد والتفصيلات الفقهية في عصور الظلام .

قادت هذه الحركة إلى يقظة صحيحة تظهرت في الاسلام الديني . كما تظهرت في البعث الثقافي والأدبي . وفي التطورات السياسية التي دلت على تطور في الروح القومي . لقد كان جمال الدين أعظم شارح لفكرة الجامعة الاسلامية .

وأخذت الحركة الاصلاحية والتجديدية في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر شكلا محدداً على يد الشيخ محمد عبده قاصدة إلى تحرير الاسلام من القيود التي كبله بها التقليد المتحجر . وإلى الاصلاح الذي يجعل هذا الدين قادراً على مسايرة الحياة المصرية . وهكذا نشر محمد عبده في مصر روح أستاذه جمال الدين ومثله العليا . وعمرت هذه الحركة في مصر إلى وقتنا الحاضر تاركة آثارها في شتى الميادين كما لاقت آراء الشيخ محمد عبده أذنا صاغية بين الطبقات المثقفة في مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية فتقبلوها بقبول حسن .

وكان السيد محمد رشيد رضا السوري الأصل مقدم تلاميذ الشيخ محمد عبده . فلما قبض الشيخ الامام ظل رشيد رضا الأمين على رسالته . والشارح لتعاليمه . وهو مؤسس مجلة « المنار » المشهورة التي أصبحت بعد لسان الدعوة لآراء الشيخ محمد عبده . ومعقل الكفاح لتحقيق إصلاحاته . وهناك مدرسة ثانية من المجددين تأثرت بعيداً بحركة الشيخ محمد عبده بين رجالها أمثال قاسم أمين وفريد وجدي وعلى عبد الرزاق (مؤلف كتاب «الاسلام وأصول الحكم» وغيرهم من كبار الرجال .

وانا لنلمس آثار جمال الدين الأفغاني في الأجزاء القاصية من العالم الاسلامي . كروسيا مثلا حيث هب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مصلح مشهور هو اسماعيل جاسبرنسكي محرر جريدة « ترجمان » الصادرة في

من بلاد القرم ، والذى دعا إلى عقد مؤتمر اسلامي عالمي لبحث المسائل المتعلقة بالحركة الاصلاحية الاسلامية .

إذا نظرنا إلى الحال اليوم ، رأينا الاسلام يواجه إزمة اختلاف فى تأويلها المفكرون المسلمون والغربيون . قال السير محمد إقبال :

« إن الملاحظ السطحى للعالم الاسلامى الحديث هو وحده الذى يعتقد أن الأزمة الحالية فى هذا العالم الاسلامى إنما ترجع إلى أيدى القوى الأجنبية .

« إن مسألة ما اذا كان الفرد مسلما ، هى من وجهة النظر الاسلامية مسألة شرعية صرفة يحكم فيها على أساس المبادىء الرئيسية للاسلام . وما دام الفرد مؤمنا بالمبدئين الرئيسيين : وحدانية الله ورسالة نبيه فلا يستطيع أحد حتى أكثر الملوية تحرجا أن يخرجه من حظيرة الاسلام على الرغم من فهمه للشريعة أو لنص القرآن فهما يعتقد فيه الخطأ . لقد عانى الاسلام جموداً كبيراً وآن للمسلمين أن ينظروا إلى الحقائق. ان المادية سلاح خطير ضد الدين ولكنه ناجح مستحب إذا جرد على الطرق الملوية والطرق الصوفية التى تشعوذ على الرعاع مستغلة جهلهم وصرعة تصديقهم . ان روح الاسلام لاتخشى شيئاً من احتكاكها بالمادة . وفى الحق إن القرآن يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا »

« إن من الصعب على غير المسلم ـ إذا اعتبرنا تاريخ العالم الاسلامى خلال القرون الأخيرة ـ أن يدرك أن التقدم فى النظرة المادية لا يعدو أن يكون ضربا من تحقيق الذاتية . »

ومن ناحية أخرى نجد روم لاندو يصف تأثراته حيال الروح الحية التى تسرى فى مصر اليوم :

« انمصر الحديثة تقتبس اليوم عن أوروبا بسرعة توافقة طامحة إلى أن تلحق بالغرب فى مضمار المدنية الحديثة . وترى فى الوقت عينه وعند الشباب بخاصة ، قومية متطرفة تتخذ فى بعض الأحيان شكل العداء لكل ما هوأجنبى . ومهما كان هذا النوع من القومية داعيا الى الأسف فذلك شىء طبيعى عند شعب حاد

المزاج يطمح أن يرى بلاده مستقلة بعد مئات السنوات من السيطرة الأجنبية .

« ان معضلة الطالب المصرى تكاد تكون عين معضلة الروح المصرية الحديثة كلاهما يجتاز الآن مرحلة انتقال وفى كليهما اللهفة والنزق وغرور الشباب وحساسيته إن العناصر الروحية والمادية والدينية والقومية تختلط جميعاً الى درجة لايرجى معها حل للمعضلة عن طريق نوع بعينه من هذه الاصلاحات . ورجال السياسة المصرية لم يعتمدوا فى يوم على معاونة زعماء الدين والفكر معاونة فعالة اعتمادهم فى يومنا هذا لا ه ليس من ناقد نزيه يعتقد أن معضلة الشباب المصرى يمكن حلها دون أصلاح روحى عميق يشمل تأثيره الشبان ويعدوهم الى الزعماء والسياسين . »

فاذا عرفنا أن التطور فى البلدان الاسلامية كان دائما على أساس الدين (ولا يمكن أن يكون إلا كذلك) اتضح أن إصلاحا روحياً كالذى يتكلم عليه روم لاندو لايتوفر إلا عن طريق تثقيف شباب الاسلام تثقيفا دينيا صحيحا

إن نشوة القومية فى البلدان الاسلامية يجب أن ينظر اليه « كرد فعل » دفاعى ضد الاستيلاء الغربى وكنتيجة للاعتقاد بأن التحرر الكامل من الغرب ـ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ـ شرط أساسى لنهوض الاسلام . وهكذا كان من الطبيعى للاقطار الاسلامية فى هذا الدور من نشوئها أن ترى فى القومية مصدر قوة وسلطان . ومهما كان فان هذا المظهر الانتقالى من القومية لابد أن يفسح المجال يوما لضرب من «جامعة أمم» اسلامية مؤسسة البنيان على قواعد روحية . ان المسلمين لا يستطيعون أن يفرطوا بتراث ثقافتهم الروحية العظيمة لمجرد تقليد القومية الأجنبية فى مظهرها الحالى . فالنتائج المضرة لهذا النوع المتطرف من القومية أوضح من أن تؤكد .

بيد أن بلدان الاسلام بالرغم من هذه القومية التى تطغى عليها تظل فى الحق أكثر تجانسا وأبعد وحدة ثقافية من دول أوروبا فى شطر كبير من العالم الاسلامى أعنى فى الشرق العربى . تسود لغة واحدة للتخاطب والكتابة ذات تراث أدبى وفلسفى غنى جدا . ويستطيع أن يدرسها بسهولة المثقفون فى العالم

الاسلامى كله تلك هى اللغة العربية اللغة المشتركة لستين أو سبعين مليونا من الناس من مراكش إلى الخليج الفارسى وهى تحتل اليوم فى الأهمية المرتبة الرابعة بين لغات العالم كما أنها اللغة الدينية للعالم الاسلامي قاطبة — على حين أن اللاتينية — وقد كانت فى العصور الوسطى لغة مشتركة بين العلماء الأوروبيين لم تعد منذ زمان واسطة التعبير . وليس بين اللغات الحية واحدة لها حظ فى أن تصبح اللغة المشتركة أوفى أوروبا . بيد أننا لا يجب أن ننسى أن الدعاية القومية مع تأكيدها على الفروقات اللغوية تجعل هذا التطور بعيد الاحتمال فى الوقت الحاضر

أما الفروق فى النواحى الأخرى . أعنى فى نسيج المجتمع والمثل العليا السياسية . فالفروق بين مختلف أجزاء أوروبا أكبر بكثير منها بين مختلف أجزاء العالم الاسلامى . فالعالم الاسلامى أقرب إلى أن يكون وحدة وبخاصة فى مزاياه الاجتماعية والثقافية ومؤسساته من أوروبا كلها .

إن من الخطأ أن نزعم أن المثقفين من المسلمين ، والطبقات الرفيعة فى المجتمع الاسلامى قد أخذت فى الابتعاد عن الدين أو عدم الاكتراث به ، بداعى الاقبال على الحضارة الأوروبية والنسج على منوالها . بل أننا ليمكننا أن نذكر دليلا واحداً يؤيد العكس ، وذلك فى مصر حيث تزدهر حركة عظيمة للاحياء الدينى إلى جانب حركة اقتباس الحضارة الغربية فمجلة « الرسالة » وهى مظهر التقدم للفكر العربى الحديث والثقافة العربية الحديثة . تنشر فى كل عام عدداً خاصا بذكرى العام الهجرى الجديد عنه زعماء الفكر . وبينهم رجال المدرسة الجديدة بمقالات فى الموضوعات الاسلامية . تظهر بوضوح روح احترامهم لشخص النبي وللقرآن . وهكذا فالتوفيق الظاهر بين الحركة الاصلاحية الدينية وبين النظريات القومية . هذا التوفيق الذى يكون اليوم عاملا قويا فى نهوض الأقطار الاسلامية . يجب أن ينظر إليه — كما المعنا — كظاهرة زائلة لا تتعارض مع النزعة إلى إحياء دينى خالص . وفى الحق أن فى العالم الاسلامى اليوم جهوداً فردية تحاول أن تنظر إلى الدين نظراً صحيحاً . ولكن أصحاب هذه الجهود جميعاً يدركون ضرورة الاخلاص للقرآن والحديث . وليس هنالك مسألة إصلاح

ديني على أساس مذاهب أو « كنائس » مستقلة كما كان الحال فى الغرب لأنه ليس فى الاسلام مكان لعقيدة « الكنيسة » هذه. إن الاسلام اليوم وغداً لن يقف فى وجه التطور الاسلامي فحسب بل سيكون هو ملهم هذا التطور وبكلمة ثانية . فان الصبغة الدينية تطبع التطورات السياسية والثقافية والاجتماعية كلها . إن الرابط الديني . وهو أعمق ما يشد بين الشعوب الاسلامية على رغم الفروقات العنصرية واللغوية سيظل الأساس لتطور البلدان الاسلامية الاجتماعى . وهكذا تزداد المعتقدات الدينيـة قوة على قوة لدى الأفراد . ولدى الأمة كمجموع .

« المحرر » ننشر هـذا المقال وندع للكاتب رأيه الخاص فى الأشخاص والحوادث التى ورد ذكرها فيه ولكنا نستخلص منه هذه الحقائق التى يزيد أن ينعم النظر فيها دعاة النهوض والاصلاح .

« ١ » إن المسلمين الآن قد خالفوا تعاليم الاسلام الصحيحة

« ٢ » إنهم بذلك ليسوا على نهج أسلافهم

« ٣ » إن طبيعة الاسلام تأبى السبات والركود فلا يأس من الاصلاح

« ٤ » إن فكرة القوميات فى بلاد الاسلام أنى كانت رد فعل للتعصب الأجنبي

« ٥ » إن التطور فى البلاد الاسلامية كان دائما على أساس من الدين (ولا يكون إلا كذلك)

(٦) إن الاتجاه الديني اليوم قوى حتى بين من تثقفوا ثقافة أوربية محنة

« ٧ » ان الرابط الديني سيظل دائماً هو الأساس والملهم للنهضة الحديثة

نقلا عن مجلة (الايمان) البيروتية

من خطبة لمستر ماكدونالد وزير المستعمرات الانجليزية

« إن العالم الاسلامي دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الاسلامي العظيم من قوة مضافا إلى التعاليم الحديثة إن تطوراً جديداً قد طرأ على العالم الاسلامي وهو تطور يجب أن نحسب له حسابا دقيقاً »

صاحب المنار

السيد محمد رشيد رضا

(إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) سورة يس

مات السيد رشيد رضا ، فمات بموته المنار ، ونعاه الناعون مع نعيه ؛ وأبنه المؤبنون في حفلة تأبينه ، واقترن الأسى على حرمان المسلمين من المنار ، بالأسى على منشيء المنار ، وقد مضى أربع سنين خفت فيها ذلك الصوت المدوّي الذي كان يملأ طباق الأرض ، وخبا النور الذي كان يشع في الشرق والغرب ، أربع سنين عسعس ليلها، وحار دليلها ، ومل حذاقها ، حتى إذا استيئس الركب، وظنوا أنهم قد أحيط بهم ، لمع لهم نور (المنار) من مشرق جديد ، يبدد الظلم ، ويكشف الغمم ، ويشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم .

ولقد طالما قال القائلون ، إن أعمال المسلمين يقضي عليها بالفشل ، تموت بموت أصحابها فلا تحس لها وجودا ، ولا تسمع لها ركزا، مات (المؤيد) بموت الشيخ علي يوسف ، ومات أمين الرافعي فماتت (الأخبار) بموته ، ومات السيد رشيد فودع المنار يوم وداعه ومات صاحب (الأهرام) فهل أثر موته في انتشار الأهرام ؟ ومات جورجي زيدان منشيء (الهلال) فلم يحل موته دون ذيوعه واطراد نموه ، ومات الدكتور صروف أحد أصحاب المقطم والمقتطف فلم يفت الوهن في عضد شريكه ، وظل في مده وقراهته .

ألا فليطمئن هؤلاء بالا ، فقد شذت القاعدة ، وانخرقت العادة ، وانبعث (المنار) من مرقده ، وعاد إلى الظهور وضاح المحيا ، باسم الثغر ، يستأنف جهاده ، ويتمم رسالته ، وتحتضنه جماعة الاخوان المسلمين ، المنبثين في العالم الاسلامي ، بحرارة إيمانهم ، ودافع غيرتهم ، متكئين على ماضي (المنار) المجيد

وسمعته القرآء مترحمين خطا منشئه العظيم فى إخلاصه وبلائه ، وصبره وأناته ، مغترفين من فيض حكمته ، مقتبسين من أنوار معارفه ، فلقد كان — رحمة الله عليه — أمة وحده وكان حجة من حجج الله على عباده حتى لقد أتعب من بعده ، وظل الفراغ شاغـرا فلم نجد من يسد مسده ، وأحجم كل من تقدمنا إليهم فى المعاونة على استمرار (المنـار) معتذرين بعظم المسئولية وعدم إستكمال الأدوات ، يستوى فى ذلك علماء مصر الأعلام ، وغيرهم من علماء الاسلام وأذكر هنا كلمة المرحوم الشيخ حسين والى من كبار الأزهر المشهورين التى قالهـا لنا أيام المـأتم ونحن نتذاكر الأمر : إيتونى برجل اجتمع فيه علم السيد رشيد وصلاحه ، وإخلاصه ، وصبره ، وثقة العالم الاسلامى به ، وأنا أضمن لكم إستمرار (المنار) وقال نحو ذلك الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار . وكان الذين يتمنون هـذه الأمنية ، إنما قصارى أمنيتهم أن يكون المنـار الجديد صدى المنار القـديم ، حتى لا يسكت ذلك الصوت الصارخ ، ولا تخلو الأرض من قائم لله بحجة .

ولاشك أن المـؤمنين سيفرحـون بنصر الفكرة ، وتحقيق الأمنية ، وسيتقبلون المنار بقبول حسن ، وسيرحبون بمبادىء الاسلام الصحيحة ، قبل أن تتناولها أيدى التحريف ، وتلعب بها رياح التضليل ، وسيحملهم ذلك الحرص على الرجوع الى مجلدات المنار القديمة ، بل الرياض النضيرة ، يتفيئون ظلالها ، ويقطفون ثمرها وإن جناها لدان ، وإنه لمستساغ فى الها

ولمـا كان المنار الجديد سيعرف قراء جديدين ، وستتناوله أيد جديدة ، وسينضم له أعضاء جدد ، كان من المستحسن أن نقدم لهم ترجمة مختصرة عن صاحب المنار : نشأته وإصلاحه وآثاره وسائر ما يتصل بذلك ، لتكون نورا بين يدى القراء ، فالى اللقاء

عبد السميع البطل

فلسفة النفاق

المنافقون فى فلسطين وحكمهم

بقلم أحد علماء الأزهر الفضلاء

« بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فان العزة لله جميعا » سورة النساء

تنادى الناس فى فلسطين إلى الدفاع عن أنفسهم والذود عن بلادهم والجهاد فى سبيل الله . فنفر فريق بنفسه ، وأعان فريق بماله ، وساهم فريق بجهده ، وقعد المخلفون .

والمخلفون عن الأمة فى كل زمان هم المنافقون فيها ، يتخلفون عن جماعتها ، ويخرجون على أمرها ، ويقعدون عن نصرتها ، ويعملون على خذلانها . ويتولون أعداءها . ذلك أن الايمان لم يدخل قلوبهم . والاخلاص لا يجد سبيلا إلى نفوسهم . والخير بعيد عنهم . والشر قريب منهم . فهم أعداء الله والناس وأعداء أنفسهم لو كانوا يعلمون . ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾

هؤلاء المخلفون المنافقون هم الثلمة التى ينشدها أعداء الأمة فى صفوفها المتراصة ، يبصرون منها عوراتها . ويستطلعون أخبارها ويستكشفون أسرارها ، وينفذون منها إلى معاقلها الحصينة وحصونها الأمينة ، وهم مطايا الاستعباد ، ونذر السوء ، وأبواق الشر ، وعون العدو ينال بهم ما لا يقدر على نيله بقضه وقضيضه وعدته وعديده

لقد هب الناس جميعا فى فلسطين لدفع كارثة التهويد والاستعمار عن بلادهم

ورفع الظلم النازل بهم ، ونفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولم يبق منهم من لم يساهم فى هذا السبيل بنصيب كثير أو قليل ، إلا أولئك المخلفون الخائنون الذين طبع الله على قلوبهم ، واستحوذ الشيطان على عقولهم، فانحازوا إلى العدو ، وقعدوا عن نصرة بلادهم ، وفرحوا بمقعدهم وراء العاملين المجاهدين من أمتهم ، يتربصون بهم الدوائر ، ويترقبون بهم النوائب ، وإن تمسسهم حسنة تسؤهم وإن تصبهم سيئة يفرحوا بها . تقر أعينهم بما تفيض له أعين الناس بالدمع ، وتسر أنفسهم بما تذهب أنفس المؤمنين عليه حسرات ، يرون وقد أعمى الله بصائرهم ، وأمات الفسق ضمائرهم فى ضعف أمتهم قوة لهم، وفى ذلها عزهم .فهم دوما يسلكون سبيلا غير سبيلها، وهم أبداً يعملون مع عدوها

هذا هو حال أولئك المخلفين المنافقين فى فلسطين اليوم ، وكذلك حالهم فى كل زمان ، وكذلك يكونون فى كل أمة ، يدخلون فى عدادها وهم أعداؤها ، وينتمون اليها وليسوا منها ، وكما فى الحيوان والنبات طفيليات تعلق جسمه وتلصق به فتأكل غذاءه وتتنفس هواءه وتترحمه فى معايشه وتعوق نموه فيؤدى ذلك إلى ضعفه ففنائه

كذلك فى البشر طفيليون هم هؤلاء المنافقون ، يعملون فى الانسان عمل ذلك الحيوان والنبات ، حذوك النعل بالنعل

وكما يعمد صاحب البستان فى تعهد نباته إلى المبادرة بإزالة هذه الطفيليات عنه والمسارعة فى إفنائها استبقاءله وحفظاً لثمره ، كذلك يفعل الناس بالمنافقين الخائنين منهم يعمدون إلى إزالتهم ويعملون على إبادتهم كيما يحفظوا أممهم ، وتسلم لهم نفوسهم وجهودهم

ولئن كان الناس منذ القديم يرون فى أعمال هؤلاء أعظم الضرر وأسوأ الجريمة ، ويعدون فعلتهم خيانة عظمى لا تعدلها أية خيانة ويجعلون جزاءها الموت ، فكذلك كان حكم الله عليهم، وكذلك كان قوله فيهم إذ يخاطب رسوله بشأنهم فيقول ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين ، أينما ثقفوا أخذوا

وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .
فالله سبحانه حين ينذر هؤلاء باغراء رسوله بهم ، وباخراجهم من البلاد فلا يجاورونه فيها وبلعنهم وطردهم من رحمته ، فهو يطالب بتعقيبهم داخل البلد وخارجها وأخذهم أينما وجدوا وأن يقتلوا تقتيلا . ذلك أنهم حيث ما كانوا لا يدخرون وسعاً فى أذية أمتهم والكيد لقوتهم وموالاة أعدائهم .

وتلك سنة الله فى الخائنين من خلقه من قبل ومن بعد ، وذلك حكمه فى كل زمان على المنافقين ، وعلى الذين فى قلوبهم مرض من فجور وفسق يصدهم عن رضاء الله وصالح قومهم حباً لذاتهم واتباعاً لشهواتهم ، وذلك حكمه أيضا على الذين يرجفون حول المؤمنين فيشيعون أخباراً سيئة عنهم ويقومون بالدعايات المضللة ضدهم لاضعاف شأنهم وتوهين قواهم وتثبيط عزائمهم كما يفعل الخائنون المنافقون فى فلسطين اليوم .

وما أشبه حال المنافقين اليوم حين أدلى كبيرهم بحديث لبعض الصحف المصرية يقول فيه « لو كنا نعلم أن هذه الثورة تقوم ضد الانكليز واليهود لساهمنا فيها ولكنها تقوم ضد العرب أنفسهم » . ما أشبه ذلك بحال المنافقين فى عهد رسول الله فيهم ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾

بل ما أشبه هؤلاء الخائنين فى فلسطين إذ تخلفوا عن المؤمنين فى قتالهم وجهادهم وقعدوا من ورائهم يعوقون الناس عن الجهاد بشتى الوسائل ويخوفونهم بأس العدو وقوته ـ ما أشبههم بأسلافهم المنافقين الأولين الذين يقول الله فيهم حين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله والمؤمنين ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ إلى أن يقول تعالى فى الحكم عليهم ﴿ ولا

لا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾

وكما أصدر أحد أئمة النفاق بيانا أسماه الناس « الورقة الصفراء » لما فيه من صفرة الخيانة . تودد فيه إلى اليهود وتغنى بمحاسنهم ورحب بهم أن يكونوا أصحاب البلاد فى حين يريد المؤمنون إخراجهم منها . ومناهم بانتصار حزبه حزب الشيطان لهم . وأغراهم بأن يكون عونهم ليشبع جشعه من أموالهم . فكذلك قال أسلافه المنافقون لليهود السالفين حين عمل المؤمنون على إخراجهم من المدينة وكذلك وعدوهم ومنوهم فقال الله فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً . ولئن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم . ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾

ذلكم بعض ما يقوم به فى فلسطين المنافقون الخائنون الذين يتولى زعمائهم بأنفسهم أكبر أعمال الخيانة لقومهم والتجسس للعدو عليهم والاغراء بالمجاهدين العاملين . والدلالة على معاقلهم ومواطنهم والارشاد إلى أماكن أسلحتهم وذخيرتهم . والمساعدة على قتلهم وتعذيبهم مع أولادهم ونسائهم وهدم مساكنهم وإتلاف مؤنهم وأموالهم كما صنعوا فى قرى بيت نجار وكفر مالك وحاحول والمزرعة الشرقية وبيت ريما وغيرها من القرى والمدن العربية يبتغون بذلك العزة عند العدو ويطلبون الزلفة لديه « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا »

إن ما يقوم به هؤلاء المنافقون من فساد فى الأرض وحرب لله ورسوله فليأذنوا أذن بحرب من الله والمؤمنين « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب أليم »

ذلك حكم الله على المنافقين المخلفين الخائنين وذلك قوله فيهم ومن أصدق من الله قولا ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

فليحذر المؤمنون فى فلسطين هؤلاء المنافقين ولينفذا حكم الله فيهم . من غير أن تأخذهم بهم رأفة أو تعصمهم منهم صلة وقربى « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز . لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »

كلمة الاستاذ الامام فى المنار

وقد شكا المغفور له صاحبه

من قلة الاقبال عليه

الناس فى عماية عن النافع ، وفى انكباب على الضار ، فلا تعجب إذا لم يشرعوا بالاشتراك فى المنار ، فإن الرغبة فى المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر بما هو أصلح للآجل وأعونه على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل فى الأغنياء قليلا والفقراء لا يستطيعون إلى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الأمل فى نجاح العمل .

المنار والاصلاح

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكى

كانت مجلة المنار مجلة إصلاح اسلامى لا يجاريها فى مضمارها مجار ولا يسبقها فى حلبتها سابق كانت تعنى بتفسير القرآن الكريم وشرحه من السنة المحمدية على طريقة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله فبعد أن تقرر المعنى تقفى بما فى الآيات من العبر مقارنة بين ما كان عليه المسلمون الأولون وتمسكهم بالقرآن وعملهم به وما عليه مسلمو هذا الزمان مهيبة بهم منذرة لهم مبينة ما يحدثه المبتدعون فى الدين من البدع مجلية شبه الضلال والملحدين من الأمة بالأدلة الواضحة والحجج الساطعة وكان صاحبها أستاذنا العلامة السيد رشيد رحمه الله لا يخشى فى الحق لومة لائم ولا سطوة حاكم ولا يجامل صديقا ولا يصانع عدوا ولا يرعى غنيا لغناه ولا فقيرا لفقره وكانت خاتمته الحسنى ما ختم به الخاص والعام بما انتهى اليه تفسيره (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) يالها من خاتمة حسنى وموقف جميل لم يكن إلا بتوفيق من الله لعبد رضى الله عنه وتولاه وأدخله فى عباده الصالحين وأوليائه ولما توفى السيد رحمه الله قلت وقال الناس معى:

شعلة أطفئت وشمس توارت ... وكأن الحياة لمع سراب

ووقف المنار وتوارى عن الظهور وخلا الكرسى ولم نجد من يملؤه بعده ولا من يسد مسده ذبا عن الاسلام وذرءاً للشبهات وبيانا لحقيقة الاسلام حتى مضت ثلاث سنين أو أكثر ونحن ندعو الله أن يهب الاسلام مرشدا رشيداً يضىء النهج وليل الجهالات قاتم وكأن الله سمع دعاءنا فقيض لمجلة المنار من يبعثها

[illegible]

عالما ألمعيا وشجاعا عبقريا ذلك هو الأستاذ المرشد الجليل الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين حفظه الله فنهنئه بهذا التوفيق ونهنئ مجلة المنار وقراءها بتولى حضرته رياسة تحريرها ونسأل الله له التوفيق والسداد والعون على القيام بها

وقد انتدبنى حضرته للكتابة فيها بحسن ظنه وما كنت لأخالفه لولا أشغال كثيرة وأعمال متواصلة تستنفذ الوقت كله ولكن لابد من تلبية الطلب كلما وجدت الى ذلك سبيلا بحول الله وقوته وإن كنت مزجى البضاعة عاجز البراعة والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولا قوة إلا بالله

وسيكون موضوع كتابتى ان شاء الله الكتاب والسنة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

وكتبه أبو السمح

لماذا تأخر المسلمون

ولماذا تقدم غيرهم ؟

هذا سؤال طالما ردده المصلحون وكثر ما حاروا فى الاجابة عنه . وعظمت دهشتهم حين رأوا المسلمين ينحدرون إلى هوة الضعف والاستكانة مع كثرة عددهم وخصب أرضهم وتعدد وسائل النجاح عندهم .

وقد أجاب على هذا السؤال عطوفة الأمير شكيب أرسلان فى كتابه « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » إجابة شافية جامعة مانعة وأبان بأنصع برهان وأقوى دليل أسباب نجاح المسلمين الأولين وفشل المسلمين الآخرين وكشف عن سر تقدم الغربيين واليابانيين. والكتاب فى بابه حجة دامغة وصفحة مجيدة وليس لمسلم غناء عنه . فنشكر لعطوفة الأمير عمله العظيم ونحض جميع المسلمين على قراءة كتابه النافع وهو يباع بمكتبة الحلبي بجوار المشهد الحسينى وثمنه خمسة قروش

اتجاه محمود فى الشرق العربي

بقلم الاستاذ عيسى عبده المدرس بمدارس التجارة المصرية
وعضو بعثة المعارف بمنشستر

أرى فى أيامنا هذه اتجاهاً طيباً يتخذه بعض إخواننا فى مصر وغيرها من البلاد العربية . وسيلتهم فيه البحث العلمى المستنير وغايتهم خدمة السواد من أممنا العربية . وهذا السواد هو من غير شك أولى الناس بجهودنا نبذلها فى سبيل التخفيف عنهم اليوم وإسعاد أبنائهم فى الغد القريب — على أننا لا نزال فى أول الطريق . فقد بدأنا بدراسة شئون العامة دراسة تمهد للاصلاح المرتجى ، من ذلك ما يقوم به الأستاذ عمار بجامعة منشستر والدكتور الشافعى بجامعة فؤاد بالقاهرة والبروفسور تود بجامعة بيروت والمستر بتلر رئيس المكتب الدولى للعمل بجنيف . وكلهم تناول شئونا شرقية أو مصرية بحتة . ولكن الناظر فى الشئون الشرقية والعربية من نواحيها الاجتماعية يجد ظواهر مشتركة بين الأقطار جميعاً . وهذا أمر طبيعى فى بلاد جمع بينها منذ ثلاثة عشر قرناً أو تزيد وشائج لا تهن ولا تضعف أساسها وحدة الدين واللغة وبعض آثارها هذا الذى نرى من وحدة الألم والأمل — فمن وصف بعض هذه الأقطار فقد عرف عن بعض ما دام وصفه يتصل بالنظام الاجتماعية :

وحديثنا اليوم يتناول فريقا كبيراً من سكان مصر . ولى منه غرضان :

أولها أن يكون دعوة إلى الشباب المثقف فى الأقطار العربية كافة أن يقوم بعض القادرين منهم بمثل البحوث التى قام بها الغرب من زمن والتى بدأتها مصر مؤخراً .

وثانى الغرضين أن أبين ما ينتظر منا نحن المتعلمين من مساهمة فى حركة الاصلاح

حين درست أحوال العمال منذ عامين تقريبا تكشفت أمور قد تغيب عن بعض وقد يتجاهلها بعض آخر سأذكر بعضها تزكية للدعوة التي أوجهها إلى كل عربي فالحال في بلادنا كما قدمت واحدة .

طبقة الأجراء في مصر تشمل العامل الصناعي والعامل الزراعي ومن عداهما من الأجراء . وتكون الغالبية العظمى من الشعب . ولئن كانت البيانات التي اعتمدنا عليها في كلمتنا هذه قد جمعت من نحو (٨٠٠) ثماني مائة أسرة من أسر العمال المقيمين في القاهرة فانها تعين على تكوين صورة صحيحة عن حال الأجير بوجه عام مع تحفظ واحد هو أنها أشبه بالحال في المدائن دون القرى . فاذا أردنا أن نرى خلالها بيت العامل الزراعي وعيشه وجب أن نزيد من ألوانها القاتمة

حياة العامل

يبدأ الكثير من العمال في سن مبكرة هي الخامسة عشرة . هذا إذا تجاوزنا عما هو سائد في القرى من استغلال لأحداث في أعمال لا تتطلب جهداً كبيراً ، ولكنها رغم بساطتها تعوق نموهم وتفوت عليهم فرصة تحصيل المبادىء الأولية التي لا غنى عنها لأبسط طبقات الشعب . على أن هذه الحال تتبدل اليوم إلى ما هو خير منها فلنتركها جانبا ولنحصر القول فيمن تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر عاما وستين عاما . هؤلاء موزعون كما يلي :

نسبة من لا تبلغ أعمارهم ٢٠ عاما . من العمال ٨ في المائة ومن السكان ١٦ في المائة
ونسبة من لا تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و٣٩ : من العمال ٧١ في المائة ومن السكان ٥٦ في المائة
ومن تتراوح « بين ٤٠ و٤٩ : « ١٦ « « « ١٨ في المائة
ومن « « بين ٥٠ و٥٩ : « ٥ « « « ١٠ في المائة

أما الذين يتخطون الستين من بين العمال فلا يزيدون على اثنين من كل ألف . ونظيرهم من السكان خمسة من كل ألف : ولقد حسبت هذه النسب على عدد الذكور دون الاناث فما يزال العرف في مصر والشرق يجري على أن كسب

العيش من وظائف الرجال .

لبعض هـذه الأرقام دلالة قوية جدا . فنسبة الشباب الذى تتراوح سنه بين العشرين والأربعين والذى يستأثر به العمل أكبر من نظيرتها فى سائر نواحى النشاط الاقتصادى كوظائف الدولة والمهن الحرة . من أجل ذلك جاز لنا أن نقول إن ما يصيبه هؤلاء من عيش ضنك له أسوأ الأثر فى القوى الحيوية للشعب كله

أنظروا إلى الباقين منهم بعد سن الخمسين فى معترك الحياة تجدوهم خمسة من كل مائة . إذن هذا العدد الضخم من الشبان الأجراء البالغين واحداً وسبعين فى المائة من عدد العمال والذين تتراوح أسنانهم بين العشرين والأربعين عاما يخرجون من ميدان العمل خلال الحلقة الخامسة من أعمارهم إلا عددا منهم قليلا. ولقد أثبت البحث أن عدد من يخرج منهم بالترقى إلى مصاف أرباب الأعمال أو مستندا إلى ثروة جمعها أو إلى ولد قادر يكفيه مشقة العمل فى سن متأخرة قليل جدا وأنه أولى بالاغفال . وهكذا تبقى أسباب الخروج من العمل منحصرة فى الموت والعجز . هذه الظاهرة المحزنة إنما هى نتيجة طبيعية لظروف العامل فى حياته الخاصة . ونرى أنه فى حياته القصيرة يرزح تحت عبئين مرهقين من إجهاد وحرمان .

تزايد السكان

ربما بدا غريبا بعد هذا الذى قدمنا أن يتزايد عدد الطبقات العاملة رغم عوامل الفناء المحيطة بهم . ولكن للتزايد أسبابا قوية منها أن نسبة الزواج بين العمال تبلغ ٧٦ فى المائة وهى للسكان عامة ٦٦ فى المائة ويبكر العامل بالزواج حتى أن نسبة المتزوجين قبل سن الخامسة والعشرين تبلغ ١٠ فى المائة وهى نسبة عالية لسن مبكرة فى طبقات أجورها لا تفى الفرد فضلا عن الأسرة وهنا يجدر أن نلاحظ ظاهرة تميز الشرق بصفة عامة عما عداه . تلك أن الزواج فى معظم الحالات لا يكون نتيجة لحاجة الرجل الى من يدبر شأنه أو يشاركه حياته

منزلية هادئة فبين المتزوجين من العمال ستون فى المائة يعولون قريبات لهم كوالدة أو عذارى وأرامل من ذوى القربى . وقد كان لهؤلاء العمال من قريباتهم غنى من ناحية الخدمة ودافع من ناحية النفقة على ألا يفكروا فى الزواج فى سن مبكرة . ولكنهم يفعلون بدافع دينى . وهذه حال لا يمكن أن تستتبع اللوم وإنما تستحق العطف والتهذيب .

أما عدد الأطفال فكثير . ولما كان الزواج مبكراً فالعمال تبعاً لذلك آباء فى سن مبكرة كذلك . فمثلا بين العمال من سن العشرين نجد اثنين فى المائة لكل منهما ولد أو ولدان . فاذا بلغ الوالد سن الخامسة والثلاثين كان عدد الأبناء كما يلى —

من كل مائة من الآباء :

عشرون	لكل منهم	ولد واحد
و ستة وعشرون	»	ولدان
و سبعة عشر	»	ثلاثة أبناء
و ثمانية	»	أربعة أبناء
و واحد	»	خمسة أبناء
و واحد	»	ستة أبناء أو أكثر

أما إذا تمشينا معهم إلى آخر العمر فطبيعى أن تتزايد النسب الأخيرة فتصبح من كل مائة والد

أربعة وأربعون	لكل منهم	ثلاثة أبناء
و أربعة وعشرون	»	أربعة أبناء
و عشرة	»	خمسة أبناء أو أكثر

كل هذا رغم ارتفاع نسبة الوفيات بينهم واستئثارهم بموتى المواليد .

ولولا هذان العاملان لتزايدوا بأسرع مما نرى رغم الظروف القاسية التى تحيط بهم .

أشرنا فيما تقدم إلى أن ٦٠ فى المائة من أرباب الأسر يعولون إلى جانب

أبنائهم وزوجاتهم أقارب لهم عاجزين عن الكسب . هؤلاء من طرحتهم أمواج الحياة صرعى جهاد ظالم يبعثون فيه بغير سلاح . آباء قضوا ربيع الحياة فى خدمات لا تعود عليهم إلا بما يمسك الحياة فاذا أقبلت سنو الشيب . وهذه تبكر لأمثالهم أقعدهم العجز عن كل كسب . ونساء فقدن العائل بالموت أو بسواه وورثن عنه البنين دون المال . وهكذا ينشأ الجيل الجديد مرهقاً بتبعات ثقال تنوء بالعصبة أولى القوة . فيلتمس السلوى فيما يحط من قواه ولا يصلح له شأنا . ثم يدفع بولده جاعلا هزيلا الى معترك الحياة وهو بعد فى مقتبل العمر عساه يلتقط بعض الفتات فيمين أسرته . وكذلك ينشأ نشأة أبيه . وإذا بالمأساة تتصل وتتسق فصولا من جديد وقد تبدل اللاعب وما أسدل الستار

ساعات العمل

يندر أن تقل عن ثمانى ساعات فى كل يوم ونسبة ذلك ١ على ٣ فى المائة من مجموع الحالات وهى .

ثمانى ساعات	فى ١٥ فى المائة من الحالات
وعشر ساعات	فى ٧٠ فى المائة
وأربع عشرة ساعة	فى ٥ فى المائة
وست عشرة ساعة	فى ١٠ « « على أن من هذه الحالات

الأخيرة ما يبلغ ١٧ وأكثر

الاجور

منخفضة جدا تبدأ بقرش واحد فى اليوم للأحداث فى بعض الصناعات وتزيد كلما تقدمت السن بنسبة لا تكاد تبلغ الثلث مما يجب أن تكون عليه الحال . ونتيجة ذلك أن تتزايد التبعات ولا تنمو الموارد بالدرجة الكافية .

ولا يمنح العامل أجرا عن يوم راحته ولا مرضه وأكثر الفئات شيوعا هى فئة العشرة القروش والخمسة عشر إذ يتقاضى أجورا تقع بين هذين الحدين ٣٠ فى المائة من العمال . وعقود الاستخدام كلها رهينة الظروف وأكثرها

فالعامل لا يرتبط بجهة معينة وكل خدماته موزعة بين الناس ومجهوده السابق نهب الظروف المتقلبة من حوله . فاذا ما بلغ القمة من حياته وأتقن عمله وشارف أجره رقما عاليا يبلغ ثلاثين قرشا فى ثلاث حالات من كل آلف ويبلغ ٢٥ قرشا فى ٢٢ حالة من كل ألف لم يستطع أن يحافظ على ما وصل اليه من أجر عال نسبيا لأن رب العمل يتبدل وقوى العامل تنحط مع الزمن وله فى كل يوم سوق أصولها منبتة . ولذلك نرى الأجور العالية التى ذكرناها لا تكون إلا ما بين العشرين والخامسة والأربعين من العمر ثم تنحدر بعد ذلك حتى إن أعلى الأجور لمن تبلغ أعمارهم ٥٥ عاما أو يتخطونها عشرون قرشا

ولقد يلقى العامل من عنت رب العمل ضعفا آخر فيؤخر أجره ضمانا لمواظبته أو يؤخره حتى يتوافر لديه مال حاضر .

المساكن

هذه الانقاض التى يزدحم فيها العمال إنما تسمى مساكن من باب التجوز.

ومن كانت حاله ما قدمت فأنى له المسكن الصحى ؛ بحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد أن إيجار المسكن يتراوح بين ٣٠ قرشا و ٦٠ فى معظم الحالات وأن ٣٥ فى المائة من الأسر تسكن كل منها غرفة واحدة أو أقل من غرفة إذ تشترك أسرتان أو أكثر فى واحدة . وأن ٦٥ فى المائة من الأسر تسكن كل منها غرفتين أو أقل . أما الشمس والهواء والماء وسعة المسكن وأثاثه فلا محل لذكرها فضلا عن بحثها

آثار هذه الحال

هى الآثار الطبيعية لمثلها . حياة قصيرة معتلة وموت مبكر يخلف للأحياء أعباء تعجل بدورهم . وإنتاج يدوى ضعيف . ومقدرة فكرية أضعف

وأما المستوى الخلقى فتؤذيه هذه الحال أشد الإيذاء . وكيف تستقيم الحال فى أسر لكل منها مخدع واحد يضم الزوجين وخمسة أبناء أو سبعة منهم شباب وفتيات ؟ وكيف نرجو طيب الخصال إذا انعدمت أسباب الثقافة

والتربية والتهذيب وثقلت أعباء الحياة فى وقت معا ؟

الذى أراه أن هذه الحال التى نعالج أخطر من أن نتناولها بالبحث النظرى لنقف عند حد البحث. ربما جاز هذا إذا كان الباحث لا تربطه بهؤلاء الناس أواصر الأخوة وروابط أخرى لا تنفصم. أما وهم قومنا وإخواننا وأبناؤنا وآباؤنا فعلينا ما هو أجدى من القول والبحث. علينا ألا نكتفى باقتراح رفع الأجور والوارد باقية على حالها . . . أو إدخال نظم التأمين والعامل لا يملك أسباب العيش الخشن فضلا عن نفقات هذه النظم. علينا نحن معاشر المتعلمين واجبان أحب أن ننهض بهما اليوم راغبين فهذا خير وأبقى. وهو أولى بنا من أن يضطر اليهما أبناؤنا فى غد كارهين. فأما الأول فهو أن ننزل عن بعض نعيمنا الشخصى فى سبيل هؤلاء الذين طال حرمانهم صابرين .

فمثلا إذا زيدت الضرائب على دخلنا من أجلهم دفعنا مغتبطين. وإن لم تزد دعونا إلى هذا بما أوتينا من علم وبيان. وإن قلت رواتبنا من أجلهم كذلك قبلنا فى غير ضيق ولا حرج. وأما واجبنا الثانى فهو أن ينبث بينهم القادرون منا على معالجة الشئون الاجتماعية ينظمون صفوفهم ويرشدونهم إلى ما فيه خيرهم وهذا يتطلب تضحية بالوقت والمال فى سبيل الدعاوة والمعونة الادبية والمادية

ولنذكر جيدا أن منا نحن المتعلمين من سينتظم فى هذه الصفوف إن عاجلا أو آجلا وهذه بعض آيات الرقى فى الأمم فلنهيىء إذن الجو لصغار إخواننا ولأبنائنا. وهذا دافع شخصى يضاف إلى ما تقدم من إيثار كريم

كذلك فلنذكر أن هذه الجموع التى بدأنا اليوم نذكر فيها . . . هى التى تمد الدولة بأكبر عدد من الرجال فتنتظم بهم صفوف الدفاع. وفى السلم كلما زادت كفايتهم زاد الانتاج الأهلى وارتفع المستوى للخاصة والعامة. غير أن الخطوات الأولى تتطلب كثيرا من جهاد النفس وشجاعة الرأى. ولقد تخطت الحركة طور البحث وتجاوبت أصداء الدعوات . . . فلنكن ممن يبادرون بتلبية النداء ؟

عيسى عبده

ظهور المنار ودلالته

لما توفى المغفور له السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار خشى المصلحون أن يذهب المنار بذهاب صاحبه ويخبو ضياؤه الذى لبث ثلث قرن يشع على العالم الأسلامى علما وثقافة وفضلا وخيرا و بركة ويضع العلامات فى طريق الجهاد الاسلامى ليسلك المجاهدون على بصيرة وعلم ونور .

وقد حدث ما خشى المصلحون فانه صدر من المنار بعد وفاة صاحبه بضعة أعداد ثم توقف عن الصدور وخفت صوته المعروف الذى كان يملأ آفاق الأرض وخلا مكانه من الصف وطويت أعلامه وظن الناس أن لن يعود

وكنا نخاطب عنه محبي الاصلاح ليتعاونوا على إصداره ويجتمعوا على إرجاعه سيرته الأولى ، ولكنهم كانوا يعتذرون بأن هذا الأمر فوق طاقتهم وأن وقتهم وحالهم لا يسمحان بتحقيق هذه الأمنية العزيزة المرجاة .

وبينما الفضلاء و يأس من عودته إذ تقدم رجل شاكى السلاح مدرع قد جمع فى نفسه المؤهلات الكافية لخدمة الاسلام والحق والاصلاح . تقدم هذا الرجل ورفع راية الاصلاح المنارى ونادى بأعلى صوته قائلا :

أيها الناس . إنى على بركة الله وبتوفيق من الله أخذت على عاتقى إصدار المنار الأغر حتى لا يحرم المسلمون منه ولا تنقطع عنهم فيوضاته ولا ينضب معين إصلاحه .

فتلفت الناس إلى المتكلم فاذاهم يجدون الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين والمصلح الذى وقف نفسه على نصرة الاسلام والمسلمين فاطمأنت نفوسهم وانشرحت صدورهم وحمدوا الله عز وجل على فضله ونعمته وآلائه

وهكذا ظهر المنار بعد اختفاء وأسفر بعد احتجاب وكتب الله له الحياة على يد من لا يريد لقومه إلا الحياة .

وإن لظهور المنار دلالة نحب أن نسجلها هنا بإيجاز حتى يعرف القراء الحقائق

ويكونوا على بينة من الأمر ولا تأخذهم الحيرة مما يشاهدون أو يقرءون أو يسمعون .

لما توفى صاحب المنار رحمه الله تعالى حزن محبو الاصلاح وأصابتهم الحسرة على إغماد سيف كان يجاهد فى سبيل الله ولا تأخذه فى الحق لومة لائم ولكن قربما آخر طرب وصفق وتبادل التهانى والتبريكات لزوال من كانوا يظنونه عدوا لهم لأنه يحارب تخريفهم ودجلهم وجمودهم وقد جهروا فيما بينهم بانقطاع المنار إلى الأبد وأقاموا الحفلات لضعف أخلاقهم فرجوع المنار يسر المصلحين المخلصين ويكبت الشامتين الضعفاء اليقين . ومن المشهور عندنا أن العمل العظيم إذا يقوم به فرد فاذا أفلت منه ذهب فى طى النسيان . وهذا صحيح إلى حد ما . ولكن حظ المنار كان طيبا فكتب الله له البقاء . ولما هوت رايته كان هويها استنادا وارتكازا للراحة والاستجمام ، وتقدم فضيلة الأستاذ حسن بنا إلى تسلم الراية ورفعها على القمة ليراها الغادى والرائح فعلم الجمهور أن عمل الفرد المخلص لا يضيع أبدا بل يقيض الله له من يحييه ويمده بما يعيد اليه الشباب ويقويه .

وكذا نسمع من كثير من الناس أن دعوة صاحب المنار لا تتعدى أفرادا معينين ولا تصل الى مدى يصح معه أن نقول بوجود الاصلاح فى الامة . ولكن الرغبة الملحة فى إصدار المنار وقيام رئيس الاخوان المسلمين بهذا الاصدار يدل دلالة قوية على أن الاخوان وهم ألوف كثيرة يؤمنون بهذا الاصلاح ويفدونه بالأرواح وإذا عرف القراء أن الاخوان جمهرتهم من الشباب المثقف علم علم اليقين مقدار تغلغل الاصلاح الاسلامى العتيد فى النفوس التى نرجيها لرفع شأن الأمة والدفاع عن ذمارها وإعلاء مكانها . .

هذه بعض أوجه الدلالة فى ظهور المنار يعلم منها أهمية العمل الذى أخذه على عاتقه الاستاذ الكبير رئيس الاخوان المسلمين .

ونحن نقترح هنا ما يجب على القراء وعلماء المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها

أما القراء فالواجب عليهم أن يعاضدوه حسا ومعنى ويعاونوه بما فى جهدهم ليصول فى ميدان الجهاد ويجول ويشتد عوده فى مقاومة كل ما يلحق الأذى بالاسلام والمسلمين ويرسل الجنود تلو الجنود تصرع أعداء الله وتخذل الذين يريدون الاسلام بسوء .

وأما العلماء العاملون المخلصون الذين أحبوا المنار وأشربوا فى قلوبهم مبادئه السامية وطريقته المثلى فعليهم أن يحبوا المنار بعطفهم ويمدوه بآرائهم الصائبة وأفكارهم المنيرة ويستخدموا علمهم النافع فى تقويته وإنجاحه وإكثار أركان حربه .

ونحن نعلم أن محبي المنار الفضلاء الكاتبين منبثون فى أنحاء العالم الاسلامى من الصين شرقا الى مراكش غربا ومن التركستان شمالا إلى جنوب افريقية جنوبا وهم بتوفيق الله فى مكنتهم خدمة المنار الخدمة الجلى ليكون صحيفة الاسلام العالية فى الدين والاجتماع وشتى ما يحتاج اليه المسلمون

ونعود فنهنىء فضيلة المرشد العام بما ندب نفسه اليه من خير وإصلاح كتب الله له النجاح وأمده بروح من عنده وأعانه على الجهاد فى سبيل الله والله قوى عزيز .

القاهرة . مصطفى أحمد الرفاعى اللبان

(الجزء السادس)　　　(المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب





قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

غرة رجب سنة ١٣٥٨ هـ　　　أغسطس سنة ١٩٣٩ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٢) « اللهُ الذي رفعَ السَّموات بغير عمدٍ ترونها ثمَّ استوى على العرشِ وسخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجل مسمى يُدبِّرُ الأمر يفصلُ الآياتِ لعلكمْ بلقاءِ ربِّكم تُوقنون »

أكدت الآية الكريمة الاولى فى أول السورة صدق القرآن وأحقية ما نزل على النبي ﷺ من ربه وإن أعرض أكثر الناس عن الايمان به . وفى هذه الآيات الكريمة بيان لأول ما يجب أن يؤمن به الناس ويعتقدونه ويصدقوا بأحقيته وذلك هو الايمان (بالله) فمعرفة

الله والايمان به أول ما يجب أن تتوجه اليه الهمم وتعنى به النفوس وقد سلكت الآيات الكريمة بالناس إلى هذا الايمان أقوم السبل وهى سبيل التفكر فى مخلوقات الله وعجائب صنعه من رفع السموات وتسخير الكواكب والاجرام وتدبير الأمور والشئون وتصريف الايات والعبر ومد الارض و بسطها وإمدادها بما ينفع أهلها من الجبال والانهار والنبات والجنات على نسق رائع بديع هو الآية فى الاعجاز وصدق التصوير والاستيلاء على المشاعر والقلوب

(الله) أكبر أسماء الخالق سبحانه وتعالى وأجمعها لا يثنى ولا يجمع والألف واللام من بنيته لم تدخلا عليه للتعريف اذ هو أعرف المعارف قال الخطابى والدليل على ذلك دخول حرف النداء عليه كقولك يا الله وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام ألا ترى أنك لا تقول يا الرحمن ولا يا الرحيم كما تقول يا الله فدل على أنهما من بنية الاسم (الله) اسم كريم للموجود الحق البارى الخالق المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى لا اله الا هو سبحانه ـ ولا تظن أننى أحاول بذلك الشرح أو التفسير فكمالات الحق تبارك وتعالى فوق هذا ولكن أريد أن ألخص لك رأى الاسلام الموجز الحق الذى يشبع الروح ويطمئن القلب فيما يجب على المسلم أن يعتقده فى ذات الخالق جل وعلا وصفاته مستغن بالقليل عن الكثير فاعلم أن الاسلام قد أجمل ذلك فيما يأتى

أولا — عدم التعرض للحقيقة والماهية من حيث هما مع التنبيه على المخالفة التامة بين ماهية الاله وماهية الخلق. يقول القرآن « ذلكم

الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصـــار وهو اللطيف الخبير » سورة الانعام الايات ن ١٠٢ ، ١٠٣ ، وهو بذلك يشير الى الكف عن التعرض للماهية ، ويقول أيضاً « فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » سورة شورى الاية ن١١ ، وهو بذلك يشير الى المخالفة التامة بين الخالق والمخلوقات جميعا . وفي الحديث : « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله » (١) . ومن البدهي أن هذا الموقف لا يؤخذ على الاسلام فى شيء فان العقل البشري وهو عماد

(١) الحديث ورد بألفاظ يتفق معناها . قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء . رواه أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ، ورواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر . وقال هذا إسناد فيه نظر — قلت فيه الوازع بن نافع متروك اه . زاد الترمذى فى الشرح قلت حديث ابن عمر لفظه « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله » هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وأبو الشيخ فى العظمة ، والطبرانى فى الأوسط وابن عدى وابن مردويه والبيهقى وضعفه والاصبهانى وأبو نصر فى الابانة وقال غريب ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره » . ورواه ابن النجار والرافعى من حديث أبى هريرة : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله » الخ وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوى فى المقاصد اه . نقلا عن تعليق صاحب المنار على رسالة التوحيد .

العقيدة فى الاسلام يقف الى الان موقف العجز المطلق أمام حقائق الاشياء جميعا وكل الذى وصل اليه إنما هو الخواص والصفات والاثار أما الحقائق والبسائط المجردة فلم يصل اليها بعد. وما كان الاسلام ليكلف الناس ما لاتستطيع أن تدركه العقول والافهام:

ثانيا ـــ التوصل الى معرفة صفات الاله وادراك كمالات الالوهية ومميزاتها عن طريق النظر في الكون نظراً صحيحاً وتحرر العقول والافكار من الموروثات والاهواء والاغراض حتى يصل الى الحكم الصائب. والقرآن مملوء بالحث على النظر في المكونات والتأمل فى المخلوقات وقد ذكر العقل فى القران الكريم فى أكثر من أربعين موضعاً مقروناً بالتبجيل والتكريم والحث على الجد والعمل فى ادراك الحقائق والسير فى سبيل كشف مستوراتها وذلك من مثل قوله تعالى « إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » سورة البقرة الاية ١٦٤

ومن مثل قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء » سورة فاطر ٢٧ فهو فى هذه الآية يحض على اكتشاف غرائب النبات والحيوان والجماد بأقسامه ثم يرتب على ذلك

الخشية من الله لما بين معرفة الكون ومعرفة مكونه من صلة ومن مثل الايات الكريمة التى نحن بصددها من سورة الرعد

ثالثا ـ إثبات صفات الكمال للخالق نتيجة للنظر فى هذا الكون فالله موصوف فى الاسلام بالوجود والعلم وبالقدرة وبالحياة وبالسمع وبالبصر وبالجمال وبالحكمة وبالارادة الخ مع الاقرار بأن كيفياتها وحدودها مجهولة ضرورة الجهالة بذات الله تعالى ولكنا نعلمها علم اليقين من وضوح آثارها فى هذا الكون البديع الصنع فالخالق حكيم لما يجتلى فى كونه من أسرار حكمته وقادر وعالم بأجمع معانى العلم والقدرة لأن هذا الكون البديع لا يكون الا عن علم واسع وقدرة محيطة وهكذا. والقران يعدد هذه الصفات فى كل المناسبات مثل قوله تعالى «هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» سورة الحديد ٣ ـ ومثل سورة الاخلاص وهكذا

رابعا ـ نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق. فالتجسيم منفي عنه لأن المادة تتحول والخالق لا بد أن يكون ثابتاً والتثليث منفى عنه لأنه تركيب والاله لا بد أن يكون واحدا والأبوة والبنوة منفصلان عن صفات الخالق لأنهما تجزئه والخالق لا يتجزأ وهكذا والقران يقرر هذا ويجادل عنه فى منطق دقيق وحجة قوية من مثل قوله تعالى (أم اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا الخ) الانبياء ايات ٢٢ ـ ٢٩ ومن مثل قوله (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ـ الي قوله تعالي ـ ما اتخذ

الله من ولد وما كان معه من إله اذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) المؤمنون الايات ٨٤ - ٩٢ وقل مثل ذلك فى نفى التثليث وغيره من عقائد الأمم السابقة جميعا

خامسا - تقوية الصلة بين الوجدان الانسانى والخالق حتى يصل الانسان بذلك الى نوع من المعرفة الروحية هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا وذلك أن الوجدان الانسانى أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة والارقام فالاسلام كثيرا ما يخاطب الوجدان ويستثير الخواص النفسانية الكافيه فى الانسانية لتتصل بالله تبارك وتعالى وتسمو الى حظائر الملأ الأعلى. يقول القران الكريم (الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد اية ٢٨ وفى ذلك يقول أحد الفلاسفة الكونيين (إن ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تشهد به عقولنا) ويصور القران هذا المعنى فى الاية الكريمة (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) الاسراء اية ٩٧

هذه الصلة الخفية بين الضمير الانسانى وبين الخالق التى تبدو فى غاية الوضوح والجلاء عند الشدائد التى تنقطع فيها الامال هى التى يعمل الاسلام كثيرا على أن تكون ضوءا يتعرف به الانسان خالقه العظيم سبحانه وتعالى

سادسا - مطالبة المؤمنين بأن تظهر عليهم نتائج هذه العقائد

العمليه فالمؤمن إذا اعتقد أن ربه قادر كانت نتيجة هذه العقيدة العملية أن يتوكل عليه ويلجأ إليه وإذا اعتقد أنه عالم راقبه واستولت عليه خشيته واذا اعتقد أنه واحد لم يدع سواه ولم يسأل غيره ولم يصرف وجهه إلا إليه وحده وإذا اعتقد أنه عظيم عظمه فخافه وأحبه وهكذا وقد أشارت الى ذلك الآيات الكريمة فى كثير من المواضع قال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم اياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) سورة الأنفال الايات ٢ ـ ٤ والايات فى هـذا المعنى كثيرة فى كتاب الله تبارك وتعالى وكل عقيدة لا تنتج أثرها ولا تحمل صاحبها علي مستلزماتها فهي عقيدة واهية ضعيفة لاتؤدى إلى الايمان الكامل الصحيح .

ولعل من تمام هذا البحث أن أنقل لك بعض عبارات المؤمنين الصادقين فى التعريف برب العالمين جلت ذاته وتقدست صفاته . سأل ذعلب اليمانى عليا كرم الله وجهه فقال هل رأيت ربك ياأمير المؤمنين؟ فقال رضى الله عنه أفأعبد ما لا أري فقال السائل وكيف تراه؟ فقال: (لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الأشياء غير ملامس بعيد عنها غير مباين متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لايوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لايوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته

مخافته ومن كلامه رضى الله عنه فى هذا المعنى (لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود . أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له) اه من نهج البلاغة (١)

وسئل بعض العلماء عن صفته تبارك وتعالى فقال (هو الواحد المعروف قبل الحدود والحروف) وسئل آخر عن التوحيد ما هو فقال (ان تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفى الصفات) ومن أحسن ماقيل فى التنزيه قول بعض الصالحين (تنزه ربنا عن أحوال خلقه فليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده معرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه فالذى يظن الوهم به يرتقى التصوير اليه لا تماثله العيون ولا تقابله الظنون علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل « هو الأول والآخر والظاهر والباطن ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »

« الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » يحسن قبل الكلام عن

(١) فى نسبة ما جاء فى نهج البلاغة لعلي رضى الله عنه الخلاف المعروف بين الأدباء وسواء أكان هذا القول من كلام على رضى الله عنه أم من كلام الشريف فمعناه من حيث تعظيم الله وحسن الثناء عليه رائع بديع

رفع السموات وما يليه من ايات الكون . فى هذه الايات البينات أحب أن الفت النظر الى أصلين مهمين (أولهما) حكمة ذكر المظاهر الكونية فى القران الكريم (وثانيهما) معرفة مدى ما وصل اليه العقل الانسانى فى تعرف حقائق هذه المظاهر

لماذا تذكر هذه المظاهر الكونية فى القرآن الكريم

جاء فى القرآن الكريم ذكر السموات والأرضين والشمس والقمر والسحب والأمطار والنبات والحيوان وعجائب الخلق وغرائب المكونات فى كثير من المواطن فهل يريد القرآن بهذا أن يتناول هذه النواحي بالتحليل العلمى فيوضح للقارئين ما هيتها وكنهها وعناصرها وأجزاءها ويبين لهم طبائعها وخواصها ويكشف لهم عن أسرار نواميسها وحقيقة قوانين سيرها ووقوفها ونموها وضعفها — أم أن القرآن الكريم يعرض لكل هذه الظواهر الكونية لغرض آخر غير هذا التحليل العلمى ويدع هذا التحليل لوقته والظروف الملائمة له عند ما تتهيأ العقول البشرية لقبوله وإدراك غوامضه وأسراره ؟

لا شك أن القرآن الكريم لم يجيء ليكون كتاب فلك ولا هيئة ولا كيمياء ولا هندسة ولا لغير ذلك من الشئون التى تتناولها العلوم الكونية البحتة . وإنما جاء ليكون كتاب هداية وإرشاد وتطهير للنفس البشرية وسمو بها الى الكمال الممكن اللائق بجمالها وايضاح وتقوية للصلة بين الخالق والمخلوق وبين المخلوقين بعضهم وبعض وتقرير

للحقوق والواجبات وتفصيل للمصالح والمضار فى المأمورات والمنهيات التى تتصل بسعادة الناس فى معاشهم ومعادهم . وإن أشار فى كثير من الأحيان الى دقائق العلوم الكونية . وعجائب النواميس التى تسير عليها المخلوقات . وانما جاء القران كذلك لحكم جليلة (منها) أنه إذا تناول حقائق العلوم والمعارف الكونية بالشرح والبيان . فقد قطع على العقل البشرى سبيل الرقى وحرمه لذة الجهاد العلمى وقضى على استقلاله وحريته بالجمود والخمود ولم يبق للعلماء فضل على الجهلاء وكان الناس فى المواهب سواء فلم تشهد الانسانية الا جيلا واحدا ثم يقضى عليها بعد ذلك بالفناء (ومنها) أن طبيعة العقل البشرى فى نشوئه وتكوينه لا تقبل هذه الطفرة ولا تحتملها ؛ وإنما يسلك العقل البشرى في النوع الانسانى مسلكه فى الفرد والواحدله أطوار وأدوار فهو ينشأ ضعيفاً لا يكاد يدرك ما حوله ثم تتسع أمامه آفاق الادراك وحدوده فلا يزال يتعلم فيعلم حتى يبلغ أقصى قوته ويأخذ من المعرفة بالنصيب الذى كتب له وأنت ان فاجأته وهو فى دور طفولته وضعفه بما لا يستطيع ادراكه ولا يقوى علي اكتناه ماهيته آذيته وشردته وأضللته وقذفت به فى مهاوى الفتنة والشك والارتياب وتصور أن طفلا سألك عن قوانين التيار الكهربائى كيف يتولد وكيف يسير وكيف تتحرك به القوى العظيمة وتشتعل بضوئه المصابيح القوية على البعد والقرب سواء أو سألك عن أوجه القمر فى نشوئه هلالا ثم أكتماله بدرا ثم عودته بعد ذلك من الكمال الى النقص حتى يختفي جرمه ويخبو

نوره أو سألك عن البخار كيف يدير البواخر ويحمل على الماء الأعلام المواخر أتستطيع أن تتبسط في شرح ذلك لطفل صغير لم يتلق مبادىء هذه العلوم ولم يستق بعد من معين هذه المعارف ؟

كذلك العقل الانسانى فى نشأته وأدوار حياته وأطوار نموه دائم الرقى والاكتمال بحسب مايكتسب من المعارف المتجددة والتجارب المتكررة المتعددة . وما كان للقران ـ وهو كتاب العصور كلها والأمم كلها والعقول جميعاً ـ أن يتناول من علوم الكون الا ما يتفق مع مدركات هذه العقول ثم يدع لرقيها الفكرى الكشف عما سوى ذلك بحسب قوانين النمو والارتقاء وذلك من أدب الاسلام فى التعليم ومن سننه فى ارشاد الناس الى حقائق المعارف . روى البخارى فى صحيحه عن على كرم الله وجهه (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة)

ومن هنا نستطيع أن نفهم السر فى اجابة القران الكريم للسائلين عن أوجه القمر بصرفهم عن السؤال ولفت أنظارهم الى فوائد ذلك ومزاياه (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)

(ومنها) أن القرآن الكريم لو عرض لبيان هذه الشئون كلها واستوعب حقائقها وتفصيلاتها لصعب على الناس حفظه ولمضت الأزمان الطويلة دون استيعابه نزولا أو معرفة ولنسى الناس هديه وارشاده فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً . ولقد يسره الله تعالى

وسهله ليكون ذلك أدعى الى تذكره وأقرب للوصول الى مقاصده والعمل بما فيه (ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر)

تلك هى بعض الحكم التى من أجلها لم يتناول القران الكريم حقائق العلوم الكونية بالتفصيل والتوضيح وترك ذلك للعقل البشرى يرقى اليه ببحثه المتواصل ويتذوق لذة معرفته بكفاحه وجهاده وهناك حكم أخرى لا نطيل القول فيها وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد والكلام فى أسرار كتاب الله ذا سعة

ومن ذلك نستطيع أن نقول ان القران الكريم جاء بهذه الظواهر واستعرضها وعرضها على الناس فى كثير من المواضع لغرض واحد هو العبرة والعظة ولفت العقل والقلب الى ما فيها من جمال وروعة ورقة واعجاز وابداع لا يكون الا عن صانع حكيم متصف بالكمالات كلها لا يلحقه نقص ولا يناله قصور جل ربنا عن ذلك وتعالى علوا كبيرا . يسوق القران كل ذلك ليكون سبيلا الى معرفة الخالق والايمان بالله . وفى الوقت الذى يقصد فيه الى هذا المعنى نجد أن فى ذكر هذه المخلوقات ولفت الانظار اليها ومطالبة الناس بالتفكير فيها والتصريح بعلو منزلة العلماء بها دفعا بكل مؤمن أن يتعلم وأن يحيط بأسرار هذا الكون العجيب

ذلك مع الاشارات اللطيفة الى بعض الحقائق الدقيقة التى تعنو لها عقول الخاصة وتنحنى أمامها هام الفطاحل من الراسخين فى العلم يتلوها عليهم أمى كريم لم يدخل جامعة علمية ولم يتعلم فى مدرسة كذكر

ناموس التلقيح (وأرسلنا الرياح لواقح) وذكر ناموس التقدير فى المخلوقات (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وغيرها من النواميس

والعجيب فى شأن القرآن الكريم أنه حين عرض لهذه المكونات ساق الكلام عنها فى مساق غريب وأسلوب مدهش معجز حقا يساير تمام المسايرة الادراك الفطري ويتفق تمام الاتفاق مع التحليل العلمي والبحث الفلسفى المنطقى فهو يجمع بين الشعر والمنطق ويغذى العاطفة والعقل ويرقى الشعور والفكر ويستولى على الارادة كل الاستيلاء ويفيد هـذا وذاك الأثر المقصود والعزة المنشودة وذلك من أسرار الاعجاز التى انفرد بها القرآن الكريم وامتاز بها كلام الخالق العليم عن كلام المخلوق القاصر العاجز

تقرأ مثل قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صـــدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) فتصور هذه الآية الكريمة فى النفس العادية ذلك المعنى الفطرى السهل وتمثل لها ذلك الضـال رجلا منهوكا متعبا قد بهرت أنفاسه وتقطع نياط قلبه مما حمل من اعباء الضلال كأنما عليه أن يقاسى فى مرارة متجددة هول صعود السماء والاية بهذا المعنى الفطرى تحدث فى تلك النفس العامية ماقصدت اليه من تأثير فى تقبيح صورة الضلال والابعاد عنه وهذه الاية نفسها تثير فى النفس العلمية ذلك المعنى الكونى الذى أيده البحث وأثبته العلم من تخلخل طبقة الهواء كلما علا الانسان عن سطح الأرض وفناء عنصر الاوكسجين منها وهو العنصر الصالح للتنفس

فتنقطع بذلك أنفاسه ويقف عن التنفس صدره فيزول عنه معنى الحياة جملة بل ان الضغط الهوائى ليختل توازنه على جنبات جسمه باطنها وظاهرها فتنفجر عروقه ويسيل في الفضاء دمه مهدورا والآية بهذا المعنى العلمي تحدث الأثر المقصود لها كذلك من تقبيح صورة الضلال وابعاد الناس عنه

هـذا معنى من معانى الاعجاز لم يتفق لغير القران الكريم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

وأسوق لك هنا بمناسبة هذا البحث ما ذكره الاستاذ الامام عند تفسير آية الأهلة فى بيان موقف الوحي من العلوم (١) قال رحمه الله

(العلوم التى نحتاج اليها فى حياتنا على أقسام ـ منها ما لا نحتاج فيه الى أستاذ كالمحسوسات والوجدانات فهذا هو (القسم الاول) ومنها ما لانجد له أستاذا لانه مما لا مطمح للبشر فى الوصول اليه البتة وهو كيفية التكوين والايجاد الاول المعبر عنه بسر القدر ـ يمكن للنباتى أن يعرف ما يتكون منه النبات وكيف ينبت وينمو ويتغذى وللطبيب أن يعرف كيفية تولد الحيوان والأطوار التى يندرج فيها مذ يكون نطفة الى أن يكون انسانا عاقلا مستقلا ولكن لا يعرف نباتى ولا طبيب كيف وجدت أنواع النبات وأنواع الحيوان أو مادتهما الأولى مرة

(١) راجع تفسير المنار ج ٢ ص ١٩٨

ولا كيف وجد غيرها من المخلوقات ومن هنا كانت العلاقة بين الخالق والمخلوق من هذه الجهة . جهة الايجاد والخلق . لا يمكن اكتناهها وكذلك لا يمكن اكتناه ذات الله تعالى وصفاته وهذا هو (القسم الثانى) ومنها ما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية ومنها أسباب تطور الهلال وتنقله من حال الى حال وهذا هو (القسم الثالث) ومنها ما يجب علينا للخالق العظيم الذى أودع فطرنا الشعور بسلطانه وهدى قلوبنا الى الايمان به بما نراه من آياته فى الآفاق وفى أنفسنا فان هذا الشعور وهذه الهداية مبهمان لا سبيل لنا الى تحديدهما من حيث ما يجب اعتقاده في الله تعالى وفى حكمة خلقنا ومراده منا وما يتبع ذلك من أمر مصيرنا ومن حيث ما يجب له من الشكر والعبادة وهذا مما لا سبيل الى معرفته بطريق صناعى أو كسب بشرى فقد وقعت الأمم فى الحيرة والخطأ فى مسائله لجهلهم بالصلة والنسبة بين المخلوق والخالق فمنهم من وصفه تعالى بما لا يصح أن يوصف به ومنهم من توهم أن أعمالنا تفيده أو تؤلمه وأنه ينعم علينا أو ينتقم منا بالمصائب لأجل ذلك . ومنهم من توهم أن الحياة الاخرة تكون بهذه الاجساد والجزاء فيها يكون بهذا المتاع فاخترعوا الأدوية لحفظ أجسادهم ومتاعهم (١) . واذا كان الانسان عاجزا عن تحديد ما يجب

(١) والذى يؤخذ على هؤلاء قصور ادراكهم عن امكان الاعادة بعد التحليل فى الأجساد والمساواة بين نعيم الدنيا والآخرة مع أنه لا نسبة بينهما فنعيم

عليه ويحتاج اليه من الايمان بالله وبالحياة الاخرى وما يجب عليه فى الحياة الأولى شكرا لله واستعدادا لتلك الحياة لان الحواس والعقل لا يدركان ذلك فلا شك أنه محتاج الى عقل اخر يدرك به ما يعوز أفراده من هذه الامور وهذا العقل هو النبي المرسل . وهذا هو (القسم الرابع) وبقى (قسم خامس) وهو ما يستطيع العقل البشرى إدراك الفائدة منه ولكنه عرضة للخطأ فيه دائما لما يعرض له من الاهواء والشهوات التي تلقي الغشاوة على الابصار والبصائر فتحول دون الوصول الى الحقيقة أو تشبه منافع الضار وتلبس الحق بالباطل ومثال ذلك السعاية يدرك العقل ما فيها من الضرر والقبح ولكنه اذا رأى لنفسه فائدة من السعاية لشخص يزينها له هواه ويراها حسنة من حيث هو يخفى عليه ضررها لذاتها . وكذلك شرب الخمر والحشيش قد يعرف الانسان مضرتهما فى غيره ولكن الشهوة تحجبه عن إدراك ذلك فى نفسه فيؤثر حكم لذته على حكم عقله الذى ينهاه عن كل ضار فصار محتاجا الى معلم اخر ينصر العقل على الهوى ووازع يكبح من جماح الشهوة ليكون على هدى

فما يمكن للانسان أن يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانه ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم وإهمال للمواهب والقوى التى وهبه الله إياها ليصل بها الى ذلك ، وكذلك لا يطالبون بما يستحيل على البشر الوصول اليه كقول بعض بني اسرائيل لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى

الآخرة أجل وأعظم من أن يقاس بهذا المتاع الفانى منهما بالغ الناس فى المحافظة عليه

الله جهرة » وأما ما كان إدراكه ممكنا وكسبه بالحس والعقل متعذر أو تحديده متعسرا فهو الذى نحتاج فيه إلى هاد مخبر عن الله تعالى لنأخذ عنه بالايمان والتسليم ولذلك قلنا ان الرسول صلى الله علية وسلم عقل الامة

لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب أن تمطل مواهب الحس والعقل وينزع الاستقلال من الانسان ويلزم بأن يتلقي كل فرد من أفراده معلوماته بالتسليم ولوجب أن يكون عدد الرسل فى كل أمة كافيا لتعليم أفرادها فى كل زمن كل ما يحتاجون اليه من أمور معاشهم ومعادهم وإن شئت فقل لوجب ألا يكون الانسان هذا النوع الذى نعرفه

نعم ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ينبهون الناس بالاجمال إلى استعمال حواسهم وعقولهم فى كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التى ترتقى بها نفوسهم لكن مع وصلها بالتنبيه علي ما يقوى الايمان ويزيد فى العبرة اهـ

ونستطيع بعد ذلك أن نلخص موقف القرآن من العلوم الكونية العصرية وغير العصرية مما سبقها أو مما سيلحقها أوموقف هذه العلوم من القرآن الكريم فى هذه النقاط ..

(١) ليست مهمة القرآن شرح بحوث هذه العلوم تفصيليا وانما ترك ذلك للعقل الانسانى يكشف فى كل طور من أطوار رقيه وكماله

جزءا منه يتناسب مع مقدرته وما أتيح له من وســـائل البحث والادراك السليم

(٢) إنما عرض القرآن لما عرض له من هـذه البحوث تنبيها لما فيها من دقة الصنع وجمال الابداع ليكون ذلك حافزا إلى معرفـة الله وصدق الايمان به كما يكون حافزا الى دوام البحث والنظر كذلك

(٣) ان هذا لم يمنع القرآن الكريم من أن يتعرض لكثير من النواميس الدقيقة فى هذه العلوم ارشاداً للخاصة من الناس واثباتا للنسبة هذا الكتاب الكريم الى العليم الحكيم

(٤) كان أسلوب القرآن فى التكلم عن هذه المظاهر الكونية أسلوبا معجزا حقا ... فيه إجمال وفيه دقة وفيه وضوح الى جانبهما ، فهو يرضى النفس الفطرية كما يشبع نهمة الفكرة العلمية كما لا يمكن أبدا أن يصطدم فى مرونته وسعة معانى ألفاظه بنتائج البحث العلمى أيا كان فى أى عصر من العصور ، وهذا من أبلغ وجوه اعجاز القرآن

(٥) ان القرآن بهذا الأسلوب فارق ما فى أيدى الناس مما يزعمونه التوراة والانجيل فقد امتلأت بالتفريعات الدقيقة لهذه العلوم والتفصيلات الشاملة للتحدث عن كل مظاهر الكون والتصوير المادى لكل ما فيه فكانت نتيجة ذلك أن اصطدمت هذه الصور والأحكام بنتائج البحوث العقلية الثابتة فسقطت قيمتها العلمية فى نظر الكونيين سقوطا لاقيام لها بعده ، وكانت عن ذلك الخصومة الحادة التي ذهب ضحيتها كثير

من العلماء أمثالَ غاليليو وغيره وانتهت بأن قبع الدين فى زوايا الكنائس والاديرة وليس في القرآن الكريم شيء من هذا كله وهو قد ساير العلوم والمعارف منذ نزل على قلب محمد ﷺ فأشرقت الدنيا بنوره الى الآن فلم يصطدم بنظرية علمية صحيحة ولم يخالف حقيقة كونية ثابتة ولم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ذلك لأنه تنزيل من عزيز حكيم

(٦) والنتيجة من هذا البحث أنه لا يصح للمسلم أن يعترض نصوص القرآن بنتائج هذه العلوم فان من هذه النتائج ما لم يثبت بعد ومنها ما توهم العقل البشرى ثبوته فى عصر ثم نقضه أشنع النقض فى عصر آخر وتلك طبيعة الترقى العلمى كما سترى فى الفصل الذى يلى هذا وفى التفسير الذى يجمع بين الايمان بالنص وإرضاء نتائج البحث الصحيح مندوحة، بل مخارج كثيرة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلا يجوز للمسلمين أن يقفوا عن البحث العلمى فى مستورات الكون وخفاياه اعتمادا على ما جاء فى القرآن من ذلك، ولاسيما والقرآن نفسه مملوء بالحث على النظر فى الكون ووجوب الازدياد من العلم — وقل رب زدنى علما — ولعلك بعد ذلك تدرك سر هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم — فالأولى حث على تعرف ما تمكن معرفته مما هو فى حيز البحث العلمى والثانية نهى عن مزاولة ما لا يمكن الوصول اليه حتى تنصرف الجهود للنافع

الى أى مدى وصل العقل فى العلوم الكونية ؟

يحسن بعد هذا البحث أن نجيب على هذا السؤال ليعلم المغرورون بنتائج البحث العلمى الى أى مدى وصل العقل الانسانى فى حل مشكلات الكون وكشف مستوراته ؟ وسنورد فى هذا البحث بعض الشواهد من كلام علماء الكون غير المسلمين ونعتذر عن ذلك مقدما . فلسنا فى حاجة الى تأييد كتاب الله تبارك وتعالى بغير ما هو فيه ولكننا قصدنا بذلك الى أمرين ، أولهما انتزاع الدليل من غير المؤمنين بالقرآن ليكون ذلك أبلغ فى الفضل وأقوى فى الاستدلال : «والفضل ماشهدت به الأعداء» وثانيهما . إقناع المغرورين بعلوم الفرنجة المفتونين برقى أوروبا المادى أعظم الفتنة إذا عرفوا أن أساتذتهم قد أعلنوا العجز واعترفوا بالقصور وطامنوا من غرورهم وخفضوا من حدة تعصبهم لما لا يعلمون والله الهادى الى سواء السبيل

لقد أتى على الناس زمان توالت فيه الكشوف العلمية المادية ولمس الناس آثارها العملية فى مجرى حياتهم الدنيا . وظن علماء الكون أنهم وصلوا الى لب الحقائق وابتكروا من النظريات والقواعد ما يستطيعون به تفسير كل المظاهر الكونية . وأعلن كثير منهم فى ذلك الوقت تبرمه بالأديان وأهلها والعقائد ومعتقديها وطغت موجة من الالحاد على العقول

والأفكار ثم لم تلبث هذه الموجة أن انحسرت أمام ماتجلى لهؤلاء العلماء أنفسهم من عظمة الكون ، وأمام ما انكشف لهم من النواميس التى هدمت ما اطمأنوا اليه من قبل وما اعتقدوا أنه الحق فطامنوا من غرورهم واعترفوا بقصورهم وأعلنوا هذا العجز التام . وواصلوا بحوثهم فى تواضع وأدب

ذلك أمر طبيعي فان هذا العقل السائح فى ملكوت الله لا يستطيع أن يكشفه جملة ولا أن يصل الى مكنوناته طفرة فهو لا بد أن يبلغ المدة التى كتبها الله له باحثا منقبا ولا بد أن يصل الى الحقائق متدرجا ولابد أن يخطيء مرة ويصيب أخرى فيتلقي عن الخطأ درسا ويكشف بالصواب حقيقة وهكذا دواليك . على أن العقل مهما بلغ من الكمال فهو لم يصل بعد الى حقيقة شيء من الأشياء إنما كل ما ظفر به بعض العوارض والصفات التى تنفع الناس أما حقائق البسائط المجردة فهو لم يصل الى شيء منها بعد . وأغلب الظن أن ذلك ليس من شأنه ولا مما يعنيه وانما هو سر الخلق الذى استأثر الله بعلمه

واليك بعض أقوال على الكون فى ذلك نستفتحها بقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد فى هذا المقام

(اذا قدرنا عقل البشر قدره وجدنا غاية ما ينتهى اليه كماله إنما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الادراك الانسانى حسا كان أو وجدانا أو تعقلا ثم التوصل بذلك الى معرفة

مناشئها وتحصيل كليات لانواعها والاحاطة ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها ، وأما الوصول الى كنه حقيقتة فما لا تبلغــه قوته لأن اكتناه المركبات انما هو باكتناه ماتركبت منه وذلك ينتهي الى البسيط الصرف وهو لاسبيل الى اكتناهه بالضرورة وغاية ما يمكن عرفانه منه هو عوارضه وآثاره . خذ أظهر الاشياء وأجلاها كالضوء.. قرر الناظرون فيه له أحكاما كثيرة حصلوها فى علم خاص به ولكن لم يستطع ناظر أن يفهم ما هو؟ ولا أن يكنه معني الاضاءة نفسها، وانما يعرف من ذلك ما يعرف كل بصير له عينان وعلى هذا القياس) اه

«١» وتحدث الفيلسوف الفرنسى (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة عن تطور المعارف الانسانية الكونية وقصور العقل البشرى عن ادراك حقائق النواميس الطبيعيــة فى كلام طويل نقتطف منه مايلى (كل نظرياتنا العلميــة العظيمة ليست بقديمة العهد .. لان تاريخ العلم التجريبي المحقق لايصعد الى أبعد من ثلاثة قرون وفى هــذا العهد القريب قربا نسبيا حدث دوران مختلفان من أدوار التحول فى أفكار العلماء — فالدور الاول كان دور الثقة والاعتقاد فكانت فيه المقررات الفلسفية والدينيةوهى قواعد مدركاتنا القــديمة عن الوجود تضمحل وتزول ببطء أمام المكتشفات العلميــة التى تتوالى يوميا ولاسيما فى

«١» هذه الشواهد منقولة من كتاب «على أطلال المذهب المادي للاستاذ محمد فريد وجدى» .

النصف الاول من القرن الماضى وكان يظن مؤسسو كل علم جديد أنهم متى أتموا بناء الصرح العلمى استمر هذا الصرح قائما على تناقض أوهام الزمان الماضى فكانت العقيدة العلمية فى هذا الدور على غاية تمامها دامت هذه العقيدة فى المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها ـ الى أن حدثت فى الأيام الاخيرة مكتشفات غير منتظرة فضت على الفكر العلمى أن يكابد من الشكوك فى نتائج بحثه ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه أبد الآبدين : فان الصرح الذى كان لا يرى صدوعه إلا عدد قليل من العقول العالية تزعزع فجأة بشدة عظيمة فصارت التناقضات والمحالات التى فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث تكاد لا تبلغها الظنون ـ أدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين وأسرعوا يتساءلون عما اذا كانت الاصول المكونة المقررات اليقينة لمعارفنا الطبيعية لم تكن الا فروضا واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور ـ فحدث فى ادراك المقررات العلمية مثل ما حدث قبل ذلك للعقائد الدينية «١» عند ما شرعوا فى مناقشتها الحساب فبدأت ساعة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان ـ لا مشاحة فى أن الاصول التى كان العلم يختال بها اختيالا لم تزل كل الزوال بل هى ستبقى أمدا طويلا فى نظر الدهماء كحقائق مقررة وستستمر الكتب

«١» يقصد المؤلف العقائد الدينية عندهم والا فان عقائد الاسلام قد سايرت العلم فى كل عصر فلم تضعف امامه وقد بينا سر ذلك فى الفصل السابق .

الابتدائية على نشرها ولكنها قد فقدت كل ما كان لها من الاجلال في نظر العلماء الحقيقيين ــ تلك المكتشفات التي نوهت بها آنفا قد كشفت اللثام عن الظنيات التي بدأت تفضحها الكتب الحديثة وبذلك دخل العلم نفسه في دور من الفوضى كانوا يظنون أنه قد سلم منه الى الآن ، وأصبحنا نرى أصولا كان يظن أنها ذات قاعدة رياضية محققة صارت موضوع النزاع بين العلماء الذين من وظائفهم تعليمها والدفاع عنها ــ ثم أورد بعد ذلك عدة شواهد على قوله هذا من كلام (هنرى بوانكاريه) و (أميـــل بيكار) و (ماتش) و (لوسيان بوانكاريه) ختمها بقول هذا الاخير (فالآراء التي كانت تظهر لمن سبقنا كأنها تأسست تأسيسا ثابتا صارت اليوم لدينا موضوعا للمناقشة وقد رفض اليوم على وجه تام الرأى القائل بان كل الظواهر الطبيعية تقبل تفسيرا ميكانيكيا ، فان أصول علم الميكانيكا نفسه صارت مشكوكا فيها وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت عقائدنا المتعلقة بالقيمة المطلقة للنواميس التي اعتبرت أساسية إلى اليوم) ثم قال بعد ذلك ــ من حسن الحظ أنه لاشيء أكثر ملاءمة للترقى العلمى من هذه الفوضى فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها والحجاب الذى يحجبه عنا منسوج غالبا من الاراء الضالة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى وأشد الاشياء خطرا على تقدم العقل الانسانى هو تقديم الظنيات للقراء لابسة حلل الحقائق المقررة على نحو ماتفعله كتب

التعليم - والتطاول لوضع تخوم للعلم ورسم حدود لما تمكن معرفته كما كان يود ذلك (اجوست كونت) اهـ

(٢) حتى (داروِن) نفسه وقد فتن مذهبه كثيرا من الاغرار بين أن غاية نجاحه العلمي لم يتعد بعض التفسيرات فى أصل الانواع وقد كتب فى هذا المعنى الى صديقه المستر (هيات) فقال (اسمح لى أن أضيف الى هذا بأنى لست من قلة العقل بحيث أتصور أن نجاحى يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع)

(٣) ومن كلام وليم جيمس الاستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة «إن علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا بحر زاخر والامر الوحيد الذى يمكن أن يقال بشيء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر لم تدرك خواصه المكونة له إلى اليوم)

(٤) وقال الاستاذ وليم كروكس الانجليزى من خطبة له فى مجمع العلوم (متى امتحنا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية لم نبدأ بادراك الى أى حد تحصر هذه النتائج أو النواميس كما نسميها فى دائرة نواميس أخرى ليس لنهايتها أقل علم عندنا . أما أنا فان تركى لرأس مالى العلمي الوهمي قد بلغ حدا بعيدا فقد تقبض عندى هذا النسيج العنكبوتى للعلم كما عبر بذلك بعض المؤلفين إلى حد أنه لم تبق منه الا كرة صغيرة تكاد لا تدرك)

وقال «كاميل نلامريون» فى كتابه المجهول «ترانا نفكر، ولكن ماهو الفكر؟ لايستطيع أحدنا أن يجيب على هذا السؤال وترانا نمشى ولكن ماهو العمل العضلي؟ لايعرف أحد ذلك، بل كيف ينقل العصب البصرى الصور الخارجية الى الفكر؟ وقل لى كيف يدرك هذا الفكر وأين مستقره؟ وماهى طبيعة العمل المخى؟. استطيع أن اسأل عشر سنين، ولا تستطيع أكبر رأس فيكم (يقصد العلماء الكونيين) أن يجيب على أحقر أسئلتى»

وقال الفيلسوف «أندريه كريسون» فى كتابه قواعد الفلسفة (العلم لايعطينا عن الوجود فى مجموعه الا معارف مبهمة للغاية فاننا لانعلم البدء الحقيقى للنجوم ولا للكواكب التى تحيط بالشموس البعيدة فابداء فرض والحالة هذه على تركيب مجموع الكون لايمكن أن يكون إلا تحكما)

تلك صورة مصغرة فى الحقيقة عن اعتراف علماء الكون بجهالتهم بنواميس الكون نسوقها تذكرة لاخواننا الذين افتتنوا بهذه البحوث وأرادوا أن يتخلصوا من سلطان العقيدة الدينية استنادا إليها بل أزيدهم فى ذلك أن الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر كان من حججه القوية في المطالبة بالعناية بالعلوم الطبيعية أن معرفتها مما يقوى الايمان ويؤدى الى معرفة الله فان مافى الموجودات من جمال التناسق والابداع ودقة الصنع والاختراع يثير فى النفس الانسانية فطرة الايمان.

العميق فتعترف راضية مطمئنة بعظمة الخالق العظيم ويزيدها تسليما وتفويضا عجز العقل البشرى عن تخطي الحدود العرفانية المقررة له وضرب لذلك عدة أمثلة فى غاية الروعة فانراجع فى رسالته في التربية

ومن ذلك نعلم أن الانسان لازالت أمامه مراحل واسعة لادراك حقائق الظواهر الكونية فاذاعجزنا الان عن ادراك ملكوت السموات وعن تعرف عجائب الارض . وعن اكتناه سر الحياة إذ أن القرآن الكريم لم يكشف لنا من ذلك الا مانحتاجه للعظة والعبرة، والعقل البشرى لم يصل في كشفه الا الى بعض الجوانب دون بعض، اذاعجزنا الان فليس ذلك بنقص ولا بعيب ، ولسنا ملزمين ابداً بادراك كل الحقائق فلنقنع مؤقتا بما وصلنا اليه ولنعمل بجد لادراك ماخفى عنا امره ، ولكل مجتهد نصيب « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »

(الله الذى رفع السموات والأرض بغير عمد ترونها) تقدم فى سورة الاعراف فى الجزء الثامن من تفسير المنار كلام مطول نفيس عن السموات والأرضين وعن الايام الستة التي خلقت فيها وعن المطابقة بين الوارد فى القرآن والمعروف من نظريات علماء الفلك ؛ وفى الرد على كثير من الاقاصيص حول هذه الموضوعات فليراجع هناك وخلاصته ما يأتى —

(١) ان السموات والارض يطلقان « فى مثل آية الاعراف » على

كل موجود مخلوق أو ما يعبر عنه بالعالم العلوى والعالم السفلى وان كان العلو والسفل فيهما من الامور الاضافية ـ وقد تطلق السموات على ما دون السفلى من العالم العلوى . ولا سيما اذا وصفت بالسبع . وهذا المعنى هو الموافق فى آية الرعد

(٢) أن الأيام الستة التى وردت في خلق السموات والأرض هى من أيام الله التى يتجدد اليوم منها بالعمل الذى يكون فيه ،فانراد بها اذا والله أعلم . التطورات التى اعتورت خلق السموات والأرض من الدخان إلى المائية إلى اليبوسة إلى خلق الأحياء والتعمير بالنسبة للارض فهذه أربعة أيام . ثم الى تكوين الاجرام السماوية في زمنين آخرين فليست هى كأيام الدنيا . وما جاء من الآثار فى ذلك فهو اسرائيلى أو ضعيف وأصح ما ورد فيه حديث أبى هريرة فى ذلك وفى سنده حجاج بن محمد الأعور وهو قد تغير فى آخر عمره وثبت أنه حدث بعد اختلاط عقله

(٣) أن تكلف التوفيق بين ما ورد فى ذكر السموات السبع وبين الافلاك التسع المعروفة فى الهيئة الفلكية عند اليونان مردود ببطلان هذه النظريات ولا حاجة الى الخوض فيه

هذه خلاصة ماتقدم فى سورة الاعراف ونزيد عليه هنا ما انفردت به هذه الاية وهو:

النص على أن رفع السماء بغير عمد إظهارا لكمال قدرة الله سبحانه وتعالى وعظيم سلطانه فهذه السموات كلها وما فيها من الاجرام

والكواكب والخلائق مرفوعة باذنه وامساكه من غير أن تستند على شيء بل بذلك الناموس العجيب الذى أودعه طبيعتها وجعله لازما لتكوينها فاستغنت به عن أن تعتمد على ما سواه وسواء أسمينا هذا الناموس جاذبية أو نسبية أو امساكا إلهيا أو قدرة ربانية فلاتغير هذه الاسماء من حقيقة الامر شيئا

(ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)

وقد نقل بعض المفسرين عن بعض السلف أن للسماء عمدا ولكن لاترى أو أنها مرتكزة على الأرض كما يشاهد فى الافق وكل ذلك غير صحيح وقد نفاه شيخ المفسرين ابن جرير فقال فى ذلك « وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله سبحانه وتعالى . الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها فهى مرفوعة بغير عمد نراها كما قال ربنا جل ثناؤه ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه) بل إنه وقد ورد فى شعر الجاهلية ما يفيد الاستدلال على قدرة الله وعجيب صنعه برفع السماء بغير عمد . قال أمية بن أبى الصلت ويرونها لزيد بن نفيل رضي الله عنه

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا وقولا رضيا لايني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه اله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان إياك والردى فانك لا تخفى من الله خافيا

وإياك لا تجعل مع الله غيره فان سبيل الرشد أصبح باديا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى أدين الها غيرك الله ثانيا
وأنت الذى من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له: فاذهب وهرون فادعوا الى الله فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت كما هيا؟
وقولا له: آأنت رفعت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانيا؟
وقولا له: هل أنت سويت وسطها منيرا اذا ماجنك الليل هاديا؟
وقولا له: من يرسل الشمس غدوة فيصبح مامست من الارض ضاحيا؟
وقولا له: من أنبت الحب فى الثرى فيصبح منه العشب يهتز رابيا؟
ويخرج منه حبه فى رءوسه ففى ذاك آيات لمن كان واعيا
فرب العباد ألق سيبا ورحمة علىّ وبارك في بني وماليا

نقله الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية عن ابن اسحاق

وما ورد فى تحديد مادة السموات وتقدير الابعاد بينها وبين الارض أو بينها وبين عوالم الملأ الأعلى لايصح فضلا عن أنه غامض مبهم

(ثم استوى على العرش) قال صاحب المنار رحمه الله فى مثل هذه الاية من سورة الاعراف بعد كلام فى المعنى اللغوى للاستواء والعرش وإيراد للايات التى ذكر فيها ذلك مانصه (لم يشتبه أحد من الصحابة في معنى استواء الرب تعالى على العرش على علمهم بتنزهه

سبحانه عن صفات البشر وغيرهم من الخلق اذ كانوا يفهمون أن استواءه تعالى على عرشه عبارة عن استقامة أمر ملك السموات والارض له وانفراده هو بتدبيره . وان الايمان بذلك لا يتوقف على معرفة كنه ذلك التدبير وصفته وكيف يكون ؟ بل لا يتوقف علي وجود عرش .. ولكنه ورد فى الكتاب والسنة أن لله عرشا خلقه قبل خلق السموات والارض وأن له حملة من الملائكة فهو كما تدل اللغة مركز تدبير العالم كله قال تعالى فى سورة هود (١١ — ٧) (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) ولكن عقيدة التنزيه القطعية الثابتة بالنقل والعقل كانت مانعة لكل منهم أن يتوهم أن فى التعبير بالاستواء على العرش شبهة تشبيه للخالق بالمخلوق ، كيف وان بعض القرائن الضعيفة لفظية أو معنوية تمنع فى لغتهم حمل اللفظ على معناه البشري فكيف اذا كان لا يعقل وكيف والاستواء على الشيء يستعمل فى البشر استعمالا مجازيا وكنائيا كما تقدم؟ والقاعدة التى كانوا عليها في كل ما أسنده الرب تعالى إلى نفسه من الصفات والافعال التى وردت اللغة فى استعمالها فى الخلق أن يؤمنوا بما تدل عليه من معنى الكمال والتصرف مع التنزيه عن تشبيه الرب بخلقه فيقولون إنه اتصف بالرحمة والمحبة واستوى على عرشه بالمعنى الذى يليق به لا بمعنى الانفعال الحادث الذى نجده للرحمة والحب فى أنفسنا ولا مانعهده بالاستواء والتدبير من ملوكنا وحسبنا أن نستفيد من وصفه بهاتين الصفتين أثرهما في خلقه وأن نطلب رحمته

ونعمل مايكسبنا محبته، ومايترتب عليهما من مثوبته وإحسانه ونستفيد من الاستواء علي عرشه كون الملك والتدبير له وحده فلانعبد غيره ولذلك قرنه في آخر آية يونس بقوله (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) وفي سورة الم السجدة ٣٢ ـ ٣٣ (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) اه

ونقول: لك أن تقول هذا فتلاحظ فى معني الاستواء الوارد فى الآيات القرائن والملابسات وذكر الخلق والتدبير والتصريف ونفى الشفعاء فى معظم الآيات التى ورد فيها الاستواء ولم يجىء ذلك عبثا وإعتباطا لرابطة بين المعانى الواردة فى الآية وتعتقد أن المرادبالاستواء على العرش مطلق التدبير والتصرف، وتصرفه صرفا تاما عن معناه الذى يوهم التشبيه كما جاء فى هذا القول المتقدم ولك أن تتوقف مبالغة فى التورع فتقول: نمره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. ولكل من الموقفين موضعه فأنت إذا خفت على نفسك أو غيرك شبهة التشبيه فأمامك المعنى الاول يثلج الصدر ويطمئن القلب ولا يتنافى مع ظاهر اللغة ولا يقدح فى جلال الصفة ، وان كنت رجلا رضى النفس مطمئن القلب بالايمان مستريح البال بالتفويض والتسليم تخشى أن الكلام فى هذه المعانى يفتح عليك وعلي غيرك أبوابا من الفتنة المغلقة فقلت آمنت بما جاء عن الله على مراد الله والله أعلم بمراده واسترحت قلبك وان أفتوك

وان أفتوك وان أفتوك والله أعلم

(وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى)

وقد يكون المراد بالجريان ما يرى من حركتهما الظاهرة التى تلازم ناموس الاتصال بينهما وبين الارض وبقية الكواكب حتى تقوم الساعة فيبطل ذلك النظام ويختل ذلك الناموس وتبدل الأرض غير الارض والسموات. وقد يكون المراد جريانهما الحقيقى . وقد ثبت أن لكل الاجرام حركات حول نفسها ولكثير منها حركات حول غيرها وللشمس حركة حول نفسها ولها هي ومجموعتها الكوكبية حركة انتقالية فى السماء بحيث أن دوران الارض حول الشمس ليس فى خط منحن مقفل بل فى خط حلزونى مفتوح دائما يجعلها لا تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ دارت الى الآن وهذا عجيب حقا. والى أين تسير الشمس فى السماء ؟ لا يجيبك أحد من الفلكيين ولكن القرآن الكريم يقول (لمستقر لها) وأين هذا المستقر ذلك ما يعلمه الله ولم يصل اليه العلم التجريبى بعد وكلا المعنيين صحيح الأول معنى نظرى والثانى معنى علمى وهو أسلوب القرآن المعجز الذى ذكرت لك آنفا. وانما خصت الشمس والقمر بالذكر لصلتها الواضحة بالارض وما عليها والا فالتسخير والتصريف والقهر يتناول كل الاجرام السماوية بل كل العوالم وقد صرح القرآن بذلك فى كثير من الايات كقوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

(يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون)

هذا النظام المعجز والخلق البديع والتكوين الكامل والتصريف العجيب هو تدبير الله وصنعه وكذلك يدبر الله أمر الخلق ويفصل لهم الآيات الكونية والقولية لعل ذلك يكشف عن قلوبهم حجب الغفلة ويزيل غشاوة الشك والريب فاذا أدركوا بعض مظاهر هذه العظمة الربانية اعتقدوا وأيقنوا أن هذ الخالق قادر على اعادتهم وأنهم سيلقونه فيحاسبهم على ماقدموا من الاعمال فى حياتهم الدنيا . واليقين صفة من صفات العلم ومرتبة من أعلى مراتب الايمان وهو فوق المعرفة والدراية هو سكون القلب واطمئنانه مع ثبوت الحكم فى النفس واستقراره وزوال كل عوارض الشك والريب والله أعلم

« الجهاد فى سبيل الله »

من كلام الامام على كرم الله وجهه

أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاشداد ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف . . . فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا . . . فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون !

فتاوى المنار

تقدم فى هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة فى الورود ان شاء الله والله المستعان

الأحمدية (القاديانية واللاهورية)

سيدى الاستاذ محرر المنار الأغر حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فقد طالعنا فى بعض الجرائد الاسلامية مقالات حول طائفة القاديانية وحول وجود بعض من ينتسبون اليها بالأزهر الشريف لطلب العلم وأن فضيلة شيخ الازهر قد ألف لجنة من بعض كبار العلماء للتحرى عن مذهب هذه الطائفة ولم نعلم نتيجة هذا التحقيق بعد فنرجو التكرم ببيان موجز عن عقائد هذه الجماعة وعن الفرق بين القاديانية والأحمدية وعن نشأتهم وعن واجب المسلمين بإزائهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد فهمى أبو غدير
كلية الحقوق

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) رأس هؤلاء الجماعة رجل هندى اسمه غلام أحمد ولد عام ١٨٣٩م

ومات عام ١٩٠٨م بقاديان من أعمال بنجاب الهند ادعى أنه المسيح الموعود به وأن روح الله قد حلت فيه وأنه المهدى المنتظر وأنه أوحي اليه بكثير من اللغات ومنها الانكليزية وخاط ذلك بكثير من الدعاوى الفارغة التى تتناقض مع أصول الاسلام كل المناقضة وقد وجدت السياسة الانكليزية فيه مطية من مطاياها فى التفريق بين الشعوب وأغرته وأمدته بالمال والجاه حتى كان قضاة المحاكم الانكليز يتساهلون معه فى الاحكام فى القضايا التى رفعت عليه وعلى أتباعه فى جرائم كثيرة وفى نظير هذه المساعدات من الدولة الانكليزية أصدر هذا المدعى فتاوى صريحة بسقوط أحكام الجهاد بل وصرح بأن من يرفع السيف فى وجه انجلترا آثم مرتكب لاكبر الجرائم وقد وقعت بينه وبين علماء الهند الفضلاء مناظرات ومجادلات عدة ووقعت بينه وبين صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا رحمه الله محاورات وتناول السيد هذا الموضوع فى كثير من أعداد المنار وترى بعض هذه المقالات في الاجزاء الخامس والسادس والسابع من المجلد الحادى والثلاثين وقد كان من عادات هذا المسيح المدعى أن يدعو مناظريه إلى المباهلة وأن يجعل موت خصمه قبله دليلا على انتصاره وبالعكس وقد مات سنة ١٩٠٥ بعد أن زعم قبل ذلك أن أجله قد انتهى فمكث بعد هذا الزعم ثلاث سنوات وقد بني مقبرة بقاديان وادعى أن من دفن بها سيدخل الجنة بشرط أن يتبرع بربع ماله. وأبقى الله فضلاء العلماء الذين قاموا ببيان زيفه

وغلطه فما كانت هذه التمويهات لتكون دليـــلا على حق أو هادمة لباطل ولكنه الافلاس من الدليل وقد قام برياسه جماعته من بعده ابنه بشير محمود ومقره الآن قاديان من البلاد الهندية وتنسب الطائفة إلى أبيه فتسمى الطائفة الاحمدية

(٢) وقد انقسمت هذه الطائفة الاحمديه الى فريقين فريق اعتقد النبوة لغلام احمد وصدق بكل ماقاله وهؤلاءهم أحمدية قاديان ورئيسهم ابنه بشير وفريق اعتقدفيه أنه مصلح مجدد وأخذ ببعض مزاعمه دون البعض على حد اعترافهم وقولهم والله أعلم بحقيقة مايضمرون وإن كانت كل أعمالهم تدل على أنه لا فرق بينهم وبين اخوانهم السابقين وهؤلاءهم أحمدية لاهور ولسانهم الناطق السير محمد على صاحب ترجمة القرآن وهو غير مولانا محمد على رحمه الله — وكلام الفريقين بعيد عن أصول الدين فانه إذا كان غلام أحمد قدصرح بأنه نبي وأنه يوحي إليه وصرح بغير ذلك من الطوام والفظائع فهل يغنى شيئا عن اللاهوريين أن يقولوا إننا نعتقد أنه مجدد ؟ وأى القولين يصدق الناس قول المتبوع الذى يصرح بنبوة نفسه أم قول التابعين الذين لا يبلغون به هذه المرتبة ؟ لو كان هؤلاء صادقين لرجعوا إلى الحق ولوافقوا جمهور أئمه المسلمين ولبرءوا الى الله من هذا الرجل براءة الذئب من دم ابن يعقوب

(٣) والغريب في أمر هذه الجملة أنها تلبس على المسلمين بأمرين

اولهما نشاطها فى الدعوة إلى نحلتها بزعم أنها دعوة الى الاسلام وتشجيع الانكليز وإغراؤهم من وراء ذلك والا فلما لا يبرز هذا النشاط قويا الا فى بلاد الانكليز وما يلحق بها ؟ والثانى مجاداتهم للمبشرين وهدم لمزاعم دعاة النصرانية وهم فى هذا مهرة مجيدون وهدم الباطل سهل ميسور وهم يستغلون هذا الانتصار ليقولوا للمسلمين اننا أخلص الناس للاسلام وها أنتم ترون كيف نهزم دعاة النصرانية ويخفون عنهم أنهم ان هدموا عقائد النصرانية فهم لا يبنون عقائد اسلامية ولكن عقائد خيالية لعل النصرانية خير منها وفيما يلى نموذج من أقوال رئيس هذه الطائفة فى كثير من المسائل وفى اسقاط الجهاد وتحريم رفع السيف فى وجه الانكليز

(١) قال غلام أحمد فى رده على صاحب المنار بكتاب أسماه (الهدى والتبصرة لمن يرى) يذم العلماء لانهم لم يؤمنوا بمسيحيته الموعودة ويعلن أن رفع السيف على الانكليز جرم عظيم

« وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذى هو نازل من السماء ، ولا يتصدوا له بالمراد فما أطاعوا أمر الله الودود ، بل إذا ظهر فيهم المسيح الموعود.. فكفروا به كأنهم اليهود .وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصليب وعند تقليب الاسلام كل التقليب فهل اتبع العلماء هذا المسيح كلا بل أكفروه واظهروا الكفر القبيح وأصروا على الاباطيل وخدموا القسوس فأخذهم القسوس وشجوا الرءوس وأذاقوهم مايذيقون

المحبوس فرأوا اليوم المنحوس - سيقول العلماء ان الدولة البريطانية أعانت القسوس ونصرتهم بحيل تشابه الجبل الركين لينصروا المسلمين في جميع العالمين

والامر ليس كذلك والعلماء ليسوا بمعذورين فان الدولة ما نصرت القسوس بأموالها ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حرية أكثر منكم ليرتاب من كان من المرتابين بل أنشأت قانونا سواء بيننا وبينهم ولها حق عليكم لو كنتم شاكرين

أتريدون أن تسيئوا إلى قوم أحسنوا إليكم والله لا يحب الكفارين الغامطين ومن إحسانهم أنكم تعيشون بالامن والامان وقد كنتم تخطفون من قبل هذه الدولة في هذه البلدان - وأما اليوم فلا يؤذيكم ذباب ولا بقة ولا أحد من الجيران وإن ليلكم أقرب الى الامن من نهار قوم خلت قبل هذا الزمان ومن الدولة حفظة عليكم لتعتصموا من اللصوص وأهل العدوان وهل جزاء الاحسان الا الاحسان. وإنا رأينا من قبلها زمانا موحشا من دونه الحطمة واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة نقطف من ثمارها ونأوي إلى أشجارها ولذلك قلت غير مرة إن الجهاد ورفع السيف عليهم ذنب عظيم وكيف يؤذي المحسن من هو كريم ومن آذى محسنه فهو لئيم»

هذا كلام المسيح الموعود عن طغاة الاستعمار المنكود فهل يدافع الانجليز عن أنفسهم في كل مكان بأكثر من هذا الهذيان. اللهم ان

هذا هو البهتان وانظر إليه كيف ينفي عن الانجليز مساعدة المبشرين وهم أعضادهم في كل وقت لاينكرون ذلك ولايخفون ما هنالك بل يساعدونهم في كل حين بأوقاف المسلمين وما أنباء التبشير في السودان الان وفي غير السودان من قبل ببعيد عن هذا المسيح الموعود ولكن الغرض يعمي ويصم

وقد نشرت مجلة الفتح الغراء في العدد ٦٦٤ بتاريخ ١٠ جمادى الاخرة سنة ١٣٥٨ استفتاء لعلماء الهند جاء به كثير من أقوال هذا المدعى المكفرة مثل قوله (انى نبي وأنا المخصوص بالنبوة في هذه الامة) من كتاب حقيقة الوحى ص ٣٩١ له

وقوله (خاطبني الله بقوله اسمع ياولدى) من كتاب البشرى ص ٩٤ له

وقوله (كان المسيح متعودا على الكذب والافتراء)من كتاب ضميمة أنجام آتهم ص ١٧

وهكذا من هذه التخريفات وقد أفتى علماء الهند الفضلاء بكفره لهذه الاقوال الشائنة وذيلت هذه الفتيا بتوقيعات كثير من الافراد والطبقات العلمية في جميع بلاد الهند تقريبا وفي كثير من بلدان الاسلام

(٤) أما حادثة الازهر فخلاصتها أن طالبين البانيين ممن ينتسبون الى هذه الطائفة اندرجا في سلك طلبة القسم العام وتنبة لهما بعض اليقظين من الطلبة فأبلغوا أمرهما الى الجهات المختصة في الازهر فأجرى

تحقيق بمعرفة شيخ القسم العام ثم ألفت لجنة للكشف عن حقيقة هذا المذهب وقد أمد بعض الغيورين هذه اللجنة بكثير من كتب هذه الطائفة التي تصرح بضلالها ومحالها .

وكلمتنا لحضرات أصحاب الفضيلة علماء الازهر الاجلاء وعلى رأسهم فضيلة الاستاذ الاكبر أن الامر أهون من ذلك كله والحق واضح بين . ووجود هذين الطالبين بين الطلبة فيه خطر محقق ذلك إلى أنهما سيستخدمان نسبتهما للازهر وحملهما لاسم طالب العلم فيه استخداما خبيثا فى تأييد نحلتهما الضالة الهدامة . وقد ذاع الامر الآن فى مصر وفى غير مصر من بلاد الاسلام وعلى يد هذين الطالبين وامثالهما ممن يشايعهما فى البانيا ذاع السفور والتحلل من عقدة الاسلام ورأى الأزهر رأى رسمى يتخذه الناس حجة في كل أقطار العالم فتبعة فتواه فى هذا كبيرة عظيمة ومسئوليته فى هذا لا يعلم مداها إلا الله .

نرجو أن تضع اللجنة نصب عينها هذه الحقائق وأن تقذف هذه الفتنة بالحق الواضح فتدمغها فاذا هى زاهقة وان تأخذ بالحزم فتقصى عن حرم الازهر كل طالب لا خير فيه للاسلام والله الهادى إلى سوء السبيل ؟ .

« فى العدد القادم »

ورد علينا سؤالان أحدهما خاص باستحضار الارواح والثاني خاص بما قيل فى خطيئة آدم عليه السلام نرجىء الكلام فيهما إلى العدد القادم

(المنار منذ عشرين سنة)
رجب سنة ١٣٣٨ هـ

عاقبة حرب المدنية الأوروبية

يقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

كتبنا فى أثناء هذه الحرب مقالات بينا فيها أسبابها وعللها وحكمة الخالق فيها وفظائعها وشرورها والمقابلة بينها وبين الحروب الاسلامية التى امتازت بالرحمة وبجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها وبتحريم القسوة والفظائع فيها ، والمقابلة والمقارنة بين الدول المتحاربة فى الاستعداد والمزايا ، وصرحنا فيها بأن عاقبتها ستكون انفراد احدى الدولتين الرئيسيتين فى الحلفين الكبيرين الجرمانى والانكليزى — وهما المانية وانكلترة — بالسيادة والعظمة فى العالم وفاقا لقول الفيلسوف هربرت سبنسر الشهير للأستاذ الامام : إن ضعف الفضيلة وتغلب الأفكار المادية فى أوربة سيدفعان دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم

ومما بيناه فى بعض تلك المقالات أن المانية أتقنت الاستعداد للحرب اتقانا يمكنها من محاربة أوروبة كلها وأنها فاقت جميع الدول فى السلاح

والنظام وان اعداءها يفوقونها بالكثرة التى تعد من أعظم أسباب الغلبة كما قال الشاعر العربى

ولست بالاكثر منهم حصا وانما العزة للكاثر

وقد كان من أمر هذه المكاثرة أن انكلترة ألبت على المانية أكثر دول الأرض فى الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد . وإنما كان ذلك بعلو كعبها على الألمان بغيرهم فى الدهاء السياسى الذى هو أدق علوم البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا، وقد قلت مرة لصاحب لى من الألمان المستشرقين كان يحاورنى وأحاوره فى المقارنة بين قومه وبين الانكليز وما بينهما من المناظرات . إنى مقتنع بأنكم فقتم الانكليز فى جميع العلوم والفنون والأعمال حتى التجارة إلا ما هو أهم من ذلك كله وأعظم — وهو السياسة — فانى أرى أن الانكليز يفوقونكم فيها . فقال صدقت

وقد ذكرتنى هذه الكلمة التى قلتها منذ بضع سنين بكلمة فى معناها قلتها منذ بضع عشرة سنة فى مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم وجرجى بك زيدان وبقى صاحب الدار وأحد الباشوات قال صاحب الدار فى ذلك المجلس انه بلغه أن المانية عقدت مع روسية محالفة سرية على انكلترة وسيترتب على هذه المحالفة اخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا فقلت له لا تغتر بهذا الخبر فان انكلترة كانت ولا تزال تضرب بعض الأمم

ببعض وتكون هي الرابحة فهى كما قال مسلم بن الوليد كالسيل يحذف جلمودا بجلمود

انني لم أصدق هذا الخبر فى ذلك الوقت ثم تبين فى أثناء هذه الحرب مما اكتشف من أسرار القيصرية الروسية أن له أصلا وأن مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون اتمامها فان كان هذا وقع بعد ذلك الزمن الذى أخبرنا فيه ذلك المخبر به فمن الجائز أن تكون مقدماته ووسائله قد سبقته بسنين ، والذى نقصده من العبرة فى هذه السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانيا على روسية فحالفوها على الترك والفرس ثم جعلوها باتفاقهم مع حليفتها فرنسة فدية لهما فى هذه الحرب فكانت مصب نقمة المانية الحربية في ريعان قوتها ، وعنفوان أسرتها وكذلك تعبث الأمم العليمة الحكيمة بالأمم الجاهلة الخرقاء فتجعلها فدية لها كما فعل الحلفاء بأمم أخري وكما فعل الألمان بالترك

وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكلترا السياسية تسخير دولة الولايات المتحدة الامريكية لانقاذها وإنقاذ حلفائها من جحيم الالمان العسكرى بعد أن عجزت أوروبا كلها ومن ظاهرها من أمم آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية عن فل حدهم ، وإيقاف طغيان مدهم ، وهى الدولة التى جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لاهله وعدم مشاركتهم فى شيء منه . رقتها انكلترا رقيتين استخرجت بهما حيتها من جحرها ، وزحزحتها عن قاعدة سياستها . إحداهما دعوتها

إلى انقاذ حرية الامم والشعوب من السيطرة الالمانية التى تهدد العالم بالاستعباد ، والثانية دهاء اليهود ونفوذهم المالى فى تلك البلاد ؛ وقد وعدتهم انكلترا بان يكون جزاؤهم إعادة ملك اسرائيل الى مملكة سليمان فى الارض المقدسة بالرغم من أنوف العرب أصحاب البلاد . ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وسكت لها على هذا الوعد أشد ذوى التحمس الديني من البروتستنت والكاثوليك حتى الجزويت منهم ، وأما المسلمون فلم يصدهم ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيوش التى جهزوها باسم شريف مكة سليل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض أبنائه . فهل كان باستطاعة أحد من دول الارض أن يفعل مثل هذا أو يفكر فى إمكانه ؟ لا ! ولكن الانجليز فعلوا مالم يكن يخطر فى بال بشر فاستردوا هذه البلاد وماحولها من المسلمين الذين غلبوا اقلب الاسد ملك الانجليز وسائر ملوك أوروبا فى الحروب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية .

طوح المستر لويد جورج وزير انجلترا الاكبر هذه الدولة بالرقيتين اللتين ذكرنا فجعلت ثروتها الكبيرة وموادها الغزيرة وجنودها الكثيرة وقفا على انقاذ الحلفاء من ألمانيا بل هاجمت المانيا بقوة أكبر وأعظم من كل هذه القوى — قوة الدعوة الى الصلح المبنى على اتفاق الامم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ؛ وإبطال ماجرت عليه الدول القوية فى العصور الخالية من المحالفات السرية

على هضم حقوق الامم المستضعفة وغير ذلك من أصول الحق والعدل التى مازال الاقوياء يهدمونها بمعاول القوة ، ومنها وجوب حرية البحار وجعل الانجليز وغيرهم فيها سواء ، قام الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات يحارب المانيا بهذه القوة الادبية المعززة لتلك القوى الحربية والمالية . ففاه بتلك الخطب الطنانة الرنانة ، ووضع للصلح تلك القواعد الجذابة الخلابة . ففعلت فى زمر الاشتراكيين والعمال الالمانيين فعل السحر ، ولاسيما قاعدة حرية البحار فى زمني الحرب والسلم فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا فى وجه قوتهم العسكرية وهى فى أوج انتصارها وذروة فخارها : أمرت أسطولها بان يهاجم الاسطول البريطانى فاعتصب بحارته وأبوا الامتثال ، وهدد زعماء الاشتراكيين قواد الحرب باعتصاب جميع العمال ، أو يطلب عقد الصلح على قواعد الرئيس «واسن» العادلة اذ هي أفضل من نصر عسكرى يورث الاحقاد ويورث السياسة الجائرة ، وانما أسست جمعياتهم وتحزبت أحزابهم لمقاومتها ، وقد سنحت لهم الفرصة فقالوا لا نضيعها . ولم يقنعهم القول بأن هـذا خداع ، لان الامريكيين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستمهلتهم الحكومة ريثما تسحب جيوشها وكراعها وذخائرها من قلب فرنسا فامهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشتراط الحلفاء فيها إضعاف جميع قوى الالمان الحربية فى البر والبحر والجو حتى لا يستطيعوا العود . فمن المنتصر؟ أميركا فى الظاهر وانجلترا فى الباطن . بل المنتصر إنما هم

رجال السياسة الانجليزية وحدهم . فهم الذين أقنعوا الولايات المتحدة بوجوب مؤازرة القضية المشتركة فسقطت على يدها المانيا وساعدهم على ذلك صلف الالمان وغرورهم واحتقارهم الولايات المتحدة . وهم الذين والوا شريف مكة فكان عاملاقويابالسقوط الترك، وهم المتصدرون لادارة دفة سياسة العالم بعد التمهيد لها واقتحام مايقوم أمامهذه الادارة من العقبات . ومن ذلك اقناع الولايات المتحدة باسم خدمة الانسانية وتأييد المدنية بالاشراف على تركيا ، والنهوض بالجمهورية الارمنيــة . ويتولون هم إدارة البلاد العربية من برقة الى العراق فعمان ـ ماخــلا سوريا الشمالية فان ادارتها جعلت لفرنسا تنفيذا لمعاهدةسايكس ـ بيكو من جهــــة وحتى لاتؤوب فرنسا بصفقة المغبون وترضى من الغنيمة بالأياب من جهه أخرى . . . والبلاد الفارسية المتصلة ببلوخستان فالهند فالتبت . .

الانكليز يحتلون سورية الجنوبية (فلسطين) ويعملون فيها عمل الحاكم المطلق ويمهدون السبيل لمهاجرة الصهيونيين اليها ليكونوا حكاما فيها تحت حمايتهم ويحتلون العراق ويعملون فيه عمل المالك بلا معارض وقد أسسوا للسواحل الحجازية واليمنية محافظة سموها (محافظةالبحر الاحمر) وأرسلوا بعثة الى الامام يحيى ولكنها أسرت قبل الوصول اليه ـ وأرسلوا بعثة أخرى الى السيد الأدريسي للاتفاق معه . وعقدوا اتفاقا مع حكومة ايران نشر في الجرائدفشكت منه الصحافيون ورجال

السياسة واحتجوا بأنه مخالف لعهد (عصبه الامم) إذ كانت المسألة السورية معلقة بأنواط تلك الوسائل المشار اليها ، كما تحدث أولئك الرجال وتلك الجرائد بالمسألة المصرية وبما للمصريين من الحق فى المطالبة باستقلالهم وحريتهم ولم تفتر تلك الشقشقة حتى تم الاتفاق على العود إلى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦

وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية فى البلاد التى كانت تظن فرنسه أن سياستها فيها أرجح لما لها فيها من الصنائع والوسائل . فقد كان طلاب المساعدة الامريكية فالانجليزية من أهالى البلاد أضعاف طلاب المساعدة الفرنسية ، فلم يبق لفرنسا بد من اللجأ الى ارضاء انجلترا والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة تصرفها المطلق في مصر وسائر بلاد العرب والعجم . جرى كل ما ذكر على طريقة السياسة الاوروبية المعروفة المألوفه من تصرف الاقوياء فى الضعفاء والعلماء فى الجهلاء ، بعد أن ذهبت جعجعه خطب الرئيس « ولسون » فى الهواء وهو ما كنا نتوقعه من وراء هذا النصر ونحدث به من كلمناه فى عواقب الحرب، وخاصة اخواننا العرب المغرورين من السوريين والعراقيين ، ولا غرابة فى غرور أطفال أغرار فى مهد السياسه والحركة العربيه الحجازيه في بدء ظهورها تكبرها فى أعينهم بعض الجرائد .

فان قال قائل . ان كتاب الله قد أثبت أن العاقبة للمتقين وقد فسر

علماؤنا التقوى بأنها عبارة عن أداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز — بهذا المعنى — هم المتقون ، حتى كانت عاقبة هذه الحرب لهم بنفوذ الكلمة وعلو المنزلة والتصرف في أرض الله الواسعة ؟ نقول إن قول الله تعالى لاريب فيه ، وإن كلام العلماء في تفسير التقوى صحيح ولكنه مجمل فمن فهم منه أن المراد بفعل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذي شرعه الله تعالى ، وأن ترك المنهيات خاص بترك الخمر والزنا والسرقة وما أشبه ذلك — فهو قصير النظر ضعيف الفهم ، التقوى أعم من ذلك وهي تختلف باختلاف ماتطلب فيه كما بيناه في مواضع من تفسير المنار ونبهنا أهل العصر الى تقصير المفسرين وغيرهم من علمائنا في بيان مافي الكتاب والسنة من الاصول الاجتماعية ومسائل السياسة والعمران

فالتقوى المذكورة في قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا) الآية غير التقوى في معاشرة النساء المذكورة في سورة الطلاق ، وغير التقوى في قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون) فلكل مقام خصوصية هي المقصود الاول من المعنى العام والتقوى في قوله تعالى (إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) غير ماذكر كله . فالاولى والثانية في أحكام الطعام والصيد وهما من الاحكام الشخصية الفردية ، والثالثة في أحكام الزوجية وهي منزلية

(أو عائلية) والرابعة في شؤون الامم والعمران وهي ما يعبر عنه في عرف هذا العصر بالاجتماعية وكلامنا فيها . والثابت عندنا أن الانكليز أشد الأقوام عناية باتقاء الخيبة والفشل في هذه الأمور . والالمان كذلك إلا أن الالمان فاقوا الانكليز بالقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها إلا وأحكموه . ولذلك كانت العاقبة لهم في المعارك الحربية . ولكنهم لم يتقنوا كالانكليز إتقاء التنازع الداخلي فوقعت الثورة الاشتراكية في أمتهم . وصدق عليهم قوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يتقنوا كالانكليز اتقاء سخط الامم والشعوب عليهم فأسخطوا الامة الامريكية على حين صارت أعظم الامم ثروة واشتدت حاجة جميع الامم اليها . فكان ذلك عونا للانكليز على تسخيرها لهم . ولم يتقوا خروج العرب على الترك باستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم وبين الترك وتحذيرهم من خطر انتصار الانكليز عليهم بل سمحوا لاوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الاحمرين) — الدم والذهب — بارهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلا وتصليبا وتذليلا وتغريبا ومصادرة وتعذيبا وهتكا للأعراض وإفسادا للاخلاق . على حين كان الانكليز يجدون في استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضروب الاستمالة فال اليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشايعهم مشايعة فعلية أو سلبية الامير عبدالعزيز ابن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق . والاهم شريف

مكة (الملك حسين) وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سوريا والعراق بقيادة أبرع أبنائه فى الغزو والقتال الامير فيصل (ملك سوريا) وقد اعترفوا له ببلائه واخلاصه فى اعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى ايقاع الفشل والخذلان فى جيش الترك الدافع عن سوريا حتى انهزم وتركها غنيمة باردة لهم وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الامير فيصل سل حسامه فى نصر الحلفاء من غير أن يحصل على أى وعد منهم بشىء ولكنه أعطى بعض الوعود بعد ما أخذ فى النجاح . وقالت ان الامير فيصل كان يرغب فى الاستقلال التام للحجاز وحـــده ، وأما لسائر الشعوب العربية فانه يرغب لها فى الاستقلال عن الترك فقط. وأن تطلب كل البلاد العربية وصاية دولة واحدة عليها وتعنى دولتها انجلترا (اه ملخصا من عددها الاسبوعى المؤرخ فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاة الشريف أكبر مما ذكر فى فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا . ولو كان الالمان مثـــل دهائهم لسبقوهم الى استمالة العرب وكانوا على ذلك أقدر . واذا لاستطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندى ولا أبالغ اذا زدت على ذلك ولاسيما اذا شملت هذه الاستمالة اليمن وعسير ووصلوا الى شواطىء البحر الاحمر وبحر العرب ولم يكن ذلك عليهم بعسير

فان قال ذلك القائل . فهمنا معنى التقوى فى السياسة والحرب

ومعنى كونها من سنن الله تعالى فى النجاح ، ولـكن خفى علينا ما بينت فى تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلهى عادل من الدول والشعوب الظالمة لنفسها والظالمة لغيرها الباغية على عباد الله التى لم تشكر نعمة الله تعالى باستعمالها فيما يرضيه من إقامة الحق والعـدل ، واننا نرى ألوف الالوف من البشر تئن من سلطة تلك الدول وحكمها وإذا كانت مصيبة صادقة فى شكواها — لانها مهضومة الحقوق بضعفها — فلماذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ورفع العقاب عن أولئك الباغين وتحكيمهم فى بلاد قوم آخرين

إن قال ذاك القائل هـذا القول وأورد علينا هـذا الاشكال فاننا نجيبه بان ما يراه هو مشكلا لانراه نحن كذلك . فاننا نرى أن الامم المستضعفة الظالمة لنفسها المظلومة من قبول الاقوياء المسلطين عليها بما كان من تفريطها . لم يمحصها ما حل بها ويرجعها الى رشدها . وإن الدول الباغية الظالمة قد ذاقت من الشدائد التي تعامل المستضعفين بها ، ولم تنب وترجع الى ذنبها . وكذلك شأن الدول والامم التى غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهى لكل أمة ودولة لم ينته بهذه الحرب ولا هى انتهت بما وضع من معاهـــدة الصلح مع بعض المتقاتلين دون بعض .

وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلو كلمته بما بيناه من سببه . لا دليل على ثباته ودوامه ، واذا طال العهد عليه بحثنا عما اقتضى ذلك من أسبابه

وسنن الاجتماع فيه ، وإنما نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يجر وراءه أسباب خسار وخذلان ، أهمهما خسران الانجليز ذلك الصيت الحسن الذي غرسوا فسيله ، وزرعوا بذوره ، وتعاهدوا زرعه بما ينميه عدة أجيال ، حتى كانت الشعوب المتململة من سلبهم استقلالها تفضلهم على غيرهم ، والشعوب المتألمة من غيرهم تتمنى لو تتفيأ ظل حكمهم ، ولكن لايزال في الشعب الانجليزي ذي العرق الراسخ في مكارم الاخلاق وبعد الروية وطول الاناة وحب العدل والانصاف رجال يرجى أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ويراعوا الانقلاب الاجتماعي الجديد الذي فجرت هذه الحرب قواه التي جممت في عهد بعيد ، كما تتفجر البراكين من الارض باخر نقطة أودفعة من الغازات المولده للضغط فاذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاستعمارية ووضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب ببقائها على مراعاة ما أشرنا اليه من الانقلاب الاجتماعي الاكبر . إذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ماذكرنا . وتركوا لهذه الشعوب استقلالها في ادارة بلادها وسياستها وحالفوها على أن يكونوا هم المقدمون على جميع أمم المدنية في مساعدتها العلمية والفنية التي تقرر استقلالها وتعمر بلادها ورضوا من المكافأة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والادبية التي تكون بالتراضي لابالقوة الاحتلالية فانهم يؤسسون

لشعبهم السكسونى المجيد . مجـدا طريفا إلى مجده التليد بحيث يرجى أن يكون خالدا لا يبلى ولا يبيد . ما لم يرجع عن هذه الطريقة أو يحيد وحينئذ تكون له العاقبة المحمودة ويسترجع أضعاف ما فقد من ثروته المالكة من غير نفقات كبيرة . كالنفقات التى لا يزال يتكبدها باحتلال البلاد المغلوبة . ويكون سببا لاصلاح الكون وعمران الارض

أكتب هذا باملاء العقيدة الثابتة المؤيدة بالدلائل الاجتماعية الناهضة لا بباعث الاغراض القومية . أو قصد الابهامات السياسية تارك تصديقه للزمان وتفسيره لحوادث الايام وسنن الله فى الانام لامبدل لسنته ولا معقب لحكمه ولا راد لمشيئته

(المنار) من تأمل هذا المقال رأى كيف أن التاريخ يعيد نفسه وكيف أن ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية فى أوربا الآن سيدفعان بل قد دفعا فعلا دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم كما وقع ذلك من قبـل . وكيف أن انجلـترا كانت ولا تزال تضرب بعض الامم ببعض وتـكون هى الرابحة . وكيف أن دهاء اليهود ونفوذهم المالى يعمل عمله دائما وراء الستار فى كل فتنة وكيف أن جعجعة خطب الرئيس ولسن قد ذهبت فى الهواء بعد انتصار الحلفاء وجرف السياسة الاوربية على سنتها من الاستغلال والاستبداد وكيف أن انجلترا لم تأخذ بهذه النصيحة الذهبية التى أسداها اليها صاحب المنار منذ عشرين سنة ولم يوجد فيها بعد أولئك الرجال الذين يقاومون الاطماع الاستعمارية ويضعون لدولتهم سياسة جديدة أساسها العدل والانصاف

دعوى علم الغيب

ومنابذتها لاصول الاسلام

لاريب أنه قد جاءت آيات وأحاديث فى أفراد الله تعالى وحده بعلم الغيب وهى كثيرة ونقتصر هنا فى الآيات على مافى سورة الانعام والنمل والجن قال تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله) (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) ومن الأحاديث حديثى ابن عمر فى البخارى وعائشة فى مسلم فالذى فى البخارى قوله « ﷺ » « مفاتيح الغيب خمس لايعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » والذى فى مسلم هوقول عائشة «ض» « ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية إلى أن قالت فى بيان الثالثة ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » وقد بسط ابن العربى فى أحكام القرآن القول فى هذه المسئلة أول سورة الانعام وحكم بكفر من دعى علم واحدة من الثلاث المذكورة فى كلام عائشة « ض » وحكى ابن الحجاج فى حاشيته على « صغير ميارة » الاتفاق على كفر من يقول ان الأنبياء يعلمون ما كان ومايكون إلى يوم القيامة ونقل ابن حجر فى الاعلام بقواطع الاسلام وابن عابدين فى حاشية الدر المختار وغيرهما من الفقهاء فى المذاهب الاربعة كفر من ادعى علم الغيب قال الشاطبى فى الموافقات جزء ٤ صحيفة ٨٤ «وقد تعاضدت الايات والأخبار وتكررت فى أنه لايعلم الغيب الا الله وهو يفيد

صحة العموم من تلك الظواهر حسب مامر في باب العموم من هذا الكتاب فاذا كان كذلك خرج من سوى الانبياء من أن يشتركوا مع الأنبياء صلوات الله عليهم في العلم بالمغيبات قال بعض العلماء ويراد بعلم الانبياء بالغيب ما كان عن طريق الوحي كما لايخفى وقد ذكر ابن قتيبة مبتدعي علم الغيب للمخلوق مع الحكم بكفرهم فقال في رسالته الاختلاف في اللفظ غلت الرافضة في حب علي وفي علم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل التي جمعت الى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة انتهى صحيفة ٤٧ باختصار على موضوع البحث قلت وقد سرت هذه البدعة في الرافضة الى متأخري الصوفية وقد ظهر شيخ جديد من الاكراد اسمه الشيخ نوري البرقكاني أخذ يدعو الناس منذ خمسين سنة بلسانه وبكتب ألفها الى قواعد وأصول تتنافى مع الروايات والأحاديث بدعوى أنها كرامات وسلك بذلك مسلك الغلاة من متفلسفة الصوفية حيث جعلوا دعوى علم الغيب وماهو أفظع منها من قبيل الكرامة وجهلوا أن شرط الكرامة ألا تصادم أساس الدين ولذلك قيد النووي في بستان العارفين الكرامة بألا تؤدي الى رفع أصل من أصول الدين نقله ابن علان في شرح رياض الصالحين جلد ٧ ص ٣٦١ وهو قول أبي اسحاق الشاطبي في الموافقات حيث قال « لايصح أن تراعى وتعتبر «أي الكرامة» إلا بشرط ألا تصدم حكما شرعياً فان مايصدم قاعدة شرعية أو حكما شرعياً ليس بحق في نفسه بل هو إما خيال أو وهم من القاء الشيطان» ذكره في الجزء الثاني ص٢٦٦.

وقد كثرت الكتب التي تقرر هذه الدعاوى وتذيعها في الناس من مؤلفات المحدثين والقدامى من غلاة الرافضة ومتفلسفة الصوفية وعم خطرها وزاد شرها وضررها

وقد تداولتها الايدي أكثر من تداول صحيح البخاري وعمل بها الكثير من الناس في أكثر البلاد على رغم مافيها من الاحداث المبتدعة الهادمة للدين أصولا وفروعا فمحت آثار الايمان من قلوب العاملين بها الا قليلا ممن صانه الله وحماه وأبعده

عنها وذلك لغلبة الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسله .

فالله الله يا أمة الاسلام ويا علماء الدين أن تدعوا هذه الكتب من غير انكار وتحذير منها وبيان لما فيها من الضلال البعيد فضلا عن ان تدافعوا عنها وتروموا بقاءها مندمجة فى كتب الدين الاسلامى الحقيقى فانكم والذى لارب غيره إن تفعلوا ذلك لابد أن تستوجبوا مقت الله وغضبه وأن تلاقوا الصغار والهوان فى هذه الدار وتلك الدار فنحن نطالب كافة العلماء أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من انكار تلك الكتب ونحوها من كل كتاب فيه مصادمة لكتاب الله فى دعوى علم الغيب لغير الله وأنبيائه ونحو ذلك من الأمور المبتدعة التى هدموا بها عماد الدين وقوامه فاذا فعلوا ذلك ونصروا الله ودينه واغتاروا لله ولانبيائه مما وقع فى تلك الكتب من الالحاد العظيم رجوا حينئذ نصر الله لهم قال تعالى «وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم» وقال سبحانه وتعالى إن تنصروا الله ينصركم فاما أنهم يرجون النصر من غير نصر الله والغيرة على دينه بل بمجرد المحافظة على الوحدة والوفاق بما يوجب خذلان الله ومقته وتسليطه الاعداء على المسلمين فذلك غرور وأمانى باطلة لأن الله تعالى قد علق نصره بنصر العباد لدينه وأكد ذلك فى غير ما آية ومعلوم أن ما ربط الله به حصول المسببات عند تعاطى أسبابها لا يمكن تخلفها فضلا عن أن يوجد عكسها وهو أن ينصر سبحانه وتعالى من يخذل دينه فان مفهوم مخالفة آية إن تنصروا الله ينصركم إلا تنصروه لا ينصركم وقد أشار الى هذا المفهوم منطوق آية وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وهذه الآية تدل على أن ما عدا نصر الله لا يكون سببا لنصره هو سبحانه لعباده وعلينا أن نتأمل فى حالة النبى ﷺ فى أول مبعثه وما شجر بينه وبين قومه من الحروب والخلاف لأجل اقامة الدين وازاحة البدع وكيف جعل الله عاقبة ذلك النصر المبين ثم من بعد ذلك لما حدث هجر العمل بما كان عليه النبى ﷺ من الجهاد لاعلاء كلمة الدين كيف أن المسلمين من ذلك الحين

لازالوا فى انحطاط ورجوع الى الوراء وماذلك الا لأنهم وضعوا أسباباًاخترعوها من قبل أنفسهم وهى أن الوفاق وترك الجهاد وعدم إقامة أحكام الدين واستبدالها بالقانون الوضعى كل ذلك يوجب لهم الراحة والاتحاد والوفاق وعدم الاضطراب وهب أن ذلك يحصل لهم الراحة ونحوها مدة من الزمان استدراجا ومكرا فى حياتهم الدنيا فانى لهم المخلص والنجاة من يوم يجعل الولدان شيبا هذا مارأيت إبداءه لاخوانى المسلمين لما رأيته من كثرة تطلبهم للوحدة والوفاق ونفرتهم عما يوجب التفرق والشقاق ولو بانكار أعظم المنكرات التى يترتب على انكارها نصر الله نصرا عزيزا وماذلك إلامن عدم تمسكهم بالكتاب العزيز مشيا منهم مع مبادىء النظر وعدم التفاتهم الى وعد الله عباده المؤمنين فان كنت غالطا فيما أبديته نصيحة لعامة المسلمين فالمرجو من الاخوان ارجاعى إلى الصواب والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه والسلام عليكم أيها المسلمون ورحمة الله وبركاته

العراق محمد على بن حسين

وصف الدنيـــا

وأحذركم الدنيا فانها منزل قلعة ، وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها . غرت بزينتها ، هانت على ربها . فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها . وحلوها بمرها لم يصفها الله تعالى لأوليائه ولم يضن بها على أعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد . وجمعها ينفد . وملكها يسلب . وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فيها فناء الزاد . ومدة تنقطع انقطاع السير؟ اجعلوا ماافترض الله عليكم من طلبكم واسألوه من أداء حقه ماسألكم وأسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم . إن الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم وان ضحكوا . ويشتد حزنهم وان فرحوا

الامام على فى نهج البلاغة

تراجم إسلامية

الشيخ محمد عبده

(١)

الآن تعود (المنار) إلى الميدان . بعد ما اختار الله مؤسسها السيد رشيد رضا إلى جواره . في عنفوان جهاده ، وفورة نتاجه مع ما كان عليه من كبر السن ، وتقدم العمر — أحوج من نكون اليه في عصر اختلفت فيه المقاييس ، وقلبت فيه الأوضاع — تعود قوية نشيطة . تزخر بالحياة وتنبض بالحرارة ، وتتدفق حيوية ، وتفيض إيمانا . على أيدي فتية الشباب من خيرة المسلمين متبعي السلف الصالح . قد وهبوا لله أنفسهم . وأرواحهم خالصة لوجهه . مستبسلين في ميدان الجهاد . غير هيابين ولا وجلين . مولين وجوههم شطر كتابه العزيز يذيعون تعاليمه ودعوته . دعوة القرآن الكريم . دعوة القوة والمجد ، والعز الاسلامي الذي لا يعرف الذل ، ولا يلتقي والخور في قرن . وينشرون قواعده التي عرفها الناس صالحة نافعة وأسسه التي جربها العالم ، وعرف أن فيها سعادته التي لا تعرف الشقاء . وهناءته التي لا يشوبها الألم .

أجل تعود (المنار) الى الميدان جادة لتواصل السعي، وتداوم الجهاد والكفاح الذي من أجله أنشئت ، وفي سبيله عملت ، وتحقق الغرض الذي طالما استشرف اليه المخلصون المؤمنون . حتى كانت مثلا أعلى في الدفاع عن بيضة الدين ، والذود عن حياضه . وفي أسلوب يساير المدنية ولا يتعارض والعلم ، ولا يضعف بجانبه فينزل على تعاليمه ونظرياته الدائمة التحول والتبديل والاضطراب . بل

يجعل من نظرياته وآثار حضارته دليلا على حكمة الله من خلق السموات والارض الذى هو أكبر من خلق الناس . لو تفكروا وتحررت منهم العقول . !

تعود لترفع الراية وتحمل اللواء ، وتتقدم الصفوف حيث التضحية التى لا تعرف جبنا ، والشجاعة التى لا تقل من صلابتها فى الحق شدة ، ولا يضعف من عزمها كارثة مهما تأزمت حلقاتها .

وأعتقد أنه من الوفاء لرجل كان له أكبر نصيب فى تأسيس (المنار) وهو الامام الشيخ محمد عبده . أن نخصه ببضع مقالات نتناول فيها بالتحليل شخصيته مع بعض النواحى التى تعنى قراء (المنار) ونتتبع دعوته بالنظر الدقيق . لننظر كيف أثرت هذه الدعوة فى العالم الاسلامى ، وكيف هزت صلد القلوب فألانتها وغزت جامد الافئدة فحركتها ، وطرقت مقفل الاذان ففتحتها ، وكيف وقف التاريخ يسجل لهذا الرجل فى انصاف واعجاب .

واليك من تاريخ الامام ما يحدثك عن نشأة المنار .

جاء السيد رشيد رضا الى مصر وقد وضع نصب عينيه صحبة الامام . ثم إنشاء صحيفة اصلاحية ينشر فيها حكمته وخبرته ، فوصل الى الاسكندرية مساء الجمعة ٨ رجب ١٣١٥ هـ فاقام فيها أياما ثم انتقل منها الى طنطا فالمنصورة فدمياط ثم عاد الى طنطا ومنها الى القاهرة قبل الظهر من يوم ٢٣ رجب وفى ضحوة اليوم الثانى ذهب الى زيارة الاستاذ الشيخ محمد عبده فى داره بالناصرية ، واستشار السيد أستاذه فى إنشاء الصحيفة التى يريدها ، وشاوره فى تسميتها وذكر له اسم (المنار) مع أسماء أخرى . فاختار الاستاذ الامام اسم « المنار » ثم شرع السيد فى تحريره وكتب فاتحة العدد الاول بالقلم الرصاص فى جامع الاسماعيلى المجاور لدار الاستاذ بالناصرية ، وكان ذلك فى منتصف شوال ١٣١٥ هـ وذهب بها الى داره وعرضها عليه فأعجب بها كل الاعجاب .ورضى كل ماذكر

فيها من المقاصد والأغراض إلا كلمة واحدة هي تعريف الأمة بحق الامام وتعريف الامام بحق الأمة . قال ماممناه « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلا القرآن . وأن الكلام في الامامة مثار فتنة يخشى ضرره . ولا يرجى نفعه الآن » فحذف السيد هذه الكلمة عن رأى أستاذه وإشارته .

فهذا الرجل الذي عرف قيمة جهاده الخاص والعام وسادت آراؤه بعد محاربة . وفشت نظرياته بعد مدافعة وإنكار . وطعن في دينه وإيمانه ويقينه وحورب في غير هوادة وتسمم الجو حوله حتى سرت كراهيته في النفوس بفضل ما كان يذاع عنه . ويلفق ضده . واليك الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق يحدثك عن صورة من هذه الكراهية في مقدمته لكتاب (الاسلام والتجديد في مصر) .

« في بعض سنوات الحرب . شهدت الجامعة المصرية . قبل ضمها إلى وزارة المعارف . حفلة جمعت جمهرة من شباب العلم . وخطب فيها طائفة من كبار الأدباء وكبار الأساتذة .

وكان يجرى على ألسنة الخطباء ذكر أئمة النهضة الحديثة في مصر في فروعها المختلفة من سياسية واجتماعيه وعلمية . فتهتف الجموع . ويبلغ حماس الشباب أقصاه . حتى إذا جرى ذكر الشيخ محمد عبده خفت هنالك صوت الشباب وفترت حدة الهاتفين .

انصرفت يومئذ حسيرا محزونا . أكاد أتهم بقلة الوفاء بلدا ينمى فيه فضل الشيخ محمد عبده بعد سنين . لكن عتبي على شبابنا كان ممزوجا برحمة . لأنهم لم يعرفوا من أمر الرجل شيئا يغريهم بأن يحبوه ويقدروه حق قدره .

ولعل قصارى ما كان يعرف طلاب العلم في ذلك المهد من أمر الامام أنه كان شيخا مكروها هو وآراؤه من الشيوخ . كما يكره الشيوخ المنار وصاحب

المنار تلميذ الامام . »

واكتفي بهذه الصورة الآن لأن بسط هـذا العنصر له مكانه فى الكلمات المقبلة إن شاء الله . وكل ماأريد أن أخلص اليه . اننا فى حاجة قصوى الى دراسة هؤلاء الذين استشهدوا فى ميادين الجهاد . وراحوا ضحية بريئة لشهوات متضاربة وأغراض متناحرة تفتك بالامم . وتقوض الشعوب .

ومحمد عبده علم من أعلام هؤلاء المجاهدين . لجدير بنا أن نعنى باثاره . وأن نعرف قراء (المنار) حقيقة هذا الرجل حتى يغيروا تلك الصور القديمة عنه . ويأخذوا عنه صورة صحيحة واضحة المعالم : بينة التقاطيع . صورة أعاهد الله ألا يكون للشهوة فيها أصبع . ولا لحظ النفس منها نصيب . وستكون صورة هذا الرجل أول صورة من صور كثيرة اعتزمت بمشيئة الله رسمها على صفحات (المنار) فى عهده الجديد . وكل غايتى من هذه التراجم الاسلامية إنما هى القدوة الحسنة وترسم خطى العاملين الذين لم يألوا جهدا فى سبيل الدعوة إلى الله ورفعة دينه واعلاء كلمته . ليجد النشء غذاءه النافع . جعل الله عملنا خالصا لوجهه . انه سميع مجيب ؟

يتبع عبد الحفيظ أبو السعود

من كلام الامام على رضى الله عنه

لو تعلمون ما أعلم مما طوى عنكم غيبه إذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على أعمالكم . وتلتدمون على أنفسكم . ولتركتم أموالكم لاحارس لها . ولا خالف عليها . ولهمت كل امرىء نفسه لايلتفت الى غيرها . ولكنكم نسيتم ماذكرتم وأمنتم ماحذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم .

نهج البلاغة

انتقاد المنـــار

حول فتوى آيات الصفات وأحاديثها

جاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع الخطاب التالي ننشره مع رده فيما يلي

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فان احتجاب المنار بموت صاحبه عليه رحمة الله تعالى كان من دواهي أسف المسلمين جميعا بل حزنهم العميق ، ولم يكن ذلك طبعاً لأنها مجلة اسلامية فقط . بل كان ذلك لما علمه قراء المنار من الميل مع الحق أينما كان وعدم المبالاة بكائن من كان في سبيل كلمة الحق وبيانها وإيضاحها ولا أظنك تجهل مواقف صاحب المنار عليه رحمة الله مع كثير من أخص أصدقائه فانه لم يكن يعرف الا الحق ولو أغضب الحق صديقه أو جميع الناس ولم نعهد فيه رحمة الله عليه مداهنة ولا محاباة ، وبذلك كان للمنار وصاحبه تلك المنزلة التي تعرفونها في نفوس جميع أهـل الملة المحمدية . . فاذا كنتم تريدون السير بالمنار سيرته هذه فلاشك أنها إن شاء الله تعالى ستحيي حياتها الاولى وإلا فاسم المنار وحده لا يغني شيئا .

لقد استفتاكم مستفت فيما شجر من الخلاف بين مجلتي الهدي النبوي والاسلام فماذا افتيتم ؟ إن رأي المنار في موضوع الخلاف بين المجلتين معروف مسطور في أعداد المنار السابقة ، فهل نفهم من فتواكم هذه أن المنار يتنكر لماضيه ، وينمي برنامجه؟ لقد قلتم ياسيدي الاستاذ إن كلتا الجانبين على الحق !!! ولا يعقل فيما نعلم

أن يختلف اثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الاخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق ، لا . . ليس هذا شأن المنار الذى عرفناه وبكيناه لما احتجب . نرجو أن تصارحونا بالحق فى أى الجانبين هو كما عودنا صاحب المنار ان كنتم تنصرون الحق لله وفى سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله . قارىء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه ومن والاه

« وبعد » فعلى حضرة القارىء المحترم السلام ورحمة الله عليكم وبركاته وكنت أود أن يتكرم باظهار اسمه حتى نتعارف فى سبيل البحث من الحقيقة ولعله — وفقنا الله وإياه — رأى فى ستر اسمه معاونة على خدمة الحق للحق بدون نظر إلى الصلات الخاصة بين المتباحثين فنحن نحسن الظن ونشكر للاخ الفاضل خطابه مؤكدين دعوتنا الاولى بجميع اخواننا فى انتقاد ما يرونه مستحقا للانتقاد فى المنار حتى تتعاون الجهود على الوصول للحقيقة ويسرنا أن نعلن أننا ننتهز مثل هذه الفرصة لنسلك بالنقد الأدبى مسلكا نبيلا لاهجر فيه ولا إقذاف ولا تجهيل ولا تضليل ولنكمل به أنفسنا فان الكمال لله وحده والعصمة لانبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ومن ادعى لنفسه الكمال أوظن بها ذلك فهذا عين النقص ونسأل الله ألا يحرمنا من يبصرنا بعيوبنا ويحملنا على الصواب والسداد والى الكاتب والى حضرات القراء الفضلاء رأينا فيما ورد فى هذا الخطاب .

(١) نسب الينا الاستاذ الكاتب أننا صرحنا بأن كلتا المجلتين على حق وبنى على هذا أنه من غير المعقول أن يختلف إثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الاخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق وحضرته لهذا يرجو أن نصارح بالحق فى أى الجهتين هو ؟

ولا أدرى من أين جاء حضرته بهذا التصريح الذى نسبه إلينا إن كان قد جاء به من تصريحنا بأن كلا الفريقين فى نظرنا أصدقاء لنا وممن يتصدون للدعوة إلى الخير فليس معنى هذا تصويب رأى أحد منهما ولا كليهما فى موضوع نزاع بينه والذى صرحنا به فى موضوع الخلاف أن كلا الفريقين غير محق وأن موضوع الخلاف من أساسه لا يصح أن يكون خلافا وليس بلازم أن يكون كل مختلفين أحدهما محق والآخر مبطل بل قد يكونان مخطئين جميعا وهو ماصرحنا به بوضوح فان فريقا تغالى فى التأويل وفريقا تغالى فى الجمود. ورأى السلف فى ذلك وهو رأى المنار الذى يشير إليه حضرة الكاتب وهو رأينا الذى أوضحناه فى مقالنا أن مذهب السلف . ترك الخوض فى هذه المعانى مع اعتقاد تنزيه الله تبارك وتعالى عن أمثالها المنسوبة لخلقه وإمرارها كما جاءت وتفويض علم حقائقها إلى الله فمن فسر الاستواء بالاستيلاء فقد تورط فى التأويل وألزم نفسه غير ماألزمه الله به ومن فسره بالاستقرار فقد تورط فى التشبيه وأوهم سامعه جواز نسبة صفات المخلوقين إلى الخالق فان قال (هو استقرار يليق بجلاله) فهو إذن لم يأت بشيء والأولى أن يقف عند النص، والحق فى هذا وأمثاله أن يقال استوى استواء يليق بجلاله مع اعتقاد عدم المشابهة وتفويض الحقيقة إلى الله إلا أن تقوم قرينة لا تدفع تصرف اللفظ عن ظاهره فنقف عند حدود هذا الصرف ولا نتجاوزه كما ذهب إليه السلف فى معية الحق تبارك وتعالى بعلمه لا بذاته

تلك أمور فصلناها وقررناها ولمنا الفريقين على أنها طرقا بحوثا كهذه بمثل الأسلوب الذى خاضوا به فيها وبذلك حققنا رجاء الكاتب وصارحناه بأن الحق ليس فى احد الجانبين فأين القصور إذن؟

(٢) هذا من حيث موضوع النزاع ورأى المنار فيه بالذات وأظن أن فيما نقلناه فى باب التفسير فى هذه المعانى كفاية ومن أراد الاستزادة زدناه حتى يعلم

أن المنار لا يتنكر لماضيه في الحق ولا ينسى برنامجه من الصدع به ولا يناقض نفسه في الصواب وبقي بعد هذا أن نذكر حضرة الكاتب ببعض مافاته معرفته من برنامج المنار الذي سارت عليه في ماضيها ونريد أن نسير بها عليه في حاضرها

صرح صاحب المنار بقاعدة وأسماها قاعدة المنار الذهبية فقال (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) فمواطن الخلاف ياسيدي يقدم فيها العذر على التجريح وسوء الظن وذلك ماسنسير عليه إن شاء الله وقد قضى صاحب المنار حياته وهو يصدع بالتحرر من الجمود وينعى على أهل التقليد الاعمى الذين يقدمون أقوال الناس التي لم يقم عليها دليل على الأدلة الواضحة بغير برهان بين أيديهم إلا أن هذا قول فلان وفلان فهل يريدنا حضرة الكاتب على هذا التقليد الذي نعاه صاحب المنار على أهله؟ أم يريدنا متبعين للدليل والحق ندور معه كيفما دار وإن خالفنا صاحب المنار؟ وأظن أن حضرة الكاتب يذكر أن الشافعي كان من خلصاء تلاميذ مالك رضي الله عنهما وكلاهما في جلالة قدره ورسوخه في علمه وتقواه لله بالمنزلة التي لاتتسامى اليها القوادح ومع هذا فلم يمنع هذا الشافعي أن يخالف مالكا وأن يكون له رأيه ومذهبه

فنحن مع المنار وصاحبه عليه رحمة الله ورضوانه في الاصول الاساسية التي لاخلاف فيها في منهاج الاصلاح العام وخطته وفيما وضح الحق فيه واستبان وجه عليه الدليل في الشئون التي فيها مجال للتفكير والنظر ولا يمنعنا هذا من أن نخالف صاحب المنار رحمه الله في الأمور التي لم يقم عليها الدليل المقنع في نظرنا على أن ندلى برأينا وحجتنا وندع لكل من أراد التنبيه أن ينبهنا لما فاتنا والله الموفق للصواب ؟

حسن البنا

موقف العالم الاسلامى السياسى

انتهت حرب الكلام بين الدول الأوربية المتناحرة. وتغيرت الاوضاع الدولية فى اوروبا فاخفق اتفاق انجلترا وفرنسا مع روسيا وحل محله ميثاق روسى الماني وكانت مفاجأة غير منتظرة وأمر أدهش له العالم. أن يتفق الهر هتلر — وهو الذى بنى دعوته الاولى على مكافحة الشيوعية الروسية وانطوى لها على أشد حالات الخصومة والبغض مع زعماء هذه الشيوعية التى ندد بها ونال منها ولكن القوم فى أوروبا لايعرفون إلا المصلحة المادية وسرعان ماينسون المبادىء والعقائد والافكار مهما كانت سامية نبيلة — وتبع ذلك أن تشددت عزيمة ألمانيا وأقدمت على غزو بولونيا واجتياحها بالقوة المسلحة وردت انجلترا وفرنسا على ذلك باعلان الحرب على ألمانيا وسوق الجيوش إلى الميدان الغربى حيث رابطت أمام خط سيجفريد الالمانى — وكانت مفاجأة أخرى أن تقدمت روسيا بجيوشها تجتاح القسم المجاور لها من الأرض البولونية وبذلك تم للجيوش الالمانية والروسية أن تقضى على استقلال بولونيا وتتوزع فيما بينها أرضها وتضطر حكومتها إلى الفرار حيث تألفت فى باريس من جديد ومهما كان من خلاف بين الروس والالمان على خط الحدود فان الامر الواقع الآن أن بولونيا قد قسمت مرة أخرى بين روسيا والمانيا والذى يجب أن نلفت اليه أنظار الشعوب الاسلامية أن

بولونيا تضم ستين الفا من المسلمين غالبيتهم فى أنحاء فيلنو ونوجرديك وقد أقاموا فى بولونيا منذ القرن الخامس عشر الميلادي وكانت الجمهورية البولندية تسمح لهم باقامة شعائر دينهم بتمام الحرية فأخلصوا لها كل الاخلاص وحاربوا فى صفوفها واشترك عدد كبير من ضباطهم وهم معروفون بالشجاعة والاقدام ـ شأن المسلم المجاهد ـ فى الحرب الاخيرة ودافعوا كثيرا عن المدينة المعدودة مركز الاسلام في بولندا وفيها يقيم المفتى الحاج الدكتور يعقوب سلمان شينكيفتش . والآن وقد صار هذا القسم تحت حكم البلشفية الروسية فهل تدع حكومة السوفيات المسلمين فيه يتمتعون بشعائر دينهم وحريتهم كما كانوا فى عهد الحكومة البولونيه؟ أم أنهم سيعملون على بلشفتهم ويحاربونهم فى عقائدهم ويهدمون ما بقى لهم من مساجد ومعابد كما فعلوا بهم ذلك من قبل حين اقتسمت روسيا والمانيا بولنـــــدا فى أواخر القرن الثامن عشر ؟ من واجب الحكومات الاسلامية وبخاصة الحكومة التركية التى هى على صلة بالروس والتى هى أقرب حكومات المسلمين الى بولندا أن تتحرى ذلك وأن تعمل على حماية هذه الجالية الاسلامية الشديدة المتمسكة بدينها القديم ولا ندرى هل تصغى حكومة تركيا إلى هذا النداء أم تعتبره شأنا إسلاميا خاصا يتنافى مع ما اختارته لنفسها من أن تكون حكومة «لادينية » ؟..

كان اجتياح بولندا سببا فى تخوف دول البلقان وفي تردد تركيا

بين المعسكرين المتخاصمين محور موسكو برلين تارة ومحور فرنسا وانجلترا تارة أخرى ووقفت ايطاليا موقف المترقب المنتظر ولم تحدد موقفها تحديدا صريحا بعد وأخذت اليابان ترقب هي الاخرى مجرى الحوادث وأعلنت أمريكا سخطها على عمل المانيا ولم تعترف بالحالة الواقعة في بولندا الان واعتبرت الحكومة البولونية القائمة في فرنسا حكومة شرعية واعترفت بها وارتفعت صيحات بوجوب الصلح ووضع الحسام والاتفاق على مايريح العالم من عناء الحرب ولا ندرى ماذا ستلقاه هذه الدعوة من الاصغاء وماسيكون لها من النجاح وان كان أغلب الظن أن هذه النفوس الظمآى الداوية بالاطماع والاهواء سوف لايرويها الا الدم المتفجر من البشرية الذبيحة

ذلك هو الموقف الدولي عامة فما موقف العالم الاسلامي خاصة؟!.

لقد قدمنا أن العالم الاسلامي قضت عليه ظروف وأوضاع أن يرتبط بالدول التي تسمى نفسها ديمقراطية وهي انجلترا وفرنسا ارتباطا وثيقا وأن تشتبك مصالحه بمصالحها اشتباكا قويا وقد برهنت الحكومات والشعوب الاسلامية من جانبها أنها وفية لهذه المصالح مقدرة الموقف تمام التقدير منزهة عن العبث والكيد الرخيص والاستغلال الذى لايتفق مع الشرف الدلى والنزاهة النبيلة وأخذت الحكومات المتعاهدة مع انجلترا كمصر والعراق تنفذ تعهداتها بكل إخلاص

ومع هذا كله فالى الان لم تقدم الدول الديمقراطيه دليلا واحدا على

تقديرها لهذا الموقف النبيل من الشعوب الاسلامية وا كتفت بأن تتناولها ببعض كلمات المديح والاطراء فى الخطب والمقالات التى لاتقدم ولا تؤخر. فسوريا الجنوبية (فسلطين) لاتزال قضيتها حيث هى لم يؤثر فيها تصريح المفتى الا كبر بالثناء على فرنسا ولا كتابه للحاكم البريطاني ولا تصريح المجاهدين أنفسهم بأنهم لن يطعنوا انجلترا من الخلف ولن يستغلوا اشتغالها بالحرب الاوربية فى الاتفاق مع خصومها أو التقرب اليهم . وكان أقل مقتضيات رد الجميل فى مثل هذا الموقف أن تأمر الحكومة الانجليزية حالا بالافراج عن المعتقلين والتصريح بالعوده للمبعدين والعفو الشامل عن المسجونين واعادة النظر فى سياستها بالنسبة للحقوق العربية الواضحة

وسورياالشمالية لايزال الامر فيها على ماكان عليه ولم تظفر إلى الان من فرنسا حتى بوعد منها أنها ستعود إلى الانصاف والعدل بل حوكم كثير من رجالاتها وحكم عليهم بأحكام قاسية شديدة تقبلوها راضين هادئين .

وسوريا الوسطى (لبنان) تغير فيها نظام الحكم تغيرا تاما ولو ألى حين كما يقول المندوب الفرنسي وأوقف دستورها وحكمت حكما أجنبيا مباشرا أوما يقرب منه .

وكان من واجب الدول الديمقراطية أن تنتهز هذه الفرصة فتعدل سياستها مع هذا القطر الشقيق وبخاصة فرنسا التى شهدت أن أول دم

أهدر على ارضها والدفاع عن حدودها أمام خط ماجينو إنما كان دم المسلمين العرب من المغاربة الجزائريين والسينغاليين

إن شعوب العالم الاسلامي قسمان قسم تحت سلطان الحكم الاجنبي المباشر وهذا لا يملك أمر نفسه ولا يستطيع أن يختط لنفسه طريقا خاصة فهو تحت رحمة الاقدار ونسأل الله أن يتداركه بلطفه ورحمته

وقسم قد تحرر ولو بعض الحرية فمن واجبه فى هذه الظروف العصيبة حكومات وشعوبا أن يكون دائم اليقظة والتنبه للحوادث والمفاجآت فلا يتورط فى خطوات وخصومات هو فى غنى عنها ولا تعود عليه بشيء وليلتزم الحدود التى رسمتها له الاتفاقات والمعاهدات — وعليه أن ينتهز هذه الفرصة للاسراع فى أعداد العدة وتقوية نفسه تقوية تنفعه فى المستقبل وتحفظ عليه كيانه واستقلاله بعد أن تضع الحرب أوزارها وعليه كذلك أن يكون مطمئنا هادئا فاننا إن لم نستفد من هذه الحرب القائمة فلن نخسر فيها أكثر مما يخسر غيرنا والصلح خير لنا والحرب ليست بضارة بنا وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

«حسن البنا»

تعليق

تحدث إلينا الأخ الفضال السيد عبد الرحمن عاصم وكيل المنار السابق ببعض ملاحظات حول العدد الماضى وقد ضاق عنها فكان هذا العدد وسنتحدث عنها فى العدد القادم إن شاء الله

السيد محمد رشيد رضا

بقلم وكيله وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم

ولد السيد محمد رشيد رضا فى ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وتوفى فى ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤

وتربى تربية عالية لم تتحكم فى نفسه عادة من العادات السيئة المضرة كالتدخين وادمان شرب القهوة والشاى وأخذ إخذ الامام الغزالى بكتابه الاحياء من أول بدئه بطلب العلم .

وراض نفسه عليه واتخذ له خلوة بالغرفة المشرفة على البحر من جامع جده فى قرية القلمون لدرس العلوم والتعبد بالصلاة بتدبر القرآن الحكيم .

وتصدى من ذلك الحين للوعظ والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة فالسيد رشيد طلب العلم بالاخلاص وتوجيه الارادة ليكمل به نفسه ويؤهلها للاصلاح الدينى الاجتماعى فكان من أشجع دعاة الاصلاح وأشدهم جرأة فى مواطن الحق على الحكام والعلماء غير هياب ولا وجل . ولولا أنه كان راسخا فى إيمانه واثقا بصحة علمه ومخلصا فى وعظه وإرشاده لما تجرأ على نقد حكام الدولة العلية فى العصر الحميدى والاتحادى . وقد أصابه أذى كثير منهم فى والده وأسرته من بعد ما عرضوا عليه أوفى وأحسن ما تصبو اليه نفوس طلاب الدنيا من رتب ومناصب وغيرها ليسكت عنهم ويسخر قلمه فى خدمتهم .

هذا ولم يتهيب بريطانيا العظمى وطعن فى تعسفها فى حكم قومه وأهل ملته

وألبهم على مخالفتها بوسائل مختلفة وحذرهم من مصادقتها لانها خداعة مكارة وهو مقيم فى مصر تحت سلطانها

ومن الأدلة على ذلك خطبته المشهورة أمام المرحوم أبى الثورة العربيـة الملك حسين فى جموع «منى» سأذكر خبرها وخطبته فى داروجيه من وجهاء «بيروت» فى القاهرة فى حفلة جمعت رجال السياسة العربية من أقطارها تحت ستار الترحيب بضباط عراقيين وسوريين قدموا إلى مصر — ليتقابل المجتمعون ويروجوا اتفاق سايكس بيكو على تقسيم بلاد العرب فيما بينهم . ولـكن السـيد رشيد عارض ذلك معارضـة عنيفة حملت مستر كلايتن باشا فيما بعد . وكان كالحاكم بأمره بمصر على معاتبة السيد رشيد على قوله فى الانجليز ومما أجابه به السـيد : هل من العدل أن تمنع أمة ضعيفة من الدفاع عن نفسها إذا اعتدت عليها أمـة قوية ؟ كفوا عن الهجوم علينا لنكف عن الدفاع عن أنفسنا .

وكم حاول سمو الخديو السابق أن يفرق بين السيد رشيد والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بالترغيب والترهيب لهـذا مرة ولذاك مرة ولم تنجح محاولاته عندهما وكان جواب الأستاذ الامام لبطرس باشا غالى الموفد من الخديو أحب أن تعلم ويعلم الخديو انى أفضل أن أعيش أنا والسيد رشيد ههنا فى رمل عين شمس على البقاء فى منصب الافتاء وعضوية مجلس ادارة الأزهر لأن هذا الرجل متحد معى فى العقيدة والفكر والرأى والخلق والعمل . . وأجاب الاسـتاذ الأمام أيضا فضيلة المرحوم الشـيخ محمد شاكر وكيل الازهر على رسـالته من الخديو (كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار وهو ترجمان أفكارى)

ومن كلام السيد رشيد للشيخ على يوسف صاحب المؤيد جوابا عن رسالته الخديوية . . ولـكن لى غرضا من تعظيم قدر (الشيخ محمد عبده) وتفضيله هو

فوق فائدة انتشار المنار بكثير . وهو أن الاصلاح الاسلامى الذى أدعو اليـه لا ينهض الا بزعيم تثق به الأمـة ولا أعرف أحدا أجدر منه أو يسـاويه فى استحقاق هذه الزعامة ولما لم تلن قنـاة السيد لسمو الخديو أراد إخراجه من مصر وبلغ ذلك رياض باشا الشهير وخاطب السيد فى هذا الشأن بقوله هل تغير شيئا من خطة المنار ؟ قال السيد حاشا لله . ما كنت لأغير عملى التابع لعقيدتى وخلقى وكل فضيلة لمصر عندى أنى أستطيع فيها خدمة ملتى وأمتى بما أعتقد أنه الحق النافع فاذا زالت هذه الحرية منها فلا يحزننى الخروج منها وأنا لا أملك فيها شيئا قال الباشا للسيد : « كده أريدك »

هذا وقد ألف السيد كتابا فى نقد بعض أكابر علماء الأزهر سماه المنـار والأزهر . والمال والرتب والوظائف ، عند الشيخ أبى الهـدى والاتحاديين فى الدولة العثمانية وعنـد الأزهر والخديوى والانجليز بمصر وقد حاولوا صرف السيد عن خطته الاصلاحية بشتى طرق الاغراء بالمال والمناصب وبترهيبه أيضا بفنون الترهيب وصبر على أذاهم ولم يفتتن بالمال ولم يغتر بالرتب ولم يرهبه الوعيد لأنه كان مخلصا فى توجهه لخدمة أمته وملته

ومما عرف من صلابته وإخلاصـه لقومه أن الانجليز لما عرضوا عليه أن يكتب مقالات أسبوعية فى صحيفة « الـكوكب » التى أنشئت بالقاهرة لخـداع العرب اعتذر فى كتاب الى نائب الملك ونجت باشا جاء فيه :

لو بذلتم لى المال أو استللتم لسانى أو قطعتم أناملى على أن أقول أو أكتب ما يخالف دينى وكرامة قومى العرب فانى لا أفعل . وجاءه رد بالاعفاء من ذلك التكليف واعتذر بأنه كان بخطأه كتشكيف رئيس تحرير التيمس الكتابة بجريدة هزلية

ولما عزم السيد على أداء فريضة الحج فى أثناء الثورة العربية دعى إلى قصر عابدين وقدم اليـه رئيس الديوان شكرى باشا صرة نقود قائلا . بلغ مولاى السلطان عزمكم على السفر الى الحجاز وأمرنى أن أقدم هذه النقود اليكم.أجاب

السيد . الحج على المستطيع وقد تهيأت لادائه بصحبة سيدتى الوالدة والشقيقة قال الباشا : خذها عن دعاء . أجاب السيد الدعاء لايقوم بثمن وسأدعو لمولاى السلطان ولخاصة المسلمين وعامتهم بما يلهمنى الله عز وجل . قال الباشا : خذها وتصدق بها فان الصدقة فى الحجاز بعشرة أضعافها أجاب السيد . ذلك صحيح ولكنى أختار فيمن أعلى القليل الذى أتصدق به وقصور الملوك والسلاطين مفتحة الابواب للقصاد والوراد . قال الباشا . بما أعتذر إلى مولاى السلطان وعطايا الملوك لاترد . أجاب السيد أرجو أن تذكروا لمولاى السلطان ما عرفه به الاستاذ الامام من أنى لاأقبل عطاء بدون مقابل .

ولما كان السيد على عرفات تحققت عنده صحة الاشاعة بأن الحجاج سيدعون فى « منى » لمبايعة (الشريف) بالخلافة فذهب الى مخيم الشريف وذكر له ما بلغه وذكره بوعيد الحديث « اذا بويع خليفتان » فقال (الشريف) رحمه الله إن تلك المساعى من رغبات أحد أنجاله والاتباع . ولما اجتمع الحجيج فى « منى » وتهيأ العلماء والخطباء والشعراء لتهنئة (الشريف) بالعيد ، جاء الشريف عبدالله والشيخ عبد الملك الخطيب باشا إلى السيد وطلبا منه أن يقول كلمته .

وكان (الشريف) يقف فى المناسبات فى أثناء الخطبة ويقول للسيد . صدقت . وبعد ذلك حضر الى السيد من يقول له إن الخطبة ينقصها أن تكون مقدمة لدعوة الناس لمبايعة سيد الجميع بالخلافة . ولكن السيد حول الحديث من سياسى الى أدبى وأجاب . أخشى أن يقال لى عندئذ ما قيل لذلك الشاعر الذى وهب الكرى الى العشاق . وهبت ما لا تملك إلى من لا يقبل

وسأقص على القارىء الكريم نبذا أخرى من رسائل السيد الى بعض ملوك العرب ليقف منها على مقدار صراحته فى الحق وإخلاصه فى النصح غير مداج ولا مراء فمن ذلك قوله فى كتاب الى جلالة الملك عبد العزيز (ولا أزال كذلك

أجاهد معكم مادمتم تجاهدون فى سبيل الله وإعزاز دينه) وفى آخر « وموضع العبرة أن الله تعالى قد استخلفكم فى الأرض التى فضلها على كل أرض لينظر كيف تعملون » ؟

ومن كتاب آخر (وقد عاهدناكم على أن نؤيدكم ونخدمكم فى إقامة السنة وهدم البدع وإحياء الاسلام على منهاج السلف فى أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية فى أمور الحرب والعمران

ومن أحسن ما كتب السيد الامام إلى امامى الجزيرة العربية صراحة وإخلاصا فى النصيحة لما وقع الشقاق بين الحكومتين اليمنية والسعودية . قال رحمه الله ورضى عنه (مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية من حق سياسى أو جغرافى فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين فكل منهما واسع الأطراف قابل لأضعاف ما هو عليه من العمران . فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب لأجل توسيع حدوده بحق أو باطل »

ثم قال يخاطب كلا من الامامين . إن جزيرة العرب هى تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين للاسلام والمسلمين لا لعبد العزيز السعودى ولا ليحيى حميد الدين . فاختلافكما وتعاديكما يضيع الاسلام ولئن ضاع فى جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة فى غيرها فيجب أن تتذكرا هذه التبعة وتتقيا الله وتحرصا على حسن الخاتمة)

وقد كان للاخلاص بهذه النصيحة وللوفد الذى أرسله السيد رشيد إلى الامامين أثر طيب لديهما وكان مولاى السيد يطلعنى على رسائله تربية لى وتعليما ولعلى أجد فيها حرفا ناقصاً أو زائدا لأصلحه وإذا وجدت فيها ما يستحق المراجعة فانه رحمه الله كان يسمعها ويعضيها إذا أقرها . وإن أنس لا أنسى أنى

وجدت شدة فى خطاب منه إلى جلالة الملك عبدالعزيز وراجعته فيها فغضب وقال لى . يا عاصم . أتريد أن تعلمنى المداجاة والجبن ؟ ! اقفل المكتوب وأرسله الى البريد . واعلم أن مزيتى عند الملك إخلاصى وصراحتى فى النصيحة ومزيته عندى انه يقبل النصيحة

والسيد الامام ما كان ليترك فرصة تفوته بدون تذكير طيب نافع ومن ذلك ما جاء فى كتاب منه الى المرحوم الملك غازى (. . . معتصمين بحبل الهداية الاسلامية التى اشتدت اليها فى هذا العصر حاجة شعوب المدنية كلها . إذهددت الافكار المادية دولها بالانحلال والاباحة الالحادية حضارتها بالزوال ولم يبق لها منقذ إلا الهداية الروحية الجامعة بين المصالح الدينية والمدنية . . وقال فان تحرص على هداية دينك القويم ولغة قومك وحضارة أمتك وشرف بيتك وتضم إليها الفنون العصرية المرقية للزراعة والصناعة والتجارة والنظم المالية والقوى العسكرية تكن ان شاء الله من الملوك المجددين الجامعين بين سيادة الدنيا وسعادة الدين)

كان رحمه الله مضيافا مواسيا بماله القليل أهل الحاج من الأسر المستورة مساعدا العاملين فى سبيل أمته وقومه فكم ساهم فى نفقات الوفود والجمعيات والمؤتمرات العربية السياسية . ولو لا الأزمة المالية التى أصابته مؤخرا لكان رزقه كفافا كافيا لنفقاته . ولكن توفى رحمه الله وعليه أكثر من الفى جنيه مصرى خلافا لما كان يحسب كثير من الناس .

نعم خلف مؤلفاته ومطبوعاته وهى أكثر من دينه ، بل هى ثروة علمية اصلاحية عظيمة تركها السيد الامام ذكرا وشرفا له ولقومه وأمته .

كان السيد مشغول البال دائما بأمته يفرح بما ينفعها ويحزن لما يضرها وكانت السيدة والدته تسأله اذا رأته مكتئبا . هل أحد من مسلمى الصين يشتكى

من شيء؟ . تريد أنه يكتئب اذا أصاب مكروه أحدا من اخوته فى الدين مهما بعدت داره ولو فى الصين

كان هم السيد المستولى على شعوره إصلاح شأن العرب والمسلمين بالتأليف والتعليم . وقد كتب فى التفسير والفتاوى وسائر ضروب الاصلاح ما لم يسبق اليه فى المقدار والفائدة وكان رحمه الله يقول لى . أخشى أن يحاسبنى الله عز وجل على عمرى فيما أنفقته وأكون مقصرا فيما وجب على بيانه من أسرار الشريعة وحكمها وكان يأمرنى أن أغنيه بقدر الامكان عن مقابلة الزائرين ليبقى منصرفا الى التأليف . وقد فرح فرحا عظيما حين أتم أنفس كتبه تأليفا وطبعا أعنى به كتاب «الوحى المحمدى»

وأنشأ منذ ثلاثين سنة مدرسة دار الدعوة والارشاد عملا برأى الأستاذ الامام فى تعليم طائفة من مختلفى الأقطار العلوم الدينية مصفاة من الآراء والاهواء وكذلك العلوم الأخرى القديمة والحديثة بقدر مايكفى لتثقيفهم وإعدادهم للدعوة والارشاد (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقد نجح فى ذلك جماعة من الطلاب وفى مقدمتهم السيد أمين الحسينى الذى انتهت اليه الزعامة الدينية والسياسية فى فلسطين والشيخ يوسف ياسين أمين سر جلالة ملك المملكة العربية السعودية . والشيخ عبد الرازق المليح آبادى صاحب المؤلفات والصحافى المشهور فى الهند وقد سجن مع مولانا أبى الكلام الزعيم الهندى الكبير لمشاركته إياه فى جهاده . والشيخ محمد بسيونى عمران فى جاوة ومواقفه مشهورة بالتعليم والارشاد . والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والاستاذ عبد السميع البطل وهما من خيرة العلماء المصريين فى الاخلاق والوعظ والتعليم تلك نبذ من كلام السيد فى رسائله الخاصة والعامة وطائفة من أخباره تدل على نفس زكية همها الاصلاح باخلاص ولذا كان عزيزا كريما لم تدنسه الاطماع ولم تمله الاهواء . ولا يخاف إلا من الله عز وجل

كان السيد رشيد مدرسة فى كل وقت من أوقاته فى الدار وخارج الدار وقد أقمت معه فى داره ستا وعشرين سنة تلميذا وأمينا لسره وقلما يخلو مجلس من

مجالسه من الجد . أتم الثانية والسبعين من عمره المبارك وهمته همة الشباب وقلما يضيع وقتا من أوقاته بدون عمل أو تفكير مهيء للعمل الطيب .

كان السيد رشيد رضا يستيقظ مبكرا قبل الفجر ويتوضأ ويتنفل بالصلاة و يتلو القرآن ثم يؤذن أذان الفجر من شرفة الدار ، ويوقف أهله للصلاة وكان يغلبه البكاء حينما يجهر بالقرآن . ثم إن كان عنده ماتدعو الضرورة لانجازه من كتابته انصرف اليه أو يخرج للرياضة مشيا على الاقدام يسير بقوة ونشاط ويعود الى الدار بعد طلوع الشمس فان كان صائما أخذ بعمله الكتابي ويتقيل غالبا وينام مبكرا . وهو على كثرة تفكيره وكثرة سمنه فان نومه كان خفيفا وقلما يصيبه الارق .

بلغ مران السيد على التأليف والتصحيح أن يكتب فى أثناء محادثته مع الناس ولا تقطع المحادثة عنده سلسلة فكره . وقد زاره مرة هندى من المتعلمين فى جامعة كمبردج وقدم اليه عشرة أسئلة مكتوبة وسأله عن موعد العودة إلى دار المنار لأخذ الجواب عنها . فقال له السيد أذكر أسئلتك سؤالا ، سؤالا وكان العالم الهندى يذكر السؤال والسيد يجيبه حتى أتى على آخرها . والسيد لم يترك عمله تركا

كان السيد لا يراجع مايكتب فى التفسير الا من بعد أن يكتب فهمه فى الآية حذرا من تأثير أقوال المفسرين فى نفسه .

وكان يكتب أصول المنار فى أثناء أسفاره إلى الشام والاستانة والهند والجزيرة العربية وأوروبة من تفسير وغيره ويرسلها الى المطبعة فى مصر . وليس لديه مرجع من الكتب غالبا الا «المفردات» فى غريب القرآن للراغب . واذا أتاه الله فهما فى القرآن لم يسبق اليه أو لم يطلع عليه الا بعد كتابته من عنده فانه يتحدث به إلى اخوانه حامدا شاكرا . وقد يقصه على أهل بيته مغتبطا مسرورا .

كان السيد يدرك من أسرار السياسة . وغوامضها مايقصر عنه كثيرون من

المشتغلين بها . وآراؤه المنشورة فى عهد السلطان عبد الحميد والاتحاديين وفى أيام غيرهم مؤيدة لذلك . وقد تحمل الاذى فى سبيل نصحه إياهم وطعن فيه رجال من اخوانه . ثم تبين لهم بعد سنين ان رأيه هو الصواب وكتبوا منتقدين الذين كانوا يدافعون عنهم . فالسيد لغلبة الصدق والاخلاص والصراحة عليه كان يصلح أن يستشار فى السياسة

إن انصراف السيد كل الانصراف الى التفكير والعمل فيما ينفع الناس صرفه عن استيفاء أساليب المجاملة فى التحية والتسليم عند المتحببين المتشوقين فالذين لا يقدرون حياة الاختصاصيين الدائبين على التفكير فيما انصرفوا اليه كانوا يرمون السيد بما هو براء منه . ولو أن السيد جرى على سننهم واتبع أهواءهم لما وفق أن يخرج للناس تلك المؤلفات الممتازة بما انفرد به من التحقيق والتحرير وقد غبطه عليها أناس وحسده آخرون وجمعوا جموعهم مرات لنقدها وكان السيد يقول حينما يبلغه اجتماع العلماء لنقد المنار أرجوا أن يكون هذا تسخيرا من الله عز وجل ليبر به المنار مما عسى أن يكون فيه من خطاء

فان اصاب النقاد نشرت لهم نقدهم وشكرت لهم صنيعهم

وللسيد قاعدة دعا اليها وجرى عليها وهى : أن نتعاون على ما نتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه ، وكان يسميها قاعدة المنار الذهبية

هذا ما وفقت لتسطيره ونشره من سيرة السيد الامام بمناسبة مرور أربعة أعوام على وفاته رحمه الله ورضى عنه — لعلها تشحذ أذهان الخاملين وتنبه أفكار الغافلين وتهدى الى الاخلاص أولئك العاملين وما التوفيق إلا بالله رب العالمين

القلمون   عبد الرحمن عاصم

(الجـــزء السابع)　　(المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

ربيع الاول سنة ١٣٥٩　　ابريل سنة ١٩٤٠

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

« وهو الذي مَدَّ الأرْض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كلّ الثمرات
جعل فيها زَوْجين اثنين يُغشي الليلَ النهار إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون (٣)
وفي الأرضِ قِطعٌ متجاوِرات وجنّاتٌ من أعنابٍ وزرعٌ ونخيل
صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ يسقى بماءٍ واحد ونفضّلُ بعضها على بعض في الأكل
إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون (٤) »　　سورة الرعد

افتتحت السورة الكريمة بتقديم القرآن للناس على أنه الكتاب الحق المنزل من عند الله تبارك وتعالى وإن صرفت الصوارف كثيراً

منهم عن الايمان به والاهتداء بهديه ثم عرضت لما فى هذا القرآن الكريم من أمهات العقائد الكفيلة بالنجاة والفوز فى الآخرة . ولا شك أن أول هـذه العقائد (معرفة الله تبارك وتعالى) ولما كانت الوسيلة الى معرفة الله تبارك وتعالى والايمان العميق بعظمته وقدرته وجليل صفاته النظر فى ملكوته والتأمل فى عجائب صنعه وبدائع مخلوقاته عرضت السورة الكريمة لهذه المظاهر الكونية مشيرة بها الى عظمة الخالق المدبر تبارك وتعالى وبدأت بخلق السموات ومافيها من عجائب تسخير الشمس والقمر وجريانهما الى أجل مسمى فذلك قوله تبارك وتعالى « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون »

ثم لفتت السورة أنظار العباد بعد ذلك الى خلق الارض وما فيها من عجائب الصنع ودقائق الابداع فذلك قوله تبارك وتعالى « وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ..» الايتان

قرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر عن عاصم « يغشى» بفتح الغين وتشديد الشين وقرأ الباقون يغشى بالتخفيف وقرأ الجمهور « وجنات » برفعها على تقدير وفى الارض جنات فهو معطوف على قطع متجاورات أو على تقدير وفيها جنات وقرأ الحسن بالنصب وجنات على تقدير وجعل فيها جنات ـ وقرأ ابن كثير وأبو عمر وحفص « وزرع

ونخيل صنوان وغير صنوان » برفع الاربع عطفاً على جنات . وقرأ الباقون بالجر عطفا على أعناب ـ وقرأ مجاهد والسلمى بضم الصاد من صنوان وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان قال أبو عبيدة صنوان جمع صنو وهو أن يكون الاصل واحداً يتفرع فيصير نخيلا ثم يحمل وهو قول جميع أهل اللغة والتفسير . وقال ابن الاعرابى الصنو المثل ومنه قوله ﷺ عم الرجل صنو أبيه . والمعنى على ذلك أن أشجار النخيل قد تكون متماثلة وقد تكون غير متماثلة وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الفتح وابن مردويه عن البراء بن عازب فى قوله ـ صنوان وغير صنوان ـ قال الصنوان ما كان أصله واحدا وهو متفرق وغير صنوان التى تنبت وحدها . وقرأ عاصم وابن عامر قوله تعالى (يسقى بماء واحد) بالتحتية أو يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الباقون بالفوقية بارجاع الضمير الى جنات واختاره أبو حاتم وأبو عبيد وأبو عمرو . وقرأ حمزة والكسائى قوله تعالى (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) بالتحتية كما فى قوله تعالى يدبر الامر يفصل الايات . وقرأ الباقون بالنون على تقدير ونحن نفصل وفى الايتين بعد ذلك مباحث عدة نجملها فيما يلى

(وهو الذى مد الارض) . ورد التعبير عن خلق الارض فى القرآن الكريم بألفاظ كثيرة منها المد المذكور هنا ومنها الفرش فى قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا

والسماء بناء) الايتان من سورة البقرة وقوله تعالى « والارض فرشناها فنعم الماهدون» ومنها البسط فى قوله تعالى فى سورة نوح « والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا » الآية . ومنها الدحو أو الدحى فى قوله تعالى فى سورة النازعات (والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها) والمراد من ذلك كله خلقها وسواها وجعلها ممهدة لمعايش الخلق ومصالحهم كما قال تبارك وتعالى فى سورة الحجر (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) وفى هذا التنويع فى التعبير اشارة إلى تصرف القرآن فى أساليب البلاغة اللفظية وبلوغه من ذلك المبلغ الذى لا يسامي وفيه كذلك فائدة معنوية وهى الاشارة بهذه التعبيرات المختلفة إلى فوائد الارض ومنافعها للناس . ففى المد إشارة إلى السعة والامتداد لمن شاء الغدو والرواح والتقلب فى مناكبها والاضطراب فى مذا هبها ، وفى البسط اشارة إلى السعة والتذايل لمن شاء اجتناء منافعها وتحصيل خيراتها . وفى الفرش اشارة إلى الراحة والايواء والاستقرار على ظهرها لمن شاء أن يتذكر نعمة الله فى ذلك فيقوم بشكرها وفى الدحو اشارة إلى عجائب صنع الله تبارك وتعالى فى خلقها وتسويتها وهكذا

ولا تنافى بين ماجاء فى القرآن الكريم من التعبير بهذه الالفاظ وما يقوله علماء الفلك من كروية الأرض فان كل جزء من أجزاء سطح الارض يبدو فى رأي العين ممتداً مبسوطاً وحقيقة وضعه

تكاد تكون كذلك إذ لا يتوفر فيها معنى التكوير والتقوس لسعة المحيط والقرآن لا يريد تنبيه الناس إلى المعنى العلمي البحت في شأن الارض ولكنه يريد تنبيههم إلى الاعتبار والتفكر فيما يقع تحت حواسهم منها وهذا الذي يقع تحت حواسهم منها هو ما يستخدمونه فعلا ويعيشون عليه فعلا وهذا الجزء لا مظهر فيه ولا حقيقة ولا حسا لمعنى التقوس الذي لا يكاد يدرك . فلهذا أثر التعبير بالمد والبسط والفرش ونحوها

قال الشوكاني . وهو الذي مد الارض . قال الفراء بسطها طولا وعرضا . وقال الأصم ان المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه . وهذا المد الظاهر لا ينافي كريتها في نفسها لتباعد أطرافها وفي الجزء الأول من تفسير المنار عند قوله تبارك وتعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » من سورة البقرة استطرادا الى معنى الدحو « الدحو » في أصل اللغة دحرجة الاشياء القابلة للدحرجة كالجوز واللوز والكرى والحصا ورميها ويسمون المطر الداحي لأنه يدحو الحصا وكذا اللاعب بالجوز . وفي حديث أبي رافع كنت ألاعب الحسن والحسين رضوان الله عليهما بالمداحي وهي أحجار أمثال القرصة كانوا يحفرون ويدحون فيها بتلك الأحجار فان وقع الحجر فيها غلب صاحبها والا غلب ذكره في اللسان . وقال بعده والدحو هو رمي اللاعب بالحجر والجوز وغيره ... إلى أن قال وهذا لا ينافي ما قيل من

أن معناه بسطها أى وسعها ومد فيها . وأنه سطحها أى جعل لها سطحا واسعا يعيش عليه الناس وغيرهم . فمن جعل مسألة كرويتها وسطحها أمرين متعارضين يقول بكل منها قوم يطعنون فى الاخرين فقد ضيقوا من اللغة والدين واسعا بقلة البضاعة فيها والله أعلم .

« وجعل فيها رواسى وأنهاراً » الرواسى الجبال الثوابت وهى جمع راسية والارساء الثبوت . قال جميل :

أحبها والذى أرسى قواعده حتى اذا ظهرت آياته بطنا

وأنشدوا من قول زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها بأيد وأرسى عليها الجبالا

والانهار مجارى الماء العذب على وجه الأرض . وقد ورد ذكر الجبال والانهار فى كثير من آيات القرآن الكريم . وقلما يرد ذكر الجبال خاليا من وصفها بالارساء ومن بيان أن حكمة ذلك الارساء التثبيت للأرض حتى لا تميد بمن عليها مع مقارنة ذكر الانهار فى أغلب الايات ففي سورة الانبياء « وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بكم » وفى سورة النحل « وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون » وفى سورة فاطر « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود »

ووجه الارتباط بين الجبال والانهار ملحوظ معروف فان الجبال هى سبب حدوث الانهار لان الماء حين يسقط من السحب على رءوس الجبال ينحدر الى سطح الارض فيخدها بقوة الانحدار ويحدث فيها بمرور الزمن مجرى يكون نهراً عظيما وقلما نجد نهرا لا يبدأ فى منبعه بجبل أو بمجموعة من الجبال ولم يعرض القران الكريم للكيفيـة التفصيلية فى حدوث الجبال وتركيبها وتعداد فوائدها ومنافعها وترك ذلك الى النظر العقلى والبحث العلمي وانما أشار الى دقة الصنع وعظيم الابداع ليكون فى ذلك عظة للناظرين وعبرة للمعتبرين .

« ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » الزوج يطلق على الاثنين وعلى الواحد المزاوج للاخر . والمراد هنا بالزوج الصنف الواحد ولهذا أكد بالاثنين لدفع توهم أنه أريد بالزوج هنا الاثنين . ذهب كثير من المفسرين إلى أن المقصود من ذلك أن الله جل جلاله جعل كل نوع من أنواع ثمرات الدنيـا صنفين إما فى اللونية كالبياض والسواد ونحوهما أو فى الطعمية كالحلو والحامض ونحوهما . أو فى القدر كالصغر والكبر أو فى الكيفية كالحر والبرد . وقال الفراء أن المراد بالزوجين الذكر والأنثى . وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد في قوله : « وجعل فيها زوجين اثنين » قال : ذكرا وأنثى من كل صنف .

وأنت إذا عرفت ماقرره النباتيون من أن الاتحاد فى كل أصناف النبات لايكون إلا بعد (الاخصاب) الذى يكون بعد التلقيح .. وأن الازهار

النباتية منها ما هو ذكر ومنها ما هو أنثى ومنها ما هو مزدوج . فيه أعضاء الذكورة والانوثة معا . علمت مبلغ الاعجاز فى هذه الآية الكريمة وأنها تشير الى قانون نباتى لم يكتشف الا في الاعصار الحديثة ورجحت بهذا ما ذهب إليه الفراء ومجاهد من أن المراد بالزوجين الذكر والانثى .

ولا يرد على هذا أن بعض الثمار [illegible] تصبح كالبذر مثل نبات البطاطس ونحوها فان هذه ليست ثمارا حقيقية ولكنها امتدادات أوجذور من جسم النبات الاصلي تنمو بقوة التوالد الخضرى .

« يغشى الليل النهار » تقدم الكلام على ذلك فى سورة الاعراف عن قوله تعالى (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وملخص ما قيل هناك أن معنى التغشية أو الاغشاء التغطية . وفي قراءة التشديد المبالغة والكثرة والمعني أن الله قد جعل الليل الذى هو الظلمة يغشى النهار وهو ضوء الشمس على الارض أى يتبعه ويغلب على المكان الذى كان فيه ويستره وأن مسألة الليل والنهار صارت معلومة بالقطع فى هذا العصر فيمكن تحديد ساعات الليل والنهار فى كل قطر ومخاطبة أهله بالتلغراف للتأكد من صحة الوقت الحسابى عندهم وأن المحققين من علماء المسلمين فى المعقول والمنقول كالغزالى والرازى وابن تيميه وابن القيم قد اتفقوا على كروية الارض وظواهر النصوص أدل على هذه الكروية

وأن هؤلاء المحققين قد حكوا القول بدوران الأرض على مركزها وأوردوا عليه نظريات تشكك في كونه قطعيا ولا تنقضه كما في المواقف والمقاصد وغيرهما ، والنصوص لا تمنع مما يقول به علماء الهيئة من هذا الدوران .

ونزيد هنا أن الامتنان بعجائب الليل والنهار وما في تعاقبهما من الفوائد والمنافع جاء في كثير من آيات القرآن الكريم في كثير من المواضع وبأساليب متنوعة . ففي سورة الاسراء « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » الآية ١٢، وفي سورة الفرقان « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً » الآية ٦٢ ، وفي سورة القصص « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » الآيات ٧١ — ٧٣ وفي سورة يس « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » الآية ٣٧ إلى كثير من هذا المعنى في كتاب الله ، وهو في ذلك كله إما أن يلفت الأنظار إلى سلخ النهار من الليل أو إلى غشيان الليل النهار أو إلى تعاقبهما وتخالفهما ، وفي التعبير بالتغشية

والسلخ والتخالف إشارة إلى الاتصال التام بين وقتى الليل والنهار والتدرج فى تعقب أحدهما الآخر فكل جزء من سطح الأرض يخلو من أحدهما يعقبه فيه الثانى توا وهكذا دواليك. وهو يوافق ما يقرره الفلكيون فى هذه الأعصار

« إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ان فيما ذكر من مد الأرض وما يتصل بها من عوالم الجبال والأنهار وغرائب النبات والأفلاك لدلائل واضحة على قدرة الصانع الحكيم لمن أراد أن يعمل فيها فكره ويوجه اليها أشعة بصيرته ، وهذه الآيات تظهر لكل أحد على قدر علمه وفهمه وجودة فكره وصفاء ذهنه وصدق توجهه ، فأما علماء الهيئة والنبات وغيرهم من الباحثين فى علوم الكون فهم يعرفون من نظامها ما يدهش العقل ، وأما سائر الناس فحسبهم هذه المناظر البديعة والاجرام الرفيعة والعوالم العجيبة ، وما فيها من الحسن والروعة والجمال

« وفى الأرض قطع متجاورات » من دقائق البلاغة فى تركيب هذه الآية الكريمة أن تقرأ هذه الجملة منها منفصلة عما سواها فتفهم أن المراد بذلك لفت النظر إلى التأمل فى طبيعة الارض وأسرار تكوينها ففيها قطع متجاورات ، ولكنها تختلف فى العناصر وتتنوع فى الطبائع وتتباين فى المواد والصفات باختلاف بعض العوارض الطبيعية فترى فى الارض قطعة خصبة يانعة لما يجرى فيها من أنهار وما ينبع منها من ماء وبجوارها صحراء قاحلة قد حرمت هذه المزايا وعطلت من تلك الخواص

وترى قطعة من الأرض معتدلة العناصر صالحة للزرع وإلى جوارها سبخة مالحة لا تمسك ماء ولا تنبت زرعاً ، وترى سهلا فسيحا منبسطا يمتد فى سفح جبل عالى الذرا شامخ القمة وفى كل ذلك فوائده ومنافعه للناس — هذه المعانى الكثيرة تتوارد الى ذهنك اذا قرأت هذه الجملة منفصلة مما بعدها من بقية الآية الكريمة فاذا وصلتها بهذه البقية تبادر إلى ذهنك معني آخر هو أن المراد الاعتبار والتفكر فى اختلاف ألوان النبات وصنوفه مع أن الأرض التى يزرع فيها متجاورة متحدة الخواص والماء الذى يسقى به كذلك ولكنه هو ينبت مختلفا فى شكله فهو صنوان وغير صنوان وفى طعمه فبعضه يفضل بعضا فى الأكل

«وجنات من أعناب وزرع ونخيل» وفى الأرض كذلك جنات وحدائق وبساتين فيها الاعناب ونحوها من النباتات المتسلقة وفيها الزروع ونحوها من النباتات الحشيشية السابقة ، وفيها كذلك النخيل ونحوه من الأشجار العظيمة الكثيرة الأغصان والأوراق

« صنوان وغير صنوان » متشابهة وغير متشابهة أو مفردة الساق ومزدوجة كما قال تبارك وتعالى « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه » الاية ١٤١ من سورة الأنعام .

« يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل »
هذه الجنات والأعناب والزروع والنخيل تسقى بماء واحد وتزرع فى قطع متجاورة من الأرض ثم تختلف بعضها عن بعض فى الطعم فمنها الحلو ومنها الحامض ، ومنها المز ، ومنها المر ، أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال هذا حامض وهذا حلو وهذا دقل وهذا فارسى بل إن الصنف الواحد من النبات قد يزرع في الأرض المتجاورة ويسقى بالماء الواحد ثم يختلف طعم بعض ثمراته عن بعض ، ويقول علماء النبات إن ذلك الاختلاف يرجع الى طبيعة الجنين المستقر فى البذور وماينجم عنه من جذور تمتد فى باطن الأرض ثم تمتص منها ما يناسب هذا الجنين ويوافق أطوار حياته حتى ينمو ويصير شجرة كاملة تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فما يمتصه جنين الفول من أجزاء الأرض غير ما يمتصه جنين القمح من هذه الأجزاء ولو فى نسب العناصر المختلفة وما يمتصه العنب غير ما يمتصه الخوخ والتفاح ، وهكذا فسبحان من أعطي كل شىء خلقه ثم هدى .

« إن فى ذلك لايات لقوم يعقلون » إن فى هذه العجائب جميعاً لدلائل على قدرة الخالق وعظمته لقوم يستخدمون عقولهم فى إدراك الحقائق وتعرفها .

ومن دقائق البلاغة فى الآيات الكريمة الاشارة إلى مراتب الاعتقاد فى تدرج وتلطف فان النظر فى عوالم السموات والعرش والشمس

والقمر كما هو فى الاية الثانية من السورة يؤدى الى اطمئنان القلب وحسن اليقين ولذلك ختمها بقوله « لعلكم باقاء ربكم توقنون » والتأمل في عوالم الارض ومدها وما فيها من جبال وأنهار. وصلتها بغيرها من العوالم تلك الصلة التى تظهر فى تعاقب الليل والنهار يؤدى إلى يقظة الفكر وجودة النظر ولذلك ختمها بقوله « إن فى ذلك لايات لقوم يتفكرون »

والبحث فى عوالم النبات وعجائب حياته بعد حياة القلب باليقين وصحة الفكرة يؤدى إلى كمال العقل وتمام المعرفة ، ولذلك كان ختام الآيات « ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون » فاليقين شعور يلتئم مع الفكرة فينتج العقل الكامل « ومن أصدق من الله قيلا »

﴿ الحث على تعلم هذه العلوم ﴾

ولعل من نافلة القول أن تذكر أن ورود هذه الايات بهذا الأسلوب فى القرآن أكبر دافع للمسلمين إلى أن يدرسوا هذه العلوم ويستبحروا في دراستها ويأخذوا منها بالنصيب الاوفر فهى وسيلتهم إلى معرفة الله تبارك وتعالى وقد اعتبر الاسلام التفكر فى هذه المصنوعات الربانية والتبحر فى دراسة أسرار الكون عبادة لا تعدلها عبادة وهم بذلك يستطيعون أن يدفعوا عن دينهم شبهات بعض الذين عرفوا قشورا من هذه المعارف ثم راحوا يهاجمون بها العقائد مخادعين بأن العلم يناقض الدين وهو كلام كاذب لا حجة عليه بل إن معرفة الكون هى الوسيلة الصحيحة لمعرفة الله فى نظر الاسلام ومن كلام الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر فى هذا المعنى فى رسالة فى التربية

العلم يناقض الخرافات ولكن لا يناقض الدين نفسه . يوجد فى شيء كثير من العلم الطبيعى الشائع روح الزندقة ولكن العلم الصحيح الذى فات المعلومات الصحية ورسب فى أعماق الحقائق براء من هذه الروح . العلم الطبيعى لا ينافى الدين ولكن الذى ينافى الدين هو ترك هذا العلم . التوجه للعلم الطبيعى عبادة صامتة واعتراف صامت بنفاسة الأشياء التى تعاين وتدرس ثم بقدرة خالقها فليس ذلك التوجيه تسبيحاً شفهيا . بل هو تسبيح عملى . وليس باحترام مدعى إنما هو احترام أثمرته تضحية الوقت والتفكير والعمل . وهذا العلم لا يسلك طريق الاستبداد فى تفهيم الانسان استحالة إدراك (ذات الله) ولكنه ينهج بنا النهج الأوضح فى تفهيمنا هذه الاستحالة بابلاغنا جميع أنحاء تلك الحدود التى لا يستطاع اجتيازها ثم يقف بنا فى رفق وهوادة عند هذه النهاية وهو بعد ذلك يرينا بكيفية لا تعادل صغر العقل الانسانى إزاء ذلك الذى يفوت العقل . اهـ

(الانسان والطبيعة) إن القرآن بهذا الأسلوب البديع الفريد قد ربط بين القلب المؤمن والعقل المفكر وآخى بذلك بين الدين والعلم ووفق بين الانسان والطبيعة بين الفرد وبيئته وهذا أقصى ما وصل إليه الاجتماعيون والمربون من سمو الغاية ونبل المقصد قد سبقهم به الاسلام بعدد عظيم من الأجيال . يتبرم كثير من الشبان المصريين بالطقوس والترانيم التى جعلتها الكنيسة لب العبادة وعماد المناجاة ويرى هذا

الفريق من الشبان أن هذا الوجود هو أقدس سفر يتلو فيه الانسان آيات عظمة الله تبارك وتعالى وهم لذلك يرددون آثار (شوبنهور) و(جوته) و(بيرون) و(لامرتين) وغيرهم من شعراء الغرب الذين تناولوا الكون بالوصف الرائع البديع .

هذا الفريق من الشباب لو قرءوا القرآن الكريم ودرسوا الدين الاسلامي الحنيف لوجدوا فيه فوق ما يتصورون من تغذية العقول والأرواح بالتأمل فى خلق الله تبارك وتعالى والتفكر فى كونه ومخلوقاته ولوجدوا فى ذلك حياة أرواحهم وسعادة أنفسهم. فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير .

راى فى الحضارة الغربية

اتخذت الحضارة المرأة الغربية من وسائلها فى ترقيق الطباع وإرهاف الملتكات ومع المرأة ما معها من فنون الدعابة والمغازلة والمفاكهة والاغراء وما تحت هذه من الطباع والأخلاق فاذا العالم المتحضر فى صبغة من الأنوثة متى أخذ الدهر مأخذه فيها استحالت من بعد صبغة من الفجور يشمل هذا العالم ويقولون الفن والجمال ولا يعلمون أنها إذا استفاضا وما جاء منهما الخيال والهوس وخرج من اجتماع كل ذلك الانحلال والسقوط كما وقع فى التمدن الرومانى والحضارة الغربية

إنى لا أرى أكثر مظاهر هذه الحضارة إلا أسلحة قاتلة لقتل الخير والرحمة فى قلوب الناس فهى ترفع تكاليف الحياة وتزيد فيها وتعسر آمالها فتنشيء بذلك الفقر المدقع وتخرج معه الفوضى والاختلال وتحدث به الأخلاق السافلة كالتلصص والدهاء والخبث والحسد ونحوها ويزيد العالم كل يوم بأسباب كثيرة تبتدعها الحضارة فلا تكون الزيادة الاعبثا أو شرا ومضايقة لأن ما كان يكفى الجماعة ذات العدد أصبح لا يكفى الا فردا واحدا ويومئذ لا تستقيم الانسانية إلا بأن يفتدى بعضها من بعض فيكثر

فتاوى المنار

تقدم فى هذا الباب الاجابة أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين إسمه ولقبه وبلده وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بماشاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة فى الورود ان شاء الله والله المستعان

(٤) استحضار الأرواح

جاءنا من الدكتور محمد سليمان المدرس بكلية الطب ما يأتى :

حضرة الاستاذ الجليل رئيس تحرير المنار الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فقد أكثر الناس القول فى موضوع الارواح ما بين ناف له ومثبت اياه فما القول الحق فى ذلك ؟ وهل الارواح التى ستحضر هى أرواح الموتى أنفسهم ؟ وهل يصدق ما يأتى على لسانها من أقوال أفيدونا مشكورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

القاهرة		المخلص

دكتور محمد احمد سليمان

الجواب

يتطلب الجواب على ماتقدم الكلام فى عدة مباحث نلخصها فيمايلى:

أولا — كيف نشأت مباحث الاستحضار في الغرب

حدث في سـنة ١٨٤٦ الميلادية في قرية هيدسفيل من ولاية نيويورك بأمريكا أن أسرة رجل اسمه جون فوكس أزعجتها عدة طرقات كانت تحدث في البيت الذي تسكنه فتجرأت مدام فوكس ذات يوم وسألت ذلك الفاعل المستتر قائلة هل أنت روح ؟ واتفقت معه على أن يكون علامة الايجاب بطرقتين وعلامة السلب طرقة واحدة فأجابها بطرقتين ثم ما زالت تسأله وهو يجيب بواسطة الطرق حتى علمت منه أنه روح ساكن كان بهذا البيت فقام جار له ودفنه فيه ثم سلبه ماله ولم تهتد الحكومة اليه . فأسرعت المرأة الى إنذار (البوليس) والنيابة فحضر رجالها وأخذوا كل حيطة وتسمعوا الطرقات على طريقة صاحبة البيت وفهموا منها ما فهمته وعمدوا الى الحفر في المكان الذي دلت عليه الروح فوجدوا جثة القتيل وكان من أثر ذلك اهتداؤهم الى القاتل . وظلت الروح بعد ذلك تزور بنتي جون فوكس هذا حتى استأنسها وحضرت أرواح أخرى ادعت أنها أرواح موتى آخرين وتحسنت طريقة التفاهم بينهما وبين هذه الكائنات فصارت بالحروف الهجائية وذلك بأن تقرأ احدى الفتاتين الحروف الهجائية فتطرق الروح عند الحرف المراد كتابته طرقة فتكتب الفتاة الاخرى ذلك الحرف وهكذا ثم تجمع الحروف المكتوبة وتقرأ .

وقد رجت الروح الاختين في أن تعلنا أنها على استعداد لاشهاد

الناس خوارق تثبت لهم وجود الارواح في أكبر مكان للمحاضرات فى نيويورك فأبت البنتان ذلك خشية سـوء القالة والاتهام بالشعوذة . وأصرت الروح على ذلك لانها تريد أن تنتهز هذه الفرصة لتثبت للناس صحة خلود النفس وقالت إنها ما تجشمت الاستئناس بهما إلى هذا الحد الا لهذه الغاية وأنذرتهما بأنها لن تعود اليهما ان بقيتا على اصرارهما فلم يسعهما أخيرا الا القبول ولـكنهما اشـترطا أن يكون بدء العمل فى (الصـالونات) الـكبيرة لبعض البيوت ثم تتدرجان من ذلك إلى قاعة المحاضرات الـكبرى . وتم ذلك فأخذت البنتان تحضران في بعض تلك الصالونات أمام جمهور من العلماء والمفكرين فتحدث خوارق عديدة رغماً عن كل ما يتخذ من الاحتياطات ثم أعلنتا التحضير فى قاعة المحاضرات الكبرى فشهد هذه الخوارق جم غفير من الناس وكثر التحدث بها فى كل مكان.

وكان القاضي أدموندس رئيس مجلس الاعيان بأمريكا من أسرع الناس إلى بحث هذه الخوارق فاعتقد صحتها وكتب فيها بحثا مستفيضا فحملت عليه الجرائد حملة عنيفة ففضل أن يستقيل ويخدم البحث على أن يبقى في وظيفته مقيدا بتقاليدها وكان من أكبر العاملين على نشر هذه المباحث .

وتلاه الاستاذ (مابس) معلم علم الـكيمياء بالمجمع العلمى فانتهى أمره بتصديقها ونشر مباحثه على رءوس الاشهاد وحذا حذوه الاستاذ (روبيرت هير) وأطال البحث والتنقيب فظهر له صدق صاحبيه المتقدمين

فوضع كتابا حافلا أسماه « الابحاث التجريبية على الظواهر النفسيه »
وكان من أثر هذه الكتابات أن انتشرت الفكرة وتعدت أمريكا الى
غيرها من بلدان العالم الغربى .

ثانيا — اختلاف الآراء فى صحة هذه البحوث

كان طبيعيا أن تختلف أراء الناس فى نتائج هذه البحوث وأن يكون
هناك المصدقون المتشيعون والمنكرون المتشككون وكان طبيعيا أن تثير
هذه الناحية حربا كتابية وعلمية وذلك ما حدث فعلا وكان من المصدقين
بصحة هذه البحوث وصدق نتائجها كثير من أعلام العلم الكونى فى
بلدان أمريكا وأوروبا المختلفة وكثير منهم كتب كتابات فى غاية من القوة
والدقة التحليلية مما يدل على اقتناع تام بما يقول وكثير منهم ألف فيها
الرسالات والكتب القيمة ولم يبالوا بما يتعرضون له من هزء المتقدمين
وسخريتهم وكثيراً منهم كان ملحداً صميما فعاد مؤمنا بالحياة الروحية
كل الايمان وهذه نماذج من كتابات هذا الفريق .

(١) العالم الكيماوى « وليم كروكس » وقد ألف كتابا دعاه
« مباحث على الظواهر النفسانية » قال فيه : « بما أنى متحقق من صحة
هذه الحوادث فمن الجبن الادبى أن أرفض شهادتى لها بحجة أن كتاباتى
قد استهزء بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيئا فى هذا الشأن
ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام أن يحكموا عليها بأنفسهم أما
أنا فسأسرد بغاية الصراحة ما رأيته بعينى وحققته بالتجارب المتكررة »

(٢) العالم الكبير « الفرد روســـل » وقد وضع فى هــذه المباحث كتابين أحــدهما « خوارق العصر الحاضر » والثانى « الدفاع عن الاسبرتزم » وقد قال فى الاول ما نصـه « لقد كنت ملحداً بحتا مقتنعاً بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن فى ذهنى محل للتصديق بحياة روحية ولا يوجد عامل فى هذا الكون كله غير المادة وقوتها ولكنى رأيت أن المشاهدات الحية لا تغالب فانها قهرتنى وأجبرتنى على اعتبارها حقائق مثبتة قبل أن أعتقد نسبتها إلى الأرواح بمدة طويلة ثم أخذت هذه المشاهدات مكاناً من عقلى شيئا فشيئا ولم يكن ذلك بطريقـة نظرية تصورية ولـكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضاً على صورة لا يمكن تعليلها بوسيلة أخرى »

(٣) العالم الايطالى الكبير « سيزار لومبروز » وقد رمى المصدقين بهذه المباحث بالجنون وكتب عنهم فصولا انتقادية فى مؤلفاته ثم عاد فبحث هذه الخوارق مع الاستاذ « كاميل فلامريون » الفرنسى والاستاذ « شارل ريشيه » مدير الجريدة العلمية والمدرس بجامعة الطب البارزية ثم انتهى به الأمر إلى أن ألف كتاباً قال فى مقدمته . (لم يكن أحد أشد منى عداءً للاسبرتزم بحكم تربيتى العلمية وميولى النفسية وكنت أعتبر من البديهيات العلمية أن كل قوة ليست إلا خاصـة من الخواص المادية وأن كل فكر وظيفة من الوظائف المخية وكنت أهزأ دائما من الاخونة المتكلفة ولكن غرامى باظهار الحقيقة وتجلية الحوادث

المشاهدة قد تغلب على عقيدتى العلمية)

وكثير غير هؤلاء لا يحصيهم العد درسوا هذه المباحث وتشيعوا لها من الانجليز والفرنسيين والالمان والامريكان وغيرهم وشايعهم على ذلك كثير من الكتاب والادباء وأصحاب الصحف والمجلات التى اقتنعت بفكرتهم وتأسست للدفاع عن هذا الرأى الصحف والمجلات الكثيرة فى كل بلد من بلدان أوروبا وأمريكا . وقد انتدبت الجمعية الملكية بانجلترا لجنة من ثلاثين عالما فى الفنون المختلفة عهد اليها بحث هذا الامر فعكفت علي ذلك ثمانية عشر شهرا . وعقدت للبحث والتجربة أربعين جلسة ورفعت تقريراً مطولا فى مجلد ضخم ترجم إلى أكثر اللغات وقد جاء فيه :

« عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها فى البيوت الخاصة بالاعضاء لاجل نفى كل احتمال فى اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أى نوع كانت . وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهمة أو الذين يأخذون أجراً علي عملهم هذا لان واسطتنا كان أحد أعضاء اللجنة وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية ومتصف بالنزاهة التامة . وليس له غرض مادى يرمى اليه ولا أى مصلحة فى غش اللجنة : كل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله من التحوطات عملت بصبر وثبات . وقد دبرت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة

الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا و إبعاد كل احتمال لغش أو توهم . وقد اكتفت اللجنة فى تقريرها بذكر المشاهدات التى كانت مدركة بالحواس وحقيقتها مستندة إلى الدليل القاطع ، وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة تجاربهم وهم فى أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها كانت إما نتيجة التدليس أو التوهم أو أنها تحدث بحركة غير اعتيادية للعضلات ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم هذه إلا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا تمكن مقاومته فى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقه . وبعد تجارب وامتحانات مدققه مكررة فاقتنعوا رغما منهم بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لا غبار عليها)

ولقد سرى أثر هذه المباحث الغريبه الى مصر فتناولها كثير من الكتاب المعتنيين بهذه الناحيه بالبحث والكتابة والتجربة وفي مقدمه هؤلاء الكاتب الاستاذ محمد فريد وجدى الذى تحمس للفكرة أشد التحمس ولا زالت كتبه أهم المراجع العربيه للباحثين في هذا الشأن فيما نعلم ومنهم كذلك الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله والاستاذ أحمد فهمى أبو الخير الذى ما زال يوالى تجاربه الروحية بحماسة شديدة

ولقد كتب الاستاذ محمد فريد وجدى منذ شهر تقريباً فى جريدة الاهرام اليومية يسوق إلى القراء نبأ عنايه جامعة كمبردج بهذه المباحث

واعتبارها علما رسميا مقرراً يدرس في الجامعة وإنشاء قسم خاص بهذه المباحث يتقدم إليه من يشاء من الطلاب إلى شهر مايو من هذا العام ١٩٤٠ الميلادية

وإلى جانب هـذا الفريق المتحمس قام فريق ينكر صحة هـذه الظواهر ويحملها على خداع الوسطاء أو تدليس المجرمين أو انخـداع الشاهدين أو غلبة الوهم والخيال وقد نقـل المقتطف فى بعض مجلداته كلاما فى هذا عن بعض العلماء الاوربيين الكونيين كذلك ومن هؤلاء

(١) الدكتور مرسير من أطباء الامراض العقلية بمستشفى تشريج كروس ببلاد الانكليز وقد ألف كتابا فى الرد على السير أوليفر لودج فيما ذكره عن المباحث النفسية وقال ان الاشتغال بهذه المباحث يؤدى إلى اختلال العقل ويعرض أصحابه للجنون

(٢) والدكتور « روبرتصن » مدير المستشفى الملـكى بادنـبرج الذى رمى المشتغلين بهذه المبـاحث بأن فيهم ضعفاً خلقيـا فى الارادة يجعلهم مستعدين للتصـديق بالاسبرتزم ومناجاة الارواح وما كا ن من هذا القبيـــــل

ولـكن المتتبع لهذه الحركة العلمية وخصوصاً بعد مضى هذا الزمن الطويل عليها وهي لا تزال تضم إلى جانبها كثيراً من أساطين رجال العلم المادى حتى انتهى الامر باعتبارها علماً رسميا يدرس فى جامعة محترمه كجامعة كمبردج لا يسعه إلا أن يصدق بكثير من نتائج هـذه البحوث

ويؤمن بوجود قوى روحية تظهر حقيقة للذين يزاولون هذه التجارب ويتعرفون عليها وليس هنالك من حرج عقلي أو ديني على المسلم أن يؤمن بوجود هذه القوة الروحية وظهورها للناس وتخاطبها معهم فان هذا الكون لازال مملوءا بالاسرار المادية والروحية التي لم يصل العقل الانساني بعد إلى معرفة كنهها وحقيقة أمرها وهذه الكشوف التي وصلنا اليها من أعجب العجائب التي لو ذكرت للناس من قبل لخيل اليهم أنها فوق المستحيل وقد أصبحت الان فيما بينهم أمورا عادية صرفة

ولكن الذى يحتاج الى انعام النظر حقا هو الحكم على شخصية هذه القوي التى تدعى أنها أرواح الموتى أهي حقا أرواح الموتي ؟ أم هي قوى روحية أخرى تنتحل هذه الصفات هذا هو الامر الذى يعنينا نحن المسلمين أن نتعرف خلاصة القول فيه وهو ما سنتناوله بايجاز

(٢) شخصيه الارواح

يذهب معظم الباحثين فى هذه النواحى النفسية والمؤمنين بها الى أن هذه القوى الروحية التي تخاطبهم هى بنفسها أرواح الموتى ويستدلون لذلك بأمور منها

(١) تكلم الروح بلغة المتوفى واستخدامها عبارته المألوفة وتذكير أهله بحوادث قديمه كانوا نسوها لبعد العهد بها ولايدري بها أحد سواهم

(٢) دلالتها على أوراق ومستندات ضائعة وضعها المتوفى في تلك الاماكن قبل موته بدون إطلاع أحد عليها

(٣) كتابتها بخطه والتوقيع بتوقيعه والتعبير بأسلوبه حتى ولو كان من كبار الكاتبين بحيث عرض ذلك على الخبيرين في الخطوط فحكموا بتشابه الخطين والانشاءين

(٤) ظهورها متجسدة على صورته التي كان بها على الارض وتكلمها بصوته ولهجته .

(٥) اجماعها في كافة بقاع الارض على التأكيد بأنها أرواح الموتى وأنها ليست من الملائـــكة ولا من الجن ولا هي أرواح أخرى ذات طبيعة مجهولة

(٦) حبها الاهلها وتوصيتها الحضور بهم وتكليفهم البحث عنهم ومساعدتهم

ومع هـــذه الادلة فان كثيراً من المؤمنين باستحضار الارواح يرى أنها لم تصل بعد الى حد اليقين وليست ملزمة أو محدودة لشخصية الروح وان كانت ترجح ذلك .

أما نحن فننظر الى هذه المسألة على ضوء التعاليم الاسلامية الروحية وذلك يدعونا الى أن نلخص موقف الاسلام من عالم الارواح

موقف الاسلام من الروح

نستطيع أن نوجز الكلام في هذا البحث الخطير في عدة نقط

(١) الروح مجهولة حقيقتها فهي من أمر الله ولم يتعرض القرآن ولا السنة لبيان هذه الحقيقة

(٢) الروح هي أصل الحياة والتفكير والادراك في الانسان

وانفصالها عن هذا الجسد هو الموت

(٣) الروح بعد الموت « فى مستقر يعلمه الله تبارك وتعالى » وهى فى مستقرها هذا اما منعمة ان كانت ممن عمل الصالحات فى حياته الدنيا واما معذبة ان كانت ممن ارتكب المعاصى والاثام أولم يعترض بالرسل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بعد بعثهم

(٤) يجوز أن تتصل الروح وهي فى مستقرها هـذا بالاحياء من أهل هذا الكون اتصالا جزئيا فهى تعلم كثيراً من شئونهم ويزيدها سروراً فى حياتها البرزخية هذه أن تعلم من أهلها خيراً ويؤلمها أن تعلم عنهم غير ذلك كما أنها ترد السلام على من سلم عليها ان كانت من أهل النعيم والصلاح كما أنها قد تراءى لهم فى بعض الرؤى والحالات وقد ورد ذلك فى الاحاديث الصحيحة النبوية

(٥) ان الروح هى فى العالم البرزخى وبعد أن تجردت من ظلمات هذا الجسد لا سلطان لاحد عليها الا الله وهى لاتخبر بغير الحق ولاتقول الا الصدق وخروجها عن قوانين هذه الحياة الارضية وبعدها عما فيها من آثام ولا أعلم أنه ورد فى ذلك نص صريح من كتاب أو سنة بل هو مقتضى الخروج من هذه الدار الى تلك الدار

(٦) ان كثيرا من القوى الروحية « أعنى الخفية » الاولى تتصل بهذه الروح فى هذه الحياة الدنيا وقد تسلط عليها بالوسوسة والايحاء وقد تشكل بها بعد هذا الانتقال الى حياة البرزخ وقد ورد شىء من هذا

فى الاحاديث الصحاح

هذا مجمل ما يمكن أن يقال فى نظرة الاسلام الى عالم الروح

فاذا نظرنا على ضوئه الى شخصية القوى التى تظهر فى الاستحضار وعرفنا أن هذه القوى تخبر بأنها فى نعيم وقد يكون أصحابها معروفين بالكفر أو الاثم فى الدنيا وهى مع هـذا تسوق كثيراً من الاراء التى تناقض تعاليم الاديان رجحنا أن تكون هذه القوى الروحية عوالم أخرى من عوالم الكون غير المادى تقدر على التشكل بما تشاء من الصور وتتصل بالانسان فى حال الحياة فتعلم كثيراً من شئونه وما يحيط به ثم تخبر بذلك حين الاستحضار وليست هي أرواح الموتى حقيقة والى هذا القول تطمئن النفس

وبذلك نجمع بين التسليم بوجود عالم وراء عالم المادة وهو ما ينهدم بوجوده مذهب الماديين من أساسه ونخلص من الحرج الاعتقادى الذى نقع فيه اذا سلمنا بأنها أرواح الموتى وحقائق الامور عند الله

(وبعد) فلا شك أن هذا البحث من أدق البحوث وأولاها بالعنـاية وطول التفكير وقد اشتجرت فيه الاقلام حيناً من الزمان الى الان ومن واجب العلماء فى الامم الاسلامية أن يسابقوا علماء الغرب فى هذا المضمار وأن يكثروا من التجارب الدقيقة لمعرفة حقيقة هذه الامور بأنفسهم، أنهم حراس أضخم ميراث روحى عرفتـــه الانسانية وهم أولى الناس بتعرف حقائق هذه البحوث والله يتولى الحق وهو يهدى السبيل

ما ذا فى أندونســيا

فى أقصى الشرق، بين أمواج البحار المتلاطمة والجو المملوء بالأعاصير يسكن اخوان لكم ومنكم مسلمون يوحدون بالله وبرسوله وبالكتاب المبين .

هؤلاء هم اخوانكم الاندونسيون الذين يبلغ عددهم فى احصاء سنة ١٩٣٠ ٥٩،١٤٣،٧٧٥ نفس منهم ٨٥ ٪ من المسلمين . وهناك أيضا عدد من العرب يبلغ ٥٢٠٠٠ .

من ثلاثة قرون مضت من يوم أن دخل الهولنديون تلك البلاد وأمسكوا أزمة أمورها واستولوا على جميع منابع حياتها الاقتصادية وأخذوا يدسون سم الدسائس فى تشتيت شمل الاهالى بوساطة الظلم والاستبداد والاستعانة بالمبشرين

نتائج جهود المبشرين

للمبشرين سلاح قوى وطرق عديدة فى القيام بدعوتهم ومن طرقهم فتح المدارس وإنشاء الجمعيات والكنائس والمستشفيات والملاجىء وتأليف كتب تدخل فى مناهج التعليم فى المدارس الحكومية .

ذكر فى البيان السنوى لسنة ١٩٣٨ أن النصارى الكاثوليكيين قد نشروا دعوتهم واستولوا على معظم بقاع اندونسيا ولهم نفوذ فى أربع عشرة مدينة كبيرة ولهم من الأعضاء ٤٨٩،٤٠٠ نفس ومن المدارس ١،٤٠٤ وتلاميذها ١٢٩،٢٠٨ ولهم قسس والقائمون بأمر الدين يقدرون بنحو ٢،٥٩٢ ولهم جمعيات من كل طراز يبلغ عددها ٢٣ جمعية ومجلات عددها ٤٢ مجلة بلغات مختلفة

والبروتوستانت حركة عنيفة أيضا فقد ذكروا فى بيانهم بعد مرور ٤٠ عاما من تاريخ حركتهم ، أن عدد المنتمين اليهم قد زاد فى جزيرة جاوة بعد أن كان ١٥،٠٠٠ صار ٦٠،٠٠٠ وفى باتاك من ٤٠،٠٠٠ إلى ٤٠٢،٠٠٠ وفى نياس

من ٥٠٠٠ الى ١٢٠٠٠٠ وفى تهاما ٦٠٠٠٠ وفى الغانة الجديدة ٧٠٠٠٠ وفى جزيرة تيمور من ٣٠٠٠ الى ١٥٠٠٠٠ فبلغ عددهم الآن ٨٦٠٠٠٠ نفسا

بينما هى لا تساعد بل عاقت الطريق لكل مسلم يريد الخروج من وطنه لطلب العلم فلكم لاقى طلبة العلم الأندونسيون المتاعب والويلات فى سبيل الدين حينما أراد النزوح إلى مصر أو الحجاز .

كيف يضطهد الاسلام ! ؟

تزوف الاعين دماً إذا رأت تلك الحوادث الجسام التى تتمثل فى نفوس طاهرة آمنة لا تؤذى أحداً بل هى لربها خالصة ولقانون الشريعة خاضعة

فهناك المسلمون أيها السادة مع أغلبيتهم مضطهدون لا تزال حقوقهم مهضومة ضائعة . إذا ما جاءت أوقات الصلاة يحال بينهم وبين المساجد وإذا ما تفوهوا بآيات الذكر الحكيم يحاسبون عليها ولم يسمح لهم أن يقرأوا باب الجهاد فى الفقه ولا الآيات الحاثة على ذلك . وما أكثر عدد الذين ذهبوا ضحية قضية الاسلام ومنهم طالبان من مصر وهما الحاجان مختار لطفى والياس يعقوب ولا تزال أسماؤهما مقيدة فى سجل الأزهر كطالبين .

هذا إلى أنهم يسدون الطريق فى وجه كل مسلم يريد الخروج من وطنه لطلب العلم ، فكم لاقى طلبة العلم الأندونسيون المتاعب والويلات فى سبيل الدين حينما أرادوا النزوح إلى مصر أو الحجاز .

هناك جزيرة كبيرة وهى الغانة الجديدة قد ملئت بالمجاهدين المنفيين من الأبرار الأطهار ، أدامهم الله للاسلام خيرا وجعلهم مثالا يحتذى . فهذا المنفى هو مثال حى لتلك المظالمة ألا ساء ما يعملون ؟

نظــــام الضرائب

أنواع الضرائب فى أندونسيا كثيرة جدا فهى حوالى خمسة عشر نوعا .

١ — ضريبة الرأس . تفرض على كل شخص حى غنيا كان أو معدما بلغ

السن القانونية سواء أكان يكتسب أم لا،سيما من ينضم الى الحكومة فى خدمة و السعى لمصالحها . هذه الضريبة فى غاية من الشدة تجبى رغم الأنوف فمن لم يستطع دفعها يحبس مدة مع الأعمال الشاقة . فاذا ما نازع الحكومة أو وقف أمامها وقفة المستفهم يطرد من الرحمة وينفى إلى احدى الجزر البعيدة التى يسكنها آكلوا لحوم البشر ويباع فى سبيل الضريبة كل ما يملكه المرء من منزل وأثاث حتى أحيانا يجرد من ثوبه الكالى

٢ — ضريبة المشى . هى ضريبة لم يسمع ما يضارعها فى أى أمة مضت فهى تجبى من كل شخص بحجة اصلاح الطرق حتى لا توجد فيها وعور تعطل حركة المشى والسير ! !

٣ — ضريبة الأطيان والأملاك . هذه مثلها كمثل الضريبة المفروضة على عامة الشعب فى فرنسا قبل الثورة ولكنها أسوأ حالا من تلك خصوصا بعد تأسيس بنك التسليف كالذى وجد فى مصر فى هذه الايام وعلى طريقته أيضا

٤ — ضريبة المواصلات . ضريبة لا بأس بها ولو أنها ثقيلة العبء جدا لكثرة قيمتها وقد تضايق منها العمال الذين يستعملون الدراجات فى القيام بأعمالهم

٥ — ضريبة الذبائح تفرض على كل ذبيحة تذبح سواء كانت للاضحية أو العقيقة وقدم المسلمون احتجاجا طالبين اعفاءهم من ضريبة العقيقة فقط وإلى الآن لم نسمع من أمرها شيئا

إدارة البـــلاد

ومن جهة الادارة فيرأس اندونسيا حاكم هولندى من طرف الحكومة العليا بهولندة ليمثلها فى تلك البلاد أما من جهة نظام الحكم السياسى فهى مقسمة إلى قسمين قسم مستقل استقلالا داخليا وهو سبع بلاد (جكجا كرتاوسورا كرتا فى جزيرة جاوه ودلى ولنجكت وسرواتج وأساهن فى سومطرة وكوتاى فى بورنو) ويحكم هذه البلاد سلاطين وطنيون ولكن نفوذهم يسلب شيئا فشيئا

وينمحى بالتدريج حتى أصبحوا كصور متحركة ؛ والقسم الاخر أكبر مساحة من سابقة وهو يقدر ٩٠ فى المائة من مساحة البلاد وهومستعمر لستعمارا تاما

هؤلاء السلاطين وان كانوا من الوطنيين إلا إنهم قد تشبعو بروح العصاة فخرجوا عن أرادة الشعب بل عسكروا ضدو دينهم . بمعاكستهم إياهم فى جميع منافذ الحياة العامة لأنهم يخافون أن تضيع مراكزهم لو تحققت رغبة الوطنيين فى الاستقلال ولاسيا إذا ما صارت أندونسيا جمهورية كما ينبغى أن تكون

المجلس النيابى

فى سنة ١٩١٨ لما طلب الاندونسيين البرلمان فى أثناء الحرب العظمى أنشىء مجلس نيابى ارضاء لخاطرهم فى هذا المجلس ٦٠ عضوا منهم ٣٠ من أبناء الجنس الأهلى ٢٠ منهم بالانتخاب و١٠ بالتعيين و ٢٥ من الهولنديين و ٥ من الاقطار الشرقية كالعرب والصين .

طريقة الوصول إلى عضوية هذا المجلس هو طريقة الانتخاب بوساطة المجالس البلدية التى تستعين بها الحكومة وبعد هذا الانتخاب تختار منهم الحكومة نصيرها . ومنهم أيضا من تعينهم الحكومة بمطلق إرادتها .

وليس لهذا المجلس تصرف وإن قل بل هو عبارة عن مجلس استشارى لا أكثر .

طلب البرلمان

لما تحرك العالم فى هذه الأيام الأخيرة وبدا فى سماء السياسة الدولية ارتباك شديد وخافت كل دولة على نفسها من الضياع وخصوصاً الصغيرة منها ، فلذلك طلب الاندونسيون من الحكومة الهولندية أن تمنحهم نوعا جديدا من الحكم فيه شىء من الحرية حتى يتنفسوا الصعداء بعد تلك القروف العديدة التى لاقوا فى أثنائها متاعب كثيرة بدون رحمة ولا شفقة ..

وجد الاندونسيون انهم بهذا البرلمان يمكنهم حل المشاكل الدينية التى طالما يسكت عنها فتكبر وتترعرع فتزيد الطين بلة . فاتحدت الآراء وكون أعضاء المجلس النيابى من أنفسهم كتلة توجهوا جميعاً بها لتحقيق هذا الغرض السامى .

فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٩ طلبت الجبهة الوطنية الاندونسية المكونة من ٢٤ حزبا من الحكومة الهولندية عن طريق مجلس النواب الهولندى بمدينة لاهاى أن تمنح الاندونسيين « برلمان » فيه يتشاورون على أساس النظام الديمقراطى ويسهرون فيه على مصلحة البلاد ولاسيما فى الحالة الحاضرة مع محافظتهم على الصداقة الودية للحكومة الهولندية .

مثل هذا المطلب البسيط الذى يرجوه ذلك الشعب الاسلامى أن يتحصل عليه لاتهتم به الحكومة الهولندية فجاء على لسان وزير المستعمرات الرفض التام بدون حجة مقبولة .

علمنا أن مصر زعيمة الاسلام ومنبع المدنية الشرقية وساداتكم أكبر ممثلى الدين فيها قد دافعتم عن الاسلام كثيرا فى مواقف مشرفة ، فلذلك لا نحتكم على شىء بل أنتم أدرى بما يجب أن تعملوه فى مثل هذا الوقت ولهذه الأمة الشرقية المسلمة

ليس لنا غير أن نقدم لحضراتكم بعض مطالب علكم توافقون عليها وتحبذونها

أولا — تكوين جبهة اسلامية من جميع الجمعيات الاسلامية بمصر ولو موقته

ثانيا — ارسال عريضة إلى البرلمان الهولندى وعريضة أخرى لعصبة الأمم يطلب فيها النظر فى تحقيق رغبة الاندونسيين فى البرلمان وطلب محو منفى الغابة الجديدة وارجاع المنفيين من منفاهم .

ثالثا — طلب تحرير العقول الاسلامية بفك القيود من مناهج التعليم فى المدارس التى ما زالت الحكومة الهولندية تسيطر عليها السيطرة الكاملة .

* * *

هذه المطالب مبنية على رغبة الشعب الاندونسى فى الايام الاخيرة ونحن أبناء أندونسيا فى مصر كبير والأمل فى أن يوفقكم الله فى العمل لقضيتنا حتى يوفقنا جميعا لخير الاسلام والمسلمين

اليكم هذا مع شكر دائم ودعاء مستمر

جمعية الشبان الاندونسيين والملايويين بالقاهرة

(المنار منذ عشرين سنة)

ربيع الأول سنة ١٣٣٩

الاتحاد والاقتصاد

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان : ميزان سياسة الامم ونظام الاجتماع ، كثر فى هـذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما وشرح الكتاب لفوائدهما ، ولما يفقـه الدهماء حقيقة معناهما ، بل لما يحط أكثر العلماء والزعماء منا خبرا بهما لان فقـه الحقائق وإحاطـة الخبر لا يحصلان الا بطول التجارب فى الحوادث ، والاصطلاء بنيران الكوارث ، بعد تلقى الحكمة بالتعليم ، والتربية على سلوك الصراط المستقيم

كنا منذ أنشأنا المنار فى أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قـد جعلنا أهم ما تدعو إليه القراء فى مصر وسائر البـلاد أن يجعلوا جل عنايتهم فى إصلاح شئونهم بالتربية المالية التى تكون أمة متحدة والاقتصاد الذى تكون به الامة غنيـة تتصرف بثروتها فى القيام بمصالحها كما تشاء . بثثنا هذه الدعوة فى (المؤيد) فى ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م . ر) وبغير إمضاء . ثم أعدنا بثها فى (الجريدة) فى أول العهد بظهورها فى مقالة عنوانها (الى أى شىء أنت يامصر أحوج) نشرناها

أيضاً فى الجزء الثانى للمجلد العاشر من المنار الذى صدر فى صفر سنة ١٣٢٥ ونحمد الله تعالى أن رأينا فى هذه السنين آيات الاتحاد فى هذه البلاد العزيزة ورأينا من نتائجه قرب الحصول على الاستقلال الذى نعتقد أنه لا ينال الا به . بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتى بالاستقلال المفقود ، وفقده يذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل مصرى أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذى وقع منه على نيل الاستقلال الذى يرجى به ويتوقع ، فان الاتحاد اذا ثلم وانفصمت عروته قبل بدو صلاح ثمرته نفضت الشجرة أو خرجت الثمرة شيصا لا غناء فيها واذا انتكث فتله بعده زال أثره بزواله ، فاذا لا استقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ثم ليعلم علم تدبر أنه لا قوام لاستقلال الأمم وحريتها الا بالثروة ولا ثروة الا بالاقتصاد ، وان الاستقلال السياسى متوقف على الاستقلال الاقتصادى ، ونحن مقصرون فى سبيل هذا الاستقلال تقصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كنا من الهالكين

ان للكسب والانفاق علوما وفنونا اتسع نطاقها فى هذا العصر اتساعا عظيما لأنها قطب الرحى لمدنية الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسيادتها ، وقد برزت بها الامم الشمالية الغربية فاستعمرت أو استعبدت بها الامم الشرقية والجنوبية ، حتى ظن كثير من القاصرين أن الشعوب والاجناس أو الاقاليم الغربية أعظم استعدادا بطبيعة العرق وخاصية

الجنس من الشعوب الشرقية ، ويبطل هذا القول ما هو معلوم من أن اليهود أرقى أهل الارض فى جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المترتبة عليها أينما وجدوا وحيثما حلوا من أقطار الارض ، وهم شعب شرقى محافظ على نسبه ودمه : وكذلك الشعب اليابانى فى الشرق الاقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب .

ولكن الامر الغريب أن المسلمين فى الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يزالون مقصرين فى هذا المضمار . وبهذا التقصير أضاعت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقى لها بين براثن الخطر . ويضيع أكثر أفرادهم ملكهم فى البلاد التى يزاحمهم فيها غيرهم فان كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال بيدهم فما ذلك من كسبهم بعلومهم وفنونهم وانما ذلك ارث رقبة الارض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها . فهذه مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها نفقة عليها نراها مقصرة في هذا الاقتباس فجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية واليونانيين والسوريين يفوقون المصريين فى العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفى ادارة المال بالتجارة وغيرها وفى الاقتصاد وحفظ الثروة من التبذير والضياع بل القبط من المصريين يفوقون المسلمين في ذلك عملا وثروتهم النسبية تفوق ثروة المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية فى أيديهم وأيدى الاوربيين والسوريين بل أكثر المسلمين يعتمدون على كتابهم فى ادارة ثروتهم

على أن المسلمين اشد إسرافا فى الانفاق وتبذيرا للاموال منهـم ومن سائر الشعوب التي نعرف أحوالها .

من فطن لهـذا من علماء الاقتصاد يعلله بادى الرأى بأن الدين الاسلامى هو السبب في الأمرين . وهـذا التعليل يضاهى في البطلان تعليل من عساه يقول إن الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى الغرب وسعة عيشهم وشدة سطوتهم وجبروتهم . والحق أن كلا من النصارى والمسلمين مخالف لهدى دينه ونصوص كتابه في الأمرين . فالانجيل يهدى الى المبالغة فى الزهد والقناعه والتواضع والخضوع لكل سلطان . وينص على أن الغني لا يدخل ملكوت السموات . والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين مطالب الروح والجسد كما بينا ذلك وفصلناه مرارا كثيرة . ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله تعالى فى أوائل سورة النساء : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً) أى جعل عليها مدار قيام مصالحكم ومرافقكم وحفظها وثباتها وقوله فى صفات المؤمنين من أواخر سورة الفرقان (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ونهى فى وصايا سورة الاسراء عن المبالغة فى قبض اليد وبسطها فى الانفاق وعن التبذير . وسمى المبذرين إخوان الشياطين وهذه الوصايا هى أمهات أصول الدين وفضائله وآدابه . وهى تشمل الوصايا العشر التي فى التوراة ما عدا بطالة يوم السبت وتزيد عليها . وفى السنة وصايا وأحكام كثيرة فى ذلك

فالمسلمون مخالفون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات . وهذا إذا كانت فيما أبيح لهم من الزينة والطيبات فكيف إذا كانت فى المحرمات . ولا سيما الفواحش الثلاث المفسدات للفطرة المخربات للديار السكر والزنا والقمار . وهم على هدمهم بذلك لدينهم . يهدمون كل ما يبنى من صرح استقلالهم ، وانى لم أر ولم أسمع من أخبار البشر أن شعبا منهم يعادي النقد الذى هو ميزان الاعمال والقوة في الاجتماع البشرى كالشعب المصرى . فالمصرى أسرع الناس بذلا لما يصل إلى يده من النقد فالمتمتعون بالزينة واللذات ينفقون في سبيلهما ما تصل اليه أيديهم من كسب وقرض ولو بالربا الفاحش ، وغير المتمتعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب وقرض بالربا أرضا أو عقاراً . ولا يبالى أكثر الفريقين أن يشترى الشيء بأضعاف ثمنه وإن استدان الثمن بالربا الفاحش لأن النقد أحقر الاشياء في نظره ولذلك ترى أكثر المصريين على سعة ثروتهم الزراعية مرهقين بالدين . فيجب على الزعماء والعلماء والخطباء وكتاب الصحف أن يتعاونوا على درء الخطر بوسيلتي العلم والعمل . وإلا ظل المنتجون منهم كالاجراء للاجانب لان جل ما ينتجون يتسرب الى صناديق المسارب المالية وسائر المرابين وجيوب أصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار وتجار عروض الزينة والترف وبعبارة أخرى أن جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجنبية .

ومن الضرورى أن يبادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون

من أعمالها إرسال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد العلم في أوربه لأجل الاخصاء في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم جعلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها ، والاستقلال المنتظر يزيل إن شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا ، وإني رأيت في الهند معامل عظيمة للمنسوجات الاوربيه — دع المنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد — وجميع عمال هذه المعامل من الوطنيين إلا أنني رأيت في معمل كبير في بمباى رجلين من الانكليز وظيفتهما اختيار نقوش النسيج .

ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تعميم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات للمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامنا لاستقلالها بنفسها وحريتها في التصرف بثروتها .

أسرار البلاغة في علم البيان

في محيط الدعوات

تحليـــــل ومقارنة

ـ العقل الباطن ـ حقيقة التدين الزائف ـ الصابئة قديما وحديثا ـ

في نفوس البشر ركام كثيف من الغرائز المرسلة والنزعات المشبوبة والشهوات الجامحة تأتلف جميعا لتصوغ العمل الانساني فيما تشاء له من قوالب ، ولتلونه بما تحب له من صبغة .

وليست النفس حين تتحرك لادراك غاية قصدت إلى تحقيقها باذلة جهداً يكلفها العنت أو يشعرها ألم السعي . ما دامت حرارة الرغبة تمدها بالوقود فتدفعها . وطلاب اللذة يحدوها مزخرفا لها الغرض البعيد حتى تظفر به وتطمئن إلى مناله .

ذلك هدى العقل الباطن وجده ـ كما اصطلح علماء النفس ـ حيث لاجديد في فطرة الانسان العتيدة على ما ذرأها الله وقبلما تدركها قيود الدين فتكبح من جماحها ، وتماليه فتهذب من ميولها ؛ وأنظمته فتمحق من فوضاها وتكفكف تأبيها على الخير .. ثم تسير بها في وجهة أخرى ، أو ذلك عمـــل الانسان لذاته وتفانيه في عبادة هواه ونسيانه المطلق لله الكريم ، وانبعاثه في الدنيا كائنا طياشاً أحمق صغراً من كل غاية يجده الانتهاء اليها والاكتمال في جوارها « أفرأيت من

اتخذ إلهــه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون »

هــذا النفاذ البالغ الى كل شىء والذى تضمحل أمامــه الحواجز وتذوب الأسيجة، وهــذا الاندفاع العنيف الدائب الذى يتعجل النهاية ويتجشم إدراكها هو مرد السلوك كله عند كثير من علماء النفس حتى قال (فرويد) مكتشف العقل الباطن ـ إن العقل المفكر لا يقوم الا بخدمة اللاشعور ولا يمكن أن يستجيب لغــير ندائه ولا أن يستمع لغير أوامره ـ قد يكون هذا القول صحيحا على إطلاقه فى كل نفس لم يزكها الاسلام . ولم تسم بها رسالة محمــد ﷺ « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » .

ولكنه قلما يصدق على النفس المسلمة التى يحرق إيمانها خبث العقل الباطن حتى إذا أتى عليه استقام مع طبيعة النفس فى مظهر دينى بحت ألم يكن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) غضوبا فى جاهليته ثم فى إسلامه ولكن شتان ما بين غضب تستخفه الحمية الطائشة لأوهى الاسباب وبين غضب غال يثور لحق الله وإعلاء دينه وإيلام الكفر ويستذل أهله والواقع أن جوهر النفس الاصيل يبقى كما ويبقى كذلك كيفا إن لم نحسب تغير البواعث وتغير الاهداف وهو ما يتناوله الدين من أساسه وتجهد الرسالات كلها فى تحقيقه

وقبل أن نقرر نصيب النفس المسلمة من هــذا التغيير المنشود

تقف لحظة لنلمح خلالها النفس اليهوديه والنفس المسيحية ولنرى مقدار تأثر النفسين فى حياتيهما بالدين .

« ✲ »

لأمر ما كانت « النفس اليهودية » مرتعاً للدعوات المشينة والدسائس الساقطة وكانت حياتهم بين الأمم التى رماها القدر بهم تشبه — حياة الطفيليات التى تعيش على حساب الجسم لتسرق منه غذاءه وتمنع عنه نماءه — ويبدو أن نقمة الله التى حاقت بشعوب إسرائيل حرمتهم للآن عناصر الحياة الانسانية العالية رغم ما تزعمه هذه النفوس وتدعيه من علائق وثيقة بالله .

ذكرت إحدى الصحف اليومية منذ شهور نبأ مظاهرة قام بها العمال اليهود فى القدس كانوا يهتفون فى أثنائها طالبين الخبز ويهددون إن لم تجب مطالبهم بترك اليهودية . . . قد يدعو إلى العجب أن يهون دين على أتباعه حتى يبيعونه برغيف . ولكن الامر لا يستدعي دهشة فاليهودى لا يحس بأنه منقاد لعقيدة مقدسة لها حرمتها ولها جلالها وليس ثمة إلا لقب يورث يحمله وهو على أهبة تركه إن عارض شيئا من متاع الدنيا الذي يجتذبه كل حين وإذا كان الدين قد هزمه انفعال الجوع هنا فقد انهزم من قبل أمام سورة الحقد المضطرم فى نفوس آبائهم لما سألهم الاميون من العرب عن دين محمد . فزعم الأحبار المؤمنون ! أن الوثنية خير منه « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا» ولما جحدوا الرسالة الكريمة وقد استيقنتها أنفسهم « حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

كيف يستقيم سلطان الدين على نفوس من يعتنقونه إذا كانت هذه النفوس صريعة لكل نزوات الهوى وأعراض الحياة ومفاتن الرياسات الفارغه وأى شىء مما يطلبه العقل الباطن قد منع عنه بل اقتصد فى إجابته . وأين مكان التغيير الذى يفرضه الدين حتما على دوافع العمل وغاياته ليكون عملا دينيا ؟ لاشىء قط .

« ✩ »

ولنهبط الى أغوار النفس المسيحية لنسبرها . إننى فى شبرا أشهد كثيراً من حفلات الصلاة أيام الآحاد وكيف يثير القسيس انفعال المصلين بالترنيمات الحزينة والانشدة الحنون على حين ينعكس اللهب الخافت المترسل من مئات الشموع على صدور التماثيل الخرساء الجامدة وتردد جدران الكنيس أصداء جرسه الثائر الذى يطغى أحيانا على هينمة الشمامسه وترجيع الجمهور المسحور . . . . هذا النوع من السيطرة على النفس غير جديد ولم تزل الغابات منذ آلاف السنين تدوي بطبول الكهنه وتعاويذ السحرة ممن يمثلون الديره بين الزنوج الاغبياء ولا تزال معابد الهنود حافلة بهذه المظاهر الأخاذة التى نقلها المسيحيون بأمانة بالغة الى مذابحهم ومحاريبهم . ولكن ما جدوى هذا

كله ومتى كان الدين جوقة موسيقى وبضعة ألحان يندس بينها قليل أو كثير من التعاليم والوصايا التافهة ؟

لذلك كانت النفس المسيحية في ساعات الكنائس غيرها في مواجهة شئون الحياة عندما تبرز في حقيقتها المجردة وطبيعتها الاصيلة وقد طاش سحر النواقيس والشموع وارتدت إنساناً ضعيفاً تستبد به نوازعه القاسية . وهل يظن أن المرأة المسيحية جاهدت عواطفها كثيرا عندما عرضت في مباريات الجمال وكانت تود ألا تعرض ! أو أن الرجل المسيحي جاهد شهواته كثيرا قبل أن يحتضن امرأة غيره في صالات الرقص وكان يود أن يبتعد .

إنما تحيا النفس المسيحية في جو طليق مما تريده من حرية تستبيح كل شيء لا ظل فيها لرهبة ولا سلطان وليست شهادة « كارل ماركس » للاسلام الا ضربا من التفكير الحر ولا تخرصات « فولتير » الا مثلا للتقليد الاحمق ولا كلمات « جبران » عن نبي العرب الا فنا من الخيال السمح ولا عدد (الشرق والاسلام) الذي أصدرته ادارة الهلال الا مظهراً للثقافة التي يتاجر بها الادباء وهؤلاء المسيحيون أبعد ما يكونون عن التقيد بغير حاجات نفوسهم ورغائبها المادية والمعنوية وقد رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وغفلوا عما بعد ذلك من حقائق لو أنهم التفتوا إلى شيء منها لآثار في نفوسهم على الاقل ميلا الى التطلع والاكتشاف .

فماذا يقول الانسان مثلا في بابا روما الذي زعموا أنه يعرف تقريباً

سبع لغات ليس بينها العربية ! ماهذا النكوص عن البحث وراء الحقيقة وأي معنى تردد في نفس الرجل فقعد به عن تعلم دين كان له مع دينه تاريخ رائع . وهو الذي لم يكسل عن تعلم أدنى اللغات . ولكن لله سراً في تكوين بعض النفوس .

. . لعل فيما سبق ما يفسر حكم القرآن الصارم على أهل الكتاب حيث لم يعترف بهذه المراسيم التي تنسب النفس الى الايمان وهي منه خواء فتحت أردية الكهنوت الفضفاضة وما تشعر به من زهد وعزوف تتوارى نفوس خطرة « إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » ولما كان لزاماً على المسلمين أن لا يتركوا دين الله يلتبس بأهواء الناس حتى لا يختلط كذب الارض بوحي السماء وفي هذا ما لا يخفى من الاساءة إلى الدعوة الحقة وما يوقف انتشارها أمر المسلمين باعلان الحرب عليها حتى يكشفوا زيفها « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وكذلك طرحت الفوارق الشكلية التي تميز الكتابيين عن الوثنيين وأطلق اسم الكفر الصريح عليهم ليشمل الجميع على السواء « إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » على أنها قلة من الناس تلك التي لا تزال تخلص للكنائس المسيحية

على تفاوت مذاهبها وليس بين مئات الملايين من سكان أوربا وأمريكا الا عدد يسير من المسيحيين الاقحاح يتعارفون على دينهم كما يتعارف اللصوص على كلمة السر أما الكثرة العظمى منهم فقد ثارت على هذا « النفاق الدينى » وآثرت أن تبقى بعيدة عنه ولم تر أى حرج فى أن تعيش مجاهرة بالحادها معلنة حقيقة طواياها ــ والحياة التى تجاهر بعداوتها للأديان صحيحها وزائفها ليست وليدة هــذا العصر بل هى متغلغلة فى القدم « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » ولكننا لا نظن هذا النوع السافل من الحياة صادف الشيوع الذى وجده فى القارتين المسيحيتين . وجدير بنا أن نطلق اسم « الصابئــة » على هؤلاء الذين ارتضوا الحياة الدنيا فحسب أقصى نهايات آلامهم وآمالهم ونظموا شؤونهم وصلاتهم ومشروعاتهم على ذلك الاساس . وفى الوضع اللغوى والاستعمال العرفى ما يبرر هذا الاطلاق . . ولقد شهدت أوربا معركة عنيفة بين المسيحيين والصابئة منذ قرون تحت ستار النزاع بين العلم والدين وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للمسيحية كانت بدء تقوض النظام الكنسى وانهيار سلطانه . ومن يومئــذ لبس الصابئون ثياب العلماء وتقدموا فى ميادين العلوم الطبيعية تقدماً مشهوداً وقبع القساوسة فى الاديار لا يستطيعون مطلقا المساهمة فى الحياة العامة بنصيب طائل ذلك أن العالم أنكر عليهم أكثر من معيشة الانزواء والوحدة والاعتزال ولا ريب أن الصابئة هم رسل الحضارة الحديثة ومناصروها وقادة العالم

بها إلى سوء المصير تلك الحضارة الغربية التي لم يعرف الدنيا شراً منها فلقد كان خيرا للناس أن يعيشوا في أكواخ تضاء بمشاعل الزيت وهم أطهار أبرار من أن تفرقهم أضواء الكهرباء بين المسارح الضخمة والمراقص الفخمة . ولكان خيرا للناس أن يسيروا على الارض وهم أشراف من أن يطيروا في الهواء وهم لصوص ولكان خيراً للناس أن تستغرق أسفارهم الشهور الطويلة يقطعون مراحلها على أرجلهم أو على دوابهم وهم قانعون راضون من أن يستخدموا هذه السيارات وغيرها من وسائل النقل وهم على اتصالهم الميسور تقطع بهم المطامع وتباعد بينهم شر بعد

تلك لمحة عن حال الصابئة وهم — كما ينبغي أن نعتقد — أخطر أعداء الاسلام وأشدهم شكيمة وليس بنافع في تطهير الارض منهم الا جهاد تتمثل فيه عظمة الثورة الاسلامية الاولى وبطولتها وجراءتها وإذا كانت النفوس غير المسلمة كما وصفنا مهما تقطع أمرها شيعا ومهما تفرقت سبلها شروداً لا تزال آصرة تربط بين شيعها وسمة تجمع بين طرائقها هي آصرة الضلال المشترك وسمة البطلان البعيد أو هي كما قدمنا أول البحث هذا الركام الكثيف من الغرائز المرسلة والنزعات المشبوبة والشهوات الجامحة فان في هـــذا خير تفسير للاضطراب الاجتماعي والسياسي الذي نشهد انقلاباته في أوربا دائما والثورات البيضاء والسوداء والحمراء التي تهز كيانها حينا بعد حين .

كلية أصول الدين محمد الغزالي

مشكلة المرأة في مصر

ورد علينا هذا الخطاب من حضرة كاتبه الفاضل . ولأهمية الموضوع سنوالى الكتابة فيه ابتداء من العدد القادم ءان شا الله

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — أما بعد

فلقد سرّنا وسر المسلمين كثيراً أن توليتم اصدار مجلة المنار بعد أن توقفت حيناً بوفاة منشئها المرحوم السيد محمد رشيد رضا . ولا مشاحة فى أنه لا غنى للمسلمين عن هذه المجلة التي ناضلت أعظم نضال عن دين الله تعالى وأزاحت عن وجهه المنير حجبا كثيفة من بدع وخرافات وأوهام وجهالات وتقاليد وعادات لا تمت به بصلة قريبة أو بعيدة . واعادة اصدارها على يد فضيلتكم جعلنا نرقب عودة ذلك العهد الذى ازدهرت فيه أيما آزدهار ، فجزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

والآن أوجه نظر فضيلتكم الى مسألة اجتماعية خطيرة أصاب منها المسلمين شر عظيم ، تلك هي : علاقة الرجل بالمرأة . فلقد ترتب على جهل الكثيرين من كل من الجنسين حقوقه وواجباته قبل الاخر أن وقعنا فى هذه الفوضى التي كادت تقضي على كيان الاسر وتوقع البلاد فى شر مستطير . ومن لا يبكي ويتحسر عند ما يرى بوجه عام الرجال يقضون أوقات فراغهم فى المقاهي وفى غشيان أمكنة اللهو والفجور

وقد هجروا منازلهم فلا يكادون يعودون اليها الا للنوم ، والنساء وقد أطلقن لأنفسهن العنان فى ابداء زينتهن للرجال الاجانب فلا حجاب ولا حياء وقد نسين واجباتهن نحو أزواجهن وأولادهن وبيوتهن وصار القول قولهن في كل شيء والامر أمرهن ، قد يكون لكثير من الرجال والنساء بعض العذر لجهلهم أو امر دينهم خصوصا وقد انتشرت بين الناس آراء وأفكار فى علاقة الرجل بالمرأة صادرة عن الملحدين ينكرها الدين ويمجها العقل السليم .

فأنا أدعوكم باسم الدين أن تبينوا للناس فى أول عدد يصدر من مجلة المنار الغراء واجبات كل من الرجل والمرأة قبل الاخر وحقوق كل منها بيانا تفصيليا لا لبس فيه ولا خفاء . وبذلك تكونون أصبتم غرضين . أحدهما وضع حد للملحدين من هذه الناحية الدقيقة والوقوف فى تيار دعايتهم الذى كاد يجرف الاخلاق والدين، وثانيهما تعريف المستعدين للاصلاح بواجبات دينهم واقامة الحجة على الاخرين .

إن الامر جد خطير، ومن أحق من فضيلتكم وقد تصديتم للدعوة الى الدين من بيان أوامر الله ورسوله فى علاقة كل من الرجل والمرأة بالاخر فقد ضج العقلاء بالشكوى من هذه الحال ولا مجيب واستفحل الداء ولا طبيب، وعسى أن يساعد هذا البيان العقول والقلوب على حل مشكلة احجام الشبان عن الزواج والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

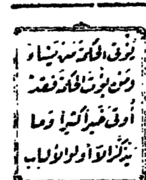
والسلام عليكم ورحمة الله . محمد المهدى

موظف متقاعد ـ شارع مدرسة ولى العهد بالعباسية

(الجـــزء الثامن)   (المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

ربيع الثاني سنة ١٣٥٩هـ   مايو سنة ١٩٤٠ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

« وَإِنْ تَعجبْ فَعجبٌ قولهم أَئذا كنا تراباً أَئنا لفي خلق جديد . أولئكَ الذينَ كفروا بربهم وأولئك الأغلالُ في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » الآية .

بعد ذكر العقيدة الأولى وهي عقيدة التوحيد ومعرفة الصانع جل وعلا ، وإفاضة القول فيها وذكر الدلائل الكونية لذوي اليقين والفكر والتعقل على وجود الباريء سبحانه تناولت الآيات العقيدة الثابتة من أصول العقائد ، وهي عقيدة المعاد والبعث بعد الموت فذكرت الآية

أن هؤلاء الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ يستغربون هذه الاعادة بعد التحلل ؛ ويرونها أمراً عجبا مع أن العجيب حقا هو اعتقادهم هذا مع وضوح الدلائل عليه ونهوض البراهين المثبتة له فقال تعـــــالى

« وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد »

أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن في قوله تعـالى « وإن تعجب فعجب قولهم » قال إن تعجب يامحمد عن تكذيبهم إياك فعجب قولهم . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن زيد في الآية قال إن تعجب يا محمد من تكذيبهم وهم رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الامثال وأراهم من حياة الموتى والارض الميتـة « فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جـديد » أولا يرون أنه خلقهم من نطفة ، فالخلق من نطفة أشد من الخلق من تراب وعظام

ولك أن تقول وإن يكن شيء يستحق العجب فهو هذا القول منهم بعد وضوح الدلائل والبراهين على قدرة الله تبارك وتعالى لهم ، وتكرير الاستفهام في قوله أئذا كنا . وأئذا فيه إشعار بشدة استغرابهم لهـذا المعـاد واستبعادهم إياه ، وهذا مما يضاعف العجب من جمودهم هذا . وفي التعبـير بالتراب بدلا من الموت وبالخلق الجديد بدلا من الاعادة تصوير دقيق لشدة استمساكهم بهـذا الجحود وعدم تصورهم إمكان البعث بعد الموت

ثم وضحت الآية الكريمة سر ذلك الجحود وسببه فقال تبارك وتعالى

« أولئك الذين كفروا بربهم » فالسبب الاول لجحودهم البعث هو كفرهم بالله تبارك وتعالى وعدم تقديرهم عظمته وجليل قدرته فلو علموا أن قدرته تبارك وتعالى فوق التقيد بالاسباب والوسائط العادية وأنه ما شاء فعل « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » لهان عليهم الخطب ولوجدوا أن هذا المعاد أمر داخل فى حيز القدرة لا غرابة له ولا مشقة « ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذ أنتم تخرجون . وله من فى السموات والارض كل له قانتون » ولكنهم لما كفروا بالله وظنوا عدم القدرة أو عدم كمالها أو انكار العلم أو انكار كماله أو انكار الصدق الى غير ذلك من صفات الكمال التى يتصف بها البارى جل وعلا لما كانت عقيدتهم فى ربهم هكذا صعب عليهم أن يتصوروا سهولة الاعادة بعد الموت .

« وأولئك الاغلال فى أعناقهم » وسبب آخر هو هذا الجمود الذى استولى عليهم فلم يطلقوا لعقولهم عنان الفكرة ولم يتأملوا فيما بين أيديهم وما خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم من دلائل القدرة ورضوا بالتقليد الاعمى لاسلافهم وآبائهم وجمدوا على ماورثوا من فاسد عقائدهم لما وضعوا فى أعناقهم هذه القيود والاغلال من التقليد والجمود لم يكن لهم مجال الى ادراك الحقيقة الواضحة حقيقة الايمان بالمعاد والتسليم بالبعث والنشور فتكون الآية على ذلك كناية عن الجمود والتقليد المانع عن ادراك الحق وتعرف أصوله وقواعده وبنحو هذا قال الاصم

وتؤيده الايه الكريمة في سورة يس « انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون » قال أبو عبيدة هو مثل ضربه الله لهم في في امتناعهم عن الهدى كامتناع المغلول وقال الشاعر « لهم عن الرشد أغلال وأقياد » ولا ريب في أن الجمود أشد ما يبعد الناس عن ادراك الحقائق

وذهب جمهور المفسرين الى أن الآية على ظاهرها وأنها وعيد لهؤلاء الجاحدين على جحودهم وتصوير لحالهم يوم القيامة . وبيان لما ينتظرهم من عذاب فهو من قبيل قوله تعالى : « اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون » الآيات ثم بينت الآية بعد ذلك جزاءهم على هذا الجحود فقال تبارك وتعالى :

« وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » فهؤلاء الجاحدون للمعاد المكذبون بالبعث سيذوقون النار ويخلدون فيها ، وهذا هو العقاب الطبيعي لهم فمن جحد المعاد وكذب بالجزاء جوزي بما كذب به حتى يعلم أحقية الخبر وصدق المخبر « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون »

الاسلام والمعاد

جاء الاسلام الحنيف يقرر أن للناس حياة بعد هذه الحياة الدنيا هي الدار الآخرة وأنها الدار الباقية حقا الكاملة النعيم الشديدة العذاب

كذلك . وأن الناس يبعثون من قبورهم بعد الموت ليحاسبهم الله على ماقدموا من الاعمال « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وأن هذا البعث سيكون للاجسام وللأرواح جميعاً وأن هذا النعيم أو العذاب حسى ومعنوى معاً وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ناطقة بذلك كله على وجه لا يحمل التأويل ولا التعطيل. وقد سلك القرآن فى تقرير هذه العقيدة ورد الشبهات عنها وتصوير ما يكون من شأن القيامة وأهوالها وذكر المناظرات بين أهل الطاعة وأهل العصيان فيها وبيان الغاية منها والاستدلال على ذلك كله تارة بعجائب صنع القدرة الالهية وأخرى بالمشاهد الكونية من الايجاد بعد الاعدام وغرائب حياة الجنين والنبات ولفت الانظار الى ابتداء الخلق على غير مثال والاعادة أهون من الابتداء وأنت ترى ذلك كله منثوراً فى ثنايا كتاب الله تبارك وتعالى .وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

واليك بعض هذه الايات البينات

(١) فى سورة الاسراء « وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم فيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا » الآيات

٤٩ـ ٥٢ وفيها الاستدلال على البعث بسهولة الخلق الاول .

(٢) فى سورة الحج « ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا . وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » الايات ٥ـ٦ وفيها الاستدلال على البعث بأطوار خلق الانسان فى بطن أمه وأطوار حياة النبات فى الارض بهذا الأسلوب المعجز الرائع

(٣) فى سورة المؤمنون « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون . ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » الايات ١٢ — ٢١

وفيها الاستدلال على البعث بغرابة أطوار خلق الانسان وعجائب قدرة الله تبارك وتعالى على ابداع سواه من المخلوقات

(٤) وفى سورة يس « أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » الايات ٧٧ - ٨٣ . وفيها ملخص أدلة البعث التى تدور فى القرآن الكريم ففيها الاستدلال بالانشاء الاول وبعجائب قدرة الله تبارك وتعالى . وخلق الانسان من من النطفة والمشابهة بين المخلوقات فى الايجاد فمن أوجد هذا الخلق فهو على مثله قادر ثم بتتويج ذلك كله بذكر اتصاف البارى جل وعلا بالخلق والابداع وعلم ذلك علما لا جهالة معه ولا صعوبة فى شيء أمامه « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »

(٥) وفى سورة ق « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الارض وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا

فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات له طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » الايات ١ — ١١

وفيها الاستدلال بعجائب هذا الخلق وما فيه من تحليل وتركيب وإبداع وتصوير على سهولة اعادة الموتى من تراب وفيها كذلك الرد على شبهة تداخل الاجساد بعضها فى بعض بالتحلل والنبات . فهذه الاية الكريمة تبين أن ما تنقصه الارض من أجساد الموتى معلوم عند الله تبارك وتعالى ثابت فى كتاب حفيظ . فاذا جاء وقت البعث وجدت الاجساد الذاهبة من مادتها الاصلية على النحو الاول مادة وصورة وكما وكيفا فلا تغيير ولا تبديل

وفي سورة الواقعة اجمال رائع لأدلة البعث فى القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى « وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون » هذه أقوالهم وتلك مذاهبهم وقد جاء القرآن يقرر هذه الحقيقة الآتية « قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » ويتوعد من كذب بها أشد الوعيد « ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين » ثم أخذ يورد البراهين الدالة على صدق البعث والنشور ووقوعه فاستدل بخلقهم أنفسهم « نحن خلقناكم فلولا تصدقون » ثم لفت أنظارهم الى عجائب ما فى النطفة ، وذلك أن الماء المنوى يحتوى على مئات الملايين

من العلقات التى تصلح كل منها لايجاد رجل اذا التقت ببويضة اللقاح
حتى قيل ان المليمتر المربع من ماء الرجل يحتوى على نحو مليون من
هذه العلقات فكم فى قذفة واحدة من ماء الرجل من أناس لو كانوا
يعقلون . لفتهم القرآن الى هذا فقال (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه
أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن
نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون) ثم لفت نظرهم كذلك الى
الخلق الاول ، ثم الى عجائب النبات ثم الى خلق الماء والماء بيئة الحياة
الاولى ، ثم الى عجيبة العجائب وهى كون النار فى الشجر الذى لا ينبت
بغير الماء ومن يستطيع أن يوجد من عنصر الاوكسيجين نارا وماء فيكون
قوامهما وهما ضدان لا يلتقيان يستطيع أن يوجد الموتى بعد التحلل
ويعيدهم الى سيرتهم من الحياة فذلك قوله تعالى (ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون ، أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن
الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن
محرومون ، أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم
نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ، أفرأيتم النار
التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها
تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) الايات ٤٧ — ٧٤

(٧) وفى سورة الزمر (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم
تمت فى منامها فيمسك التى قضى الله الموت ويرسل الاخرى الى أجل

مسمى إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون) الاية ٤٢ وفيها الاشارة الى أن البعث يقظة كبرى كما أن الموت نوم أكبر ونحن نرى كل يوم وليلة بعثا وموتا جزئيين لهذه الكائنات الحية

وفى القرآن الكريم كثير من الايات المطهرة تؤكد هذه المعانى وتوضحها وفيما أوردنا بلاغ والحمدلله

وقد جاءت السنة المطهرة مبينة وموضحة وشارحة لما جاء فى هذه الايات المطهرة ، ولقد استدل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبارة وجيزة بليغة بكثير من البراهين التى مرت فى الايات الكريمة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لقريش فى أول خطبة أعلن بها دعوته (حمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس ماكذبتكم ولو غررت الناس ماغررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم حقا والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها للجنة أبدا أو النار أبدا وانكم لاول من أنذر بين يدى عذاب شديد) وروى أحمد ورزين بسندهما عن أبى رزين العقيلى ، قال قلت يارسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك قال أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتزخضرا قلت نعم . قال فتلك آية الله فى خلقه كذلك يحيى الله الموتى)

بهذا الاسلوب البديع ية . و القرآن الكريم والسنة المطهرة عقيدة

البعث فى نفوس الناس وهى أمر مركوز فى هذه النفوس مستقر فيها لا يحجبها عن التسليم به والاذعان له الا هوى جامح أو شهوة غالبة أو مادية كثيفة أو خبل فى التصور والادراك ، وما أحسن ما قرره الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد في هذا المعني اذ يقول (اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين، وفلاسفة إلا قليلا لا يقام لهم وزن على أن لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وأنها لا تموت موت فناء وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وإن اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه . . . هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث فى جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها وإنسيها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن أن يعد ضلة عقلية أو نزعة وهمية وإنما هو الهام من الالهامات التى اختص بها هذا النوع .

قد الهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان فى الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حيا باقيا فى طور آخر وإن لم يدرك كنهه، ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء » اه

وثم برهان آخر غير هذا البرهان الفطرى ألفتك اليه وأوجه نظرك نحوه ذلك ان نظام هذا الكون ومافيه ومنزلة الانسان منه يدلك أوضح الدلالة على أن هذه الحياة القصيرة الامد التى تحسب بأعوام قلائل مهما

طالت فهي مدة محدودة وفترة معدودة لا تتناسب أبدا مع الحكمة فى تكوين هذا الانسان وابداعه هذا الابداع وتمييزه بهذا العقل المفكر والفكر المدبر الذى سخر انه له ما فى السموات وما فى الارض جميعا فاذا انتهت سعادة الحيوان بحصوله على مطالب جسمه وانتهت سعادة النبات ببلوغه حد نموه فان نفس هذا الانسان قد خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجات من الكمال لا تحددها أطراف المراتب والغايات ومن كان كذلك لا يصح أن يكون بقاؤه قاصرا على أيام أو سنين معدودات وتأمل سر ذلك الخالق فى قول الله تبارك وتعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)

والقول بأن بعث الاجساد بعد فنائها أمر يصطدم بنواميس الكون المقررة ولا يتفق مع المشاهدة كلام سقيم لا حجة عليه ولا برهان معه .

فهذه النواميس نفسها تدعم ذلك المعنى وتدل عليه ومتى كانت النواميس الكونية تتحكم فى القدرة الالهية والله غالب على أمره ومن ذا الذى يستطيع أن يدعي العلم بكل النواميس حتى يحكم بمخالفة هذا الشيء لها أو موافقته اياها . ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم أن نواميس المادة وقواعدها تطبق على عالم غير عالمها ونظام لا يتصل

بنظمها . ونحن نرى من عجائب الظواهر الروحية في عالمنا هذا ما لا يقضى منه العجب ، وأين هؤلاء الجامدون على نواميس المادة وقوانينها مما يفعل فقراء الهند .

وما أبدع الاشارة الى هذه المعاني في قصة أهل الكهف (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها)

وفي قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، وفي قصة ابراهيم إذ قال « رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم »

الشيخ محمد فاضل رحمه الله

أخ من كرام الاخوان وفاضل حقا يندر مثله في أهل هذا الزمان لم يكن عظيم الثروة في المال ولكنه كان غني النفس واضح معالم الكمال ولم يكن من العلماء الرسميين ولكنه من الاتقياء الربانيين . كان سليم العقيدة طاهر القلب صافي النفس غيور على دين الله أشد الغيرة محبا للمنار حريصاً على اقتنائها وإذاعتها والدعوة إليها وعرف الاخوان المسلمين فلم يتردد في السير معهم والاعجاب بمسلكهم وأغرم بهذا المسلك وآمن بصلاحيته فسرعان ما تبدلت تبعاً لذلك كل شئون حياته فأصبح خلقه إخوانيا وبيته إخوانيا وجهاده إخوانيا وتفكيره إخوانيا واصطبغ بدعوة الاخوان في كل شيء وما دعوة الاخوان إلا صدى الدعوة الأولى والحمد لله

فقدنا الشيخ محمد فاضل وهو حبيب الينا أثير عند كل من عرفه فشعرنا بفراغه العظيم من بعده ونسأل الله له الرحمة الواسعة والدرجة العالية وأن يسكنه فسيح الجنة وأن يلهمنا الصبر عليه ويبارك في نجله محمداً ويجعل فيه العوض عن أبيه آمين .

المرأة المسلمة

كتب الى كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل وموقف الرجل منها ، ورأى الاسلام فى ذلك وحث الناس على التمسك به والنزول على حكمه .

لست أجهل أهمية الكتابة فى موضوع كهذا ولا أهمية انتظام شأن المرأة فى الامة ، فالمرأة نصف الشعب بل هى النصف الذى يؤثر فى حياته أبلغ التأثير لانه المدرسة الاولى التى تكون الاجيال وتصوغ الناشئة ، وعلى الصورة التى يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الامه وهى بعد ذلك المؤثر الاول فى حياة الشباب والرجال على السواء

لست أجهل كل هذا ولم يهمله الاسلام الحنيف وهو الذى جاء نورا وهدى للناس ينظم لهم كل شئون الحياة على أدق النظم وأفضل القواعد والنواميس أجل لم يهمل الاسلام كل هذا ، ولم يدع الناس يهيمون فيه فى كل واد بل بين لهم الامر بيانا لايدع زيادة لمستزيد .

وليس المهم فى الحقيقة أن نعرف رأى الاسلام فى المرأة والرجل وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر فذلك أمر يكاد يكون معروفا لكل الناس ولكن المهم أن نسأل أنفسنا هل نحن مستعدون للنزول على حكم الاسلام ؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الاسلامية تغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الاوربى والانغماس فيه الى الاذقان

ولا يكفى بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس فى التقليد بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الاسلام وفق هذه الاهواء الغربية والنظم الاوربية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالا سيئا يخرجها عن ... تها الاسلامية إخراجا كاملا ويحملها نظما أخرى لا تتصل به بحال من

الاحوال ويهملون كل الاهمال روح التشريع الاسلامى وكثيرا من النصوص التى لا تتفق مع أهوائهم .

هذا خطر مضاعف فى الحقيقة فهم لم يكفهم أن يخالفوا حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة ويصبغوها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يوما من الايام .

فالمهم الآن أن ننظر إلى الاحكام الاسلامية نظرا خاليا من الهوى وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه وبخاصة فى هذا الامر الذى يعتبر أساسيا وحيويا فى نهضتنا الحاضرة .

وعلى هذا الاساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الاسلام فى هذه الناحية .

أولا — الاسلام رفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل فى الحقوق والواجبات وهذه قضية مفروغ منها تقريبا ، فالاسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختا للرجل وشريكة له فى حياته هى منه وهو منها « بعضكم من بعض » وقد اعترف الاسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضا وعاملها على أنها إنسان كامل الانسانية له حق وعليه واجب يشكر إذا أدى واجباته ويجب أن تصل اليه حقوقه والقرآن والاحاديث فياضة بالنصوص التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه

ثانيا — التفريق بين الرجل والمرأة فى الحقوق إنما جاء تبعا للفوارق الطبيعية التى لا مناص منها بين الرجل والمرأة . وتبعاً لاختلاف المهمة التى يقوم بها كل منهما وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما .

وقد يقال ان الاسلام فرق بين الرجل والمرأة فى كثير من الظروف والاحوال ولم يسو بينهما تسوية كاملة ، وذلك صحيح ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ انه ان انتقص من حق المرأة شيئا فى ناحية فانه قد عوضها خيرا منه

فى ناحية أخرى . أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وبخيرها قبل أن يكون لشيء آخر . وهل يستطيع أحد كائنا من كان أن يدعى أن تكوين المرأة الجسمانى والروحى كتكوين الرجل سواء بسواء . وهل يستطيع أحد كائنا من كان أن يدعى أن الدور الذى يجب أن تقوم به المرأة فى الحياة هو الدور الذى يجب أن يقوم به الرجل ما دمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة .

أعتقد أن التكوينين مختلفين وأن المهمتين مختلفتين كذلك وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافا فى نظم الحياة المتصلة بكل منهما وهذا هو سر ما جاء فى الاسلام من فوارق بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات .

(٣) بين المرأة والرجل تجاذب فطرى قوى هو الاساس الأول للعلاقة بينهما وإن الغاية منه قبل ان تكون المتعة وما اليها هى التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة .

وقد أشار الاسلام إلى هذا الميل النفسانى وزكاه وصرفه عن المعنى الحيوانى أجل الصرف إلى معنى روحى يعظم غايته ويوضح المقصود منه ويسمو به عن صورة الاستمتاع البحت الى صورة التعاون التام ولنسمع قول الله تبارك وتعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

وعلى ضوء هذه الاصول الثابتة ننظر الى ما وضع الاسلام من نظم وطرائق

يتبع حسن البنا

احتجاب المنار

تأخر صدور المنار عن موعده هذه الشهور الماضية لأسباب رسمية كانت بيننا وبين وزارة الداخلية المصرية ، وقد زالت والحمد لله ، وها هى المنار تعود إلى الظهور لتقوم بواجبها فى ميدان الدفاع عن الاسلام الحنيف والدعوة اليه

ولغلو الورق غلواً عظيما وصل إلى أكثر من الضعف اضطررنا الى جعل المدد ثمانية وأربعين صفحة بدلا من ثمانين ونحن نأسف لهذا أسفا شديدا ولكن للضرورة حكمها

وسيصدر العدد التاسع ان شاء الله فى أوائل شهر جمادى الأولى والعاشر فى أوائل جمادى الثانية بحول الله وقوته ، وبذلك يتم المجلد الخامس والثلاثون ويبدأ السادس والثلاثون والله الموفق والمستعان

فتاوى المنار

نقدم في هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل بأن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بحروف و يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

حضرة المحترم رئيس تحرير المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعد » فأرجو التكرم بإيضاح معنى خطيئة آدم عليه السلام وكيف يوسوس إليه الشيطان ؟ وكيف يتفق ذلك مع العصمة مع بيان توبته ، وهل ما يقال من أنه أمر فى الباطن ونهى فى الظاهر صحيح ؟ وهل جاءت هذه القصة فى القرءان على سبيل التمثيل كما قال بعض المفسرين وما معنى التمثيل عند من قال به أفيدونا أثابكم الله وغفر لنا ولكم .

محمود عسكر
معلم بطلجا بنها قليوبية

والجـــــواب والله أعلم

قص الله علينا فى القرآن الكريم قصة ادم عليه السلام ، وأنه خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه وأسكنه هو وزوجته الجنة ، ثم أمره ألا يأكل من الشجرة « وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فوسوس لهما الشيطان وخدعهما وأقسم لهما إنه لمن الناصحين . فاغترا بنصيحته ، ونسي آدم ما عهد به إليه ربه ، فأكلا من الشجرة مع تحذير الله إياه من إبليس وجنوده ، ثم علما ما كان من أمرهما فندما وألهمها الله تبارك وتعالى صيغة التوبة فقالا : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » فقبل الله توبتهما ولم يؤاخذهما على هذا العصيان إلا بأن أنزلهما إلى الأرض حيث استعمراها ونسلا فيها ، ولستمرت الحرب سجالا

بين ذريتهما وبين الشيطان إلى يوم يبعثون . فمن تبع الشيطان فهو من الآثمين المعذبين . ومن حذره وخالفه فهو من المهتدين الناجين وسيبرأ هذا الشيطان من أتباعه يوم الدين ، ويكون بينه وبينهم ماقصه الله علينا من نبأه فى سورة إبراهيم « وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم . وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » هذا مجمل ما قصه الله علينا فى القرءان الكريم فى مواضع عدة ومنه تعلم

(١) ان خطيئة آدم عليه السلام هى حسن ظنه بوسوسة إبليس حتى أكل من الشجرة

(٢) وأن توبته إنما كانت بإلهام الله تبارك وتعالى إياه أن يدعوه بما جاء فى الآية الكريمة فى سورة الاعراف « قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وقدكان عن هذه التوبة أن غفر الله له وتاب عليه كما قال تبارك وتعالى « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » سورة طه

أما كيف يوسوس له إبليس فذلك لأن قبول النفس البشرية للوسوسة أمر جبلى خلقى فيها والوسوسة تصل الى النفس الانسانية وإن كان الشيطان بعيداً عنها كما يصل الصوت البعيد على تموجات الهواء أو ما هو أرق منه ولهذا لا تقدح الوسوسة نفسها فى العصمة فكل بنى آدم قابلون لها معرضون اليها بأصل الخلقة وإنما يعصم عن ذلك من عصم منهم برعاية إلهية وحفظ ربانى من الله تبارك وتعالى مع حسن الاحتراز ودوام اليقظة والبصر وسد مداخل الشيطان إلى القلب وتضييق مجاريه وشغل القلب بذكر الله تبارك وتعالى « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » على أنه قد ورد ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم

ولا مانع من أن يكون إبليس قد دخل الجنة بعد أن طردمنها مخالفا بهذا الدخول أمر الله تبارك وتعالى عاصياً له وما زال يزين له الأكل من الشجرة « ويمنيه في النروة والغارب ويمنيه بمعسول الأماني ويرقيه بالقول اللين حتى تمكن من نفسه وأنساه أنه عدوه الذى حذره الله منه أشد الحذر »

وأما كيف يعصي آدم وهو نبي والأنبياء معصومون من الوقوع في الذنوب فقد أجاب كثير من الناس عن ذلك بوجوه :

الأول — أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان وسمى خطيئة أو معصية وغواية لعلو منزلته وعظيم تقريب الله إياه وكبير فضله عليه وكلما قرب العبد من ربه وعلت منزلته كلما كان ذلك أدعى إلى اليقظة وتمام التذكر والانتباه

وقد صرحت الآية بلفظ النسيان ويؤيد هذا قراءة « فنُسِّيَ » بالتشديد على أن المراد فأنساه إبليس أمر الله تبارك وتعالى . وبهذا قال بعض المفسرين وان كان الجمهور على أن نسى هنا بمعنى ترك لا بمعنى سها

والثاني — أنه تأول فيما فعل بأنه فهم أن المراد بالأمر والنهي الارشاد فقط لا الالزام كما حمل الفقهاء الأمر بكتابة الدين على أنه أمر إرشاد لا أمر إيجاب ولا إثم في تركه ويرد على هـذا تصريح القرآن بالظلم المترتب علي قربان الشجرة في الاية الكريمة « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »

والثالث — أن ما حصل من الذنب صغيرة . ويرد على هذا أن القول بعدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصغائر قول مرجوح . ويرد عليه كذلك تصريح القرءان الكريم بأن هذه المخالفة عصيان وغواية ترتب عليها عقاب وتوبة وإخراج من الجنة

والرابع — أن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية . وإلى هذا ذهب أبو بكر بن فورك قال بدليل ما في آيات طه من ذكر المعصية قبل ذكر الاجتباء والهداية وهو كلام حسن لولا أن ورود الأمر والنهي من الله

تبارك وتعالى لادم بدون واسطة من أمارات النبوة ودلالاتها وقد كان ذلك قبل الأكل قطعا ، ومن جهة أخرى فان النفس أميل الى أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من المعصية على كل حال وان لم يكن ذلك رأى جمهور علماء العقائد وان لم ينعقد الاجماع إلا على العصمة بعد النبوة

والخامس — أن الله تبارك وتعالى أمر آدم بعدم الأكل من شجرة وأراه إياها فظن آدم أنه منهي عن هذه الشجرة بعينها لا بجنسها فأكل من شجرة أخرى من جنسها ولم يأكل من التي أنصب عليها النهي بالذات ، وهذا تأويل حسن وإن كان عليه مسحة التحايل

وهناك تصوير تطمئن اليه النفس وذلك أن يقال إن حقيقة المعصية مخالفة أمر الله تبارك وتعالى قصدا وحقيقة الطاعة هي امتثال أمر الله تبارك وتعالى وقصدا كذلك ، فمناط المؤاخذة أو المثوبة في الطاعة والمعصية النية والقصد مصداق قوله تبارك وتعالى « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »

ولا شك أن آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة لم يكن يضمر معنى المخالفة ولم يكن يسر نية العصيان بل لعله كان يتحرى بذلك المبالغة في طاعة الله تبارك وتعالى بأنه سيصير ملكا خالدا دائم الطاعة والعبادة لربه ، وقد خدعه قسم ابليس له ، فآخذه الله بهذا الانخداع مع سابق التحذير والى هذا المعنى أشار ابن قتيبة فقال أكل ابليس من الشجرة التي نهي عنها باستزلال ابليس وخدائعه اياه والقسم له بالله إنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ، ولم يكن ذلك عن اعتقاد متقدم ونية صحيحة ، ويؤيد ذلك أن آدم لم يتفطن إلى أنه أخطأ إلا بعد أن عاتبه ربه كما قالت الآية الكريمة « وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » وحينئذ ألهمهما التوبة فجأرا إلى الله تبارك وتعالى « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وهذا المعنى واضح مفهوم في سياق الآيات كلها تقريبا .

وقد آخذه الله على هذا التأثر بوسوسة الشيطان وخدعه مؤاخذة شديدة حتى تاب عليه على حد القاعدة المعروفة حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وما يقال من أنه أمر فى الباطن ونهى فى الظاهر كلام مردود ولا دليل عليه والأخذ به هدم للتكاليف فى الحقيقة ، وقد جاء فى كلام بعض الصوفية شىء من هذا فى التفريق بين معصية الولى والفاسق ، وأفضل ما قالوه فى ذلك إن الولى لا يقصد المعصية ولا يفرح بها ولا يصر عليها ، وهذا كلام لا غبار عليه وأما ما زاد عليه فغلو لم يقم عليه دليل .

وأما القول بأن هذه القصة وردت فى القرآن الكريم على سبيل التمثيل فهو قول مردود كذلك - والآيات الكريمة صريحة فيما وردت له لا تحتمل التأويل ، وإذا جاز لنا أن نتأول هذه الآيات مع صراحتها ووضوحها ، فقد صار ذلك ذريعة للخروج بالقرآن كله عن معانيه الواضحة ، وهذا مذهب لا يدع من نحلة الباطنية شيئاً - وليس هناك ما يقتضى العدول عن الظاهر

وقد ادعى بعض المتعلمين الذين تشربت نفوسهم المعارف والعلوم الفرنجية أن ظاهر هذه الآيات يصطدم بالنظريات العلمية الحديثة التى جاء بها « داروين » وأمثاله من علماء الحيوان والبحث فى أصل الأنواع ، وهذا كلام لا تدقيق فيه ودعوى لا صحة لها فان داروين نفسه لم يدع أن الانسان فرع عن غيره من الحيوان سواء أكان هذا الحيوان قرداً أم غيره -

كان داروين يدرك تمام الادراك أن نظريته لا تفسر وجود الأنواع تفسيراً نهائياً يثلج الصدر ويعترف بأن هناك عوامل خفية لا يعرفها اشتركت مع ناموس الانتخاب الطبيعى فى تنويع الاحياء فقد قال فى كتابه أصل الأنواع « أنا مقتنع بأن ناموس الانتخاب الطبيعى كان العامل الرئيسى لحدوث التنوعات فى الأنواع ولكنه لم يكن العامل الوحيد فى احداث ذلك التغير » فهو هنا يشير إلى أمرين

هامين الأول أن ناموس الانتخاب الطبيعي في رأيه السبب الرئيسي لحدوث التنوعات في الأنواع لا في حدوث الأنواع نفسها ، والثاني أنه ليس الناموس الوحيد في ذلك . وقد كتب داروين إلى المسترهيات يقول له « اسمح لي بأن أضيف الى هذا بأني لست من قلة العقل بحيث اتصور بأن نجاحي يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع» فأين هذا من غلو قليلي العقول من جامدي مقلدة الفرنجة ؟ على أن هذا ليس كل ما في الأمر ، فقد ذهب كثير من العلماء الغربيين يخطئون نظرية داروين تخطئة تامة وينقضونها من أساسها ويؤلفون في ذلك الكتب الضافية ويدللون على ذلك بأدلة عليه يعتقدون صحتها كل الاعتقاد واليك بعض الشواهد من كلام هؤلاء الناس أنفسهم .

(١) قال الاستاذفون بار الالماني وهو من أقطاب الفزيولوجيين والحفريين والبيولوجيين وأستاذ علم الأمير يولوجيا «علم الاجنة » في كتاب أسماه « دحض المذهب الداروني » بالنص « إن الرأي القائل بأن النوع الانساني متولد من القردة السباتية هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان وجدير بأن ينقل إلى أخلافنا جميع الحماقات الانسانية مطبوعة بطابع جديد ، يستحيل أن يقوم دليل هذا الرأي »

(٢) وقال الاستاذ فيركو الالماني موافقا الاستاذ دوكاترفاج الفرنسي في كتابه النوع الانساني بالنص « يجب على أن أعلن بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الانتروبولوجيا « علم التاريخ الطبيعي للانسان » السابقة على التاريخ تجعل القرابة المزعومة بين الانسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئاً فشيئاً فاذا درسنا الانسان الحفري في العهد الرابع وهو الذي يجب أن يكون الانسان فيه أقرب إلى أسلافه نجد إنساناً مشابها لنا كل الشبه فان جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا يؤلفون مجتمعاً محترماً

للغاية وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبر الكثير من معاصرينا أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثله . وإذا قابلنا مجموع الرجال الحفريين الذين نعرفهم الآن بما نراه فى أيامنا هذه استطعنا أن نؤكد بكل جرأة بأن الأشخاص ناقصى الخلقة هم بين الرجال العصريين أكثر منهم بين الرجال الحفريين ولا أتجاسر أن أفترض بأننا فى اكتشافاتنا الحفرية لم نصادف غير أصحاب القرائح السامية من أهل العهد الرابع والعادة أننا نستنتج من تركيب هيكل عظمى حضرى تركيب معاصريه الذين عاشوا معه فى وقت واحد ، ومهما كان الأمر فيجب على أن أقول بأنه لم توجد قط جمجمة قرد تقرب حقيقة من جمجمة الانسان . . على أنه يوجد بين الانسان والقرد خط انفصال نهائى آخر . فاننا لا نستطيع فقط أن نعلم الناس بأن الانسان يتولد من القرد أو من أى حيوان آخر بل لا نستطيع أن نعتبر ذلك من الأمور العلمية »

(٣) وقال الأستاذ ايلى دوسيون من العلماء الفزيولوجيين عن مذهب داروين فى كتابه « الله والعلم » ما يأتى « بعد أن قاوم المذهب الداروني عشرين سنة تلك المكافحات الحقة التى قصده بها خصومه قضى عليه قضاء غريبا بأن يهلك تحت ضربات أشد أشياعه غيرة عليه . . ثم ذكر بعد ذلك ما كتبه هربرت سبنسر فى هدم ناموس الانتخاب الطبيعى وما كتبه « ويسمان » فى هدم ناموس انتقال الصفات والخصائص المكتسبة وقد كانا عماد مذهب داروين

هذا قليل من كثير جدا جدا من أقوال العلماء الاوربيين فى كتبهم ومجلاتهم فى نقض رأى يعتقده جامدو مقلدة الأوربيين عندنا كل شىء فى العلم الحديث ويتشدقون فى الكلام عنه والذهاب اليه ، وليس ذلك كل ما فى الأمر بل تغالى بعض العلماء الاوربيين ، فأخذ يحاول إثبات عكس هذا المذهب

فهل يحق لنا أمام كلام كهذا مهما تغالينا فى قيمته علميا فهو لم يخرج عن

أنه فرض من الفروض العلمية أن نؤول كلام العليم الخبير ونصرفه عن الظاهر إلى التأويل والتمثيل ؟

ويعجبني كلام تقدم في هذا المعنى في تفسير المنار في سورة البقرة عند قوله تبارك وتعالى « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة » جاء هناك ما نصه « كما أخطأ من قالوا إن الدليل العقلي هو الاصل فيرد اليه الدليل السمعي ويجب تأويله لاجل موافقته مطلقاً ، والحق كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : إن كلا من الدليلين إما قطعي وإما غير قطعي فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعي وجب ترجيح القطعي مطلقا ، وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول لان ما ندركه بغلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبه الظن من نظرياتنا الضئيلة التي يكثر فيها الخطأ جداً، فظواهر الآيات في خلق آدم مثلا مقدم في الاعتقاد على النظريات المخالفة لها من أقوال الباحثين في أسرار الخلق وتعليل أطواره ونظامه ما دامت ظنية لم تبلغ درجة القطع اهـ

على أنه أورد بعد ذلك وقبله كلاما طويلا في الايات. وذكر الرأي القائل بالتمثيل على أنه رأي الخلف ورأي الآخذ بالظاهر ونسبه للسلف وأكد في عدة مواضع أنه يقول بهذا الأخير. ونسبة القول بالتمثيل للخلف قول فيه نظر فمن المقصود هنا بالخلف ؟ ومن الذي قال منهم بهذا الرأي سؤالان يحتاجان إلى الجواب ؟ على أن الذي يعنينا أن نتفق على الاعتقاد بأن الايات على ظاهرها وأن القصة حقيقة واقعة كما قصها الله تبارك وتعالى علينا في كتابه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

حسن البنا

في محيط الدعوات

الكمال المزعوم ـ المذاهب العلمية السائدة ـ تقليد أعمى

— ٢ —

ولأمر ما وقف تقدم الاسلام . وانحصر النور الالهي الكريم بين أقوام لا يقدرونه ونام المسلمون في النور واستيقظ غيرهم في الظلام . ولم يكن بد لغير المسلمين من التفكير في قواعد تصح عليها أ ورهم بعد أن اتضح قصور الأديان الباطلة وعدم غنائها في هذه الشئون وبعد أن عجزت أيدى المسلمين عن التلويح بالضياء الهادى ليسترشد على شعاعه المدلجون الشاردون وابتدأ التفكير الانساني يخبط في تفهم الحقائق العليا ومدارج ارتقاء النفس فخلق المجال خلقا للفلسفة العملية . وصحيح أنه إلى غير مواطن النبوات الأولى . ينحدر تاريخ الفلسفة وينبت جذع الشجرة التي تطل الآن علينا فروعها .

وحقا انه ـ إلى غير مواطن النبوات الأولى ـ يمتد جذر الشجرة البارعة شجرة الفلسفة الحرة التي تظلل فروعها اليوم أكثر بقاع العالم وسواء أكانت هذه الأغصان لعوسجة غليظة مؤذية أم لدوحة مورقة فينانة فان ما ينبغي أن نطمئن إليه هو قلة احتمال البشر قديما بتطبيق شيء مما وصلت إليه الفلسفة البعيدة عن روح الأديان تطبيقا عاما شاملا بينما نجد اليوم ـ كأثر حقيقي لوقوف الاسلام في حدود أوطانه ـ أن بعض الآثار الفلسفية قد وجدت من الأشياع من يخلصون لها ويجاهدون لتحقيقها ويؤسسون لها الحكومات القوية وينادون بوجوب سيادتها في أنحاء العالمين ... تلك المبادىء ـ وأكثرها نبت في أودية أوربا القفرة إلا من أشواك الوثنية المسيحية ـ لها شأن عجيب ذلك انها ظهرت في بيئات أشد ما تكون حاجة إلى الحرية والانطلاق وأبعد ما تكون تأثراً بما عدا ذلك

فهي تسعى وراء ما تشعر بأن فيه طمأنينتها وسعادتها وقلما يعنيها بعدئذ أن يوصف ما تظفر به بأنه حق أو باطل منكراً ومألوف إيمان أو إلحاد وليس من شك في أن النضال الدموي المروع الذي سود وجه أوربا عصوراً له أثر بعيد في هذه الحالة

وفي هوجاء هذه الفتن الخبيثة وفي مهب أعاصيرها التي لا تكاد إلى اليوم تهدأ لها ثائرة او تؤمن لها غائلة قامت الماسونية والشيوعية والاشتراكية والديموقراطية ... وغير ذلك، ومن ثم نادى أقوام ممن ذاقوا مرارة الخصام بين المذاهب المختلفة بوجوب الاخاء بين جميع المذاهب . أو لو كان إخاء بين الحق والباطل ؟ هذا شيء لا يفكر فيه الماسون وصاح أقوام ممن عضتهم البأساء والضراء بوجوب تقسيم كل شيء على الأمة أو لو كان في ذلك الفوضى والاباحية ؟ هذا شيء يستسيغه الشيوعيون وكذلك أسس الفاشيون نظام النقابات أو دولة العمال ووضع الديمقراطيون قواعد الحريات العامة للناس – كما يقولون – ولكن هل هناك غاية يخدع بريقها المسلم في ثنايا هذا الغموض والابهام كلا إنما هو تهريج عالمي تمخض عنه حجاج العقل الانساني أثناء شروده وجحوده ولا ريب أن توفير حاجات الجسد مما تنادي به الضرورة وتكثير أسباب التنعم مما تتطلع إليه الرفاهية ثم اشباع مطامع بعض النفوس الجياشة بحب التزعم ثم ذلك التعاون في أي أشكاله بين شتى العناصر لنيل خير حياة دنيوية ممكنة — لا ريب أن كل هذا هو لباب المذاهب المتكبرة السائدة هناك والتي تحاول أن تغزو ميادين الشرق المريض بل إنها وجدت فعلا طريقها إلى بعض النفوس المنحلة في هذه الديار ولا عجب أن تلقى بعض النجاح المؤقت إذا كانت قد دعمتها الدراسات المجردة للفلسفة النفسية والخلقية هذه الفلسفة التي إدعاها علما تحرروا من قيود الأديان هزيلها وخطيرها واستقامت آراءهم على أسس من تفكيرهم الخاص و« عقولهم الباطنة » أو الباطلة

وسنناقش الآن في إيجاز أهم المسائل التي قررت في علم النفس كمنهج للسلوك البشري الفاضل ثم نقفي على أثر ذلك بتحليل كامل للمقاييس الخلقية الموضوعة

- إذ أن مر الحياة التي تسود اليوم كثيرا من الطبقات الدعية في كل شيء إنما يرتد إلى هذه المناهج المصنوعة - وسوف تقر أعين المؤمنين إلى أن الاسلام وحده منهج الحق الواضح وأنه بحسب المسلم الاعتصام بدينه ليستوى على صراط تندق دونه أعناق الشياطين « صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور » ..

يرى علماء النفس أنه لكيما يستقيم سلوك الانسان على نهج واضح ينبغي أن تكتمل عواطفه ثم تدور كلها في فلك محوره « احترام الذات » تخضع فيه استعداداته الموروثة والمكتسبة إلى كل ما يسمو بكرامته كانسان كامل . وعبارة الانسانية الكاملة وضعها أناس ينظرون للحياة خلال عدسة سفسطائية تسخر من الحقائق . وما دمنا قد وصلنا إلى اعتبار الرأى الشخصي وتقريره أساساً حراً لاكتساب الانسانية الكاملة فقد تنكبنا الحق وفقدنا معه الخير المنشود ذلك ان من الناس من يقوم ذاته على أساس إعتناقها مبدءاً ديكتاتوريا ومنهم من يقومها على أساس اعتناقها مبدءاً ديمقراطيا وكلا الرجلين قد حشد استعداداته الموروثة والمكتسبة لخدمة مذهبه وركزها عند غاية واحدة وارتضى أن يموت دونها فهل معنى هذا ان كليهما ظفر بالكمال الانساني المزعوم مع ما في نظريتهما إلى الدنيا من تناقض يؤكد بينهما الخصام بل ينشب بينهما القتال .!

على أن لنا نحن المسلمين ما نلاحظه على هذه الفلسفة النفسية التي تريد أن تخلق من أنانية الفرد مذهباً عاماً فان المسلم الذي محق ذاته في ذات الله ووزن نفسه بنصيبها من دينه يجب أن ينمى عواطفه كلها ثم يسيرها في نظام يبتدىء وينتهي عند تمجيد الله أماما يقرر لنفسه هو من احترام وتزكية فهو فضل الله يضفيه على من شاء . والمسلم الذي يستشعر في قرارة نفسه كل معاني العبودية لمولاه العلي لا يأذن أبدا لهذه النفس أن ينسب إليها مجداً أو يشار إليها بأى ضرب من ضروب الكبر المفتعل . ونحن نحارب بهذا أناسا مسنين فيهم الكافر وفيهم المؤمن المدخول العقيدة . أولئك قوم زعموا أن السمو بالنفس الانسانية مستطاع في غير جوار الله

مستطاع فى ظلال هـذه العواطف المكتملة فذهبوا يتلمسون الكمال المنشود فى مبادىء يتوارث الناس احـترامها وإكبار أصحابها حتى إذا اصطبغت نفوسهم بما وهموه من فضل ومجد راحوا يقررون لها حقوقا من التوقير والاعظام وكان لزاماً على الناس أن يتقدموا إليهم بها . ثم يستقر هذا الضلال المبين فاذا المفتونون أبعد ما يكونون عن الله . وإذا هم على ما بهم من ثقة واعتداد لا يقيم لهم الدين أى وزن ولا ينزلهم أبدا إلا فى أمكنتهم من الرغام

لهؤلاء وأضرابهم نوع من السلطان المادى والمعنوى فى هذه البلاد وهم كأقرانهم من الصابئة الغربية مثلوا الحملة على الأديان ورسالتها الكريمة فى الحياة وإذا كان ضجيج القوم قد تعالى هنا وهناك وترددت أصواتهم فى أنحاء كثيرة فما تعدو هذه الصيحات فى قيمتها نقيق الضفادع وربما أطفأت أنفاسهم اللاهثة شموع الكنائس ـ ولكنهم ولو استحالوا أعاصير ـ لن يطفئوا للاسلام مشعلا (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ولا عجب فالأمور التى توضـع ألغاما فى بنيان المسيحية المتداعى لا يمكن مطلقا أن تشعر بها دعائم الاسلام المكينة وإذا كان صابئـة الغرب قد قالوا ما قالوا فردد المقلدون الحمقى هنا ما قالوا من نظريات انفصال الدين عن السياسية وعن العلم وخرافة تآخى الأديان أو الدين لله والوطن للجميع فان مصير الفريقين سيختلف حتما وهزيمة المسيحية هناك هى هزيمة الصابئة هنا تماماً ... ولقد أدرك المسلمون حقيقة دينهم غـير منقوصة وعلموا أن دينهم كما أنه هو دين النفس هو دين الدولة بل ان الاسلام لم يتجـه للفرد من حيث انه « شخصية مستقلة منعزلة » وإنما اتجه إليه من حيث انه « وحدة من مجموعة مؤتلفة متناسقة » وإلى هذا يرجع السر فى أن الخطاب الالهى يرد دائما بطريق الجمع لا الافراد « يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده » ثم كيف يكون بين الاسلام وبين العلم عداء والعلم نفسه لم يصل إلى الدرجة التى بلغها من التقدم إلا فى جو إسلامى خالص ، إن العلم الطبيعى يعتمـد على عنصرين خطيرين فى جميع بحوثه

وكشوفه بها الملاحظة والاستنتاج وليس يوجد في الدنيا كتاب أوصى بالتدبر في ملكوت الله الرحيب واستطلاع بدائعه واستكناه روائعه كما أوصى القرآن « وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ومهما أظهر المغرضون من عطف ما كر على استقلال العلم فانهم لن ينالوا من الاسلام أي نيل . كذلك ضل من يزعم أن الوطن ليس لله،أي غباوة هذه تحاول أن تنسب الشيء لغير صاحبه بل لغير خالقه « إنّ الأرضَ للهِ يورثها من يشاء من عباده » « ولله المشرق والمغرب » ولقد مهد هؤلاء لهذا الخطأ الفاضح بكلمة لم يفهموها . الدين لله حقاً ولكن ماذا بقي لله على زعمهم إذا كان للأوطان أول ما في الفؤاد وآخر ما في الفم !! ماذا بقي لخالق الفؤاد وما يجول فيه ولخالق اللسان وما ينطق به كلا . الدين لله والوطن لله . ومصر ومن عليها فدى للاسلام وحده و« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » إن الشيء الذي يبوء بأشد معاني الاحتقار والذي نجعله محط عداوتنا الدائمة هو هذا الضلال الوقح الذي يحاول في غير ما حياء أن ينتظم الاسلام ـ وهو دين الله الكريم ـ والمسيحية واليهودية في سلك واحد فكيف يرتفع مبدأ من المبادىء لينضم إلى أحضانه هذه الأديان المختلفة المتناحية (كذا) ويجمعها في صعيد واحد ... حدث مرة أن كنت أتصفح إحدى المجلات الأسبوعية فعثرت على تصريح سكرتير الماسون الأعظم ـ وهو رجل مسلم كما يشير إلى ذلك اسمه ـ قال « إن قراراتهم التي تذاع لا يراد بها إلا خير المجتمع من الناحيتين الانسانية والاجتماعية دون تعرض للسياسة ولا للدين » ونحن نتساءل كيف يجوز لمسلم أن يلقي كلاماً أو يصدر أعمالا بعيداً عن دينه وعن رعاية قيوده وحدوده كلها إلا أن يكون مسلما يجهل الاسلام أو منافقاً يبرأ منه دين الله !! . ونحن نتساءل كذلك أي إخاء عجيب أوى إلى سلامة ووئامه أعضاء المحفل الماسوني المكرمين وفيهم أحد موظفي الأزهر وأحد أعيان اليهود، انه إخاء فرض نفسه على حساب نكبة أحدهما في عقيدته أو على الأصح على حساب تنازل المسلم عن دينه جملة

هنالك ما لا يقل خطرا عن الماسونية العالمية مسخاً للايمان وتلويثاً للنفس المؤمنة وهبوطاً بمستواها الذي ينبغي أن تحتفظ به ومن أمثلة ذلك جميع المبادىء التي تحمل لقباً عالمياً . فالرياضة العالمية والثقافة العالمية والديمقراطية العالمية والادب العالمي والفن العالمي والتمثيل العالمي .. الخ مما يسير في ظلال معنى الاخاء الانساني ووحدة البشرية والكلمات التي أجاد الاوربيون صناعتها ودسها محترفو الاستعمار بيننا لينالوا بها ما لا تناله منا شر الاسلحة وليتوسلوا بها إلى إفناء العصبيات الإسلامية وتحطيم فضائلها وتمزيق مقوماتها

﴿ يتبع ﴾ محمد الغزالي

براءة من القاديانية

كتبنا في الاعداد السابقة في فتاوى المنار مما وصل الى علمنا عن طالبين ألبانيين أحمديين ينتسبان الى القسم العام بالازهر وقلنا ان من واجب المشيخة أن تتحرى أمرهما وأن تبادر بفصلهما حتى لا تسرى منهما عدوى الفكرة الخاطئة الى غيرهما من الطلاب ويسرنا الآن أن نقول ان زميلتنا الفتح الغراء قد نشرت براءة لهذين الطالبين من المذهب القادياني صرحا فيها بتوبتهما توبة نصوحاً ورجوعهما الى عقيدة الاسلام الصحيحة وبراءتهما كل البراءة من المذهب الاحمدي بقسميه اللاهوري والقادياني معا . ولقد كان لاخينا الداعية المسلم الموفق محمد افندي توفيق أحمد في اقناعها أثر صالح فجزاه الله خيرا

وسننشر نص هذه البراءة في العدد القادم ان شاء الله

الشيخ محمد عبده*

— ٢ —

عهد الطفولة

فى عام ١٢٦٦ الهجرى الموافق ١٨٤٩ الميلادى ، نزل إلى الوجود مولود جديد ، ارتفعت صيحاته وصرخاته معلنة قدومه إلى عالم الدنيا ومبشرة باندراجه فى صفوف الناس . . !!

ونفذت هذه الصيحات إلى مسامع الناس من أهـــل القرية ، فتناقلوا الخبر ، وجاء الريفيون من هنا وهناك يهنئون الشيخ الوقور « عبده بن حسن خير الله » بهذا المولود الجديد الذى أنار هذه القرية الصغيرة من قرى مديرية الغربية كما يقولون . ويتمنون له من كل قلوبهم السعادة والهناءة ، فهم يحبون هذا الوالد الكريم ، الذى لا يعرف كرمه البخـل ، ولا يشوبه الحرص والشح . . وكم كان تفاؤلهم عظيما

* اعتمدنا فى هذه الترجمة على مجموعات المنار ، والضياء لليازرجى ، ومشاهير الشرق ، ومصنفات الشيخ محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى ، وكتاب الاسلام والتجديد فى مصر . وغير ذلك مجلات وصحف كثيرة منها العروة الوثقى والهلال والاهرام .

عندما علموا أن اسمه « محمد » فهذا هو الاسم الحبيب لدى كل مسلم والعزيز عند كل مؤمن ، فخير الاسماء ما عبد وحمد

وامتلأت نفس الشيخ غبطة وهناءة وسرور ، وراح يدعو الله أن ينظر اليه ويوفق وليده إلى خير السبل وأقوم الطرق ، وأن يجعل هـذا الرضيع سيفا من سيوفه المصلته ، ووليا من أوليائه المقربين ، ناصراً للحق وأهله ، خاذلاً للباطل وأعوانه .

وذكر حينذاك كيف خرج هاربا من قريته فراراً من ظلم الحكام الاتراك واستبدادهم فى مديريه البحيرة . أواخر حكم محمد على باشا الكبير فعلت وجهه كهومة واكفهرار ، وأنكر نفسه ، إذ أنه تركى الاصل نزلت أسرته بأرض البحيرة واستوطنتها حتى انطبعت بطابع الفلاحين المصريين . وأصبحت وكانها منهم الجزء الذى لا يتجزأ ، والصنو الذى لا يختلف عن صنوه ، فكيف اذن يناله الظلم ممن يمت اليهم بصلة ، ويرتبط بهم بوشيجة ؟ هذا لعمر الله غريب وعجيب . . !

ولكنه سرعان ما استبشر وانفرجت أسارير وجهه ، اذ تذكر حرصه الشديد على أن يكون له نسل قوى سليم ، وذريه صالحة تحمل اسمه مع الزمان ، وولد يخلد اسمه فى سجل الخالدين ، ويكون له نعم الخلف ونعم الذكرى ، فتمنى لو اتصل حبله بفتاة لها من المزايا الجميلة ، والصفات الحميدة ما يكون خليقا أن ينحدر إلى ذلك المولود الجديد الذى ينحدر من أصلابه .

انتقــاد المنــار

حول ما نشر فى آيات الصفات وأحاديثها أيضا

جاءنا هذا الخطاب بتوقيع مبهم ونحن نتسامح بنشره ايثاراً لتجلية الموضوع تجلية تامة بحول الله وقوته مع ردنا عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد اطلعنا على ما نشر فى العدد الأخير من المنار تحت عنوان نقد المنار رداً على رسالة أحد القراء الكرام وشجعنا ذلك على الكتابة اليكم فى شيء من الصراحة :

لما اطلعت على عدد المنار الذى بدأتم باصداره وبادرنا إلى تصفحه حاك فى نفسى ما جاء فى رسالة القارىء اليكم وفهمت من كلامكم فيما بين المجلتين (الهدى والاسلام) من الخلاف نفس ما فهمه الناقد ولعلى أخطأت الفهم أنا أيضا ، إلا أنكم فى ذلك المقال لم تقولوا بخطأ المجلتين ولم تشيروا إلا إلى اخلاصهما وجهادهما وكان من العجب فى رأينا ما ذكرتم فى العدد الأخير من خطأ المجلتين فيما ذهبنا اليه وبالرجوع الى أقوال المجلتين ومقالات كتابهما ظننا أن حكمك بخطأ المجلتين يكاد يكون حكما على طائفتين غيرهما فقد أجهدنا أنفسنا فى مطالعة المجلتين فلم نعثر على عقيدة تفسير الاستواء بالاستقرار كما لم يجزم الفريق الآخر بتأويل الاستواء إلى الاستيلاء وحده .

فلعلكم تأثرتم فى حكمكم هذا بما يقال ويشاع فقط . وهذا ما نرجو أن يكون المنار بعيداً عنه .

ولذلك نرى إحقاقا للحق ووضعا للأمور فى نصابها أن ترجعوا إلى كلام

المجلتين وتحكموا عليهما بما تقولان لا بما يقول بعضهم على بعض ولا بما يشاع عنهما بين العامة والدهماء .

وملاحظة أخرى في العدد الأخير نحب أن تبينوا لنا حقيقتها وهي ما نسبتموه لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في باب التفسير ، ذلك الكلام العجيب الذي لا يشبه في أسلوبه ولا معانيه ما تواتر الينا من كلامه رضي الله تعالى عنه ففي أي ديوان من دواوين السنة المعتبرة عند المسلمين وجدتم هذا الخبر ؟ أفيدونا رحمكم الله ، وان لم يوجد في شيء منها ، فهل ترون أن أمثال هذه (الحواديت) التي ملئت بها بعض الكتب المجهولة الأصل مثل نهج البلاغة وغيره تصلح للاحتجاج ولتقرير عقيدة اسلامية .

وإني وان كانت بيني وبين فضيلتكم معرفة ، إلا أني أحب أن أكون إلى حين مستترا والسلام عليكم ورحمة الله

أحد قراء المنار

ملاحظة : فاتنا أن نذكر لفضيلتكم أن خصوم الهدى النبوي اليوم هم بذواتهم وأقلامهم خصوم المنار وصاحبه عليه رحمة الله

« الجواب »

هذا الخطاب يتناول أموراً أربعة .

أولها — أننا في المقال الأول لم نقل بخطأ المجلتين الخ . ونحن نعتقد أن هذا المعنى إن لم يصدر في كلامنا تصريحاً ، فقد كان واضحا كل الوضوح ونحن نؤثر دائما أدب القول والكتابة وعفة اللسان والقلم في عصر أغفل الكاتبون فيه هذا المعنى ، وعلى كل حال فكلامنا في المقال الثاني قد أوضح ما أبهمه المقال الأول إن كان ثمة ابهام فلا نطيل القول في أمر قد وضح والحمد لله .

وثانيها — أن ما نسبناه الى المجلتين يكاد يكون حكما على طائفتين غيرهما الخ ونحن نقول انما كتبناه هو ما فهمناه من مجموع ما كتب الكاتبون فيهما فاذا لم يكن كذلك فليتكرم حضرة الكاتب علينا وعلى القراء الكرام ببيان ما فهم هو من كلام كل منهما وبيان وجه الخلاف بينهما وليؤيد ذلك بنصوص الكاتبين مستوفاة وليحكم بينهما إن شاء ذلك ونحن على استعداد لنشر ما يكتب والرد عليه ان كان فيه ما يستحق الرد وموافقته إن كان مما نرى أنه الحق على أن يكون هذا آخر ما نكتب فى هذا الباب. نقول هذا ونستحسن لأنفسنا ولحضرة الكاتب وللقراء كذلك أن نغلق هذا الباب من الآن وخصوصا بعد أن انصرف الجانبان الى ما هو أجدى وأنفع ، وفيما كتبناه فى بيان ما يجب أن يكون عليه المسلمون فى هذا المعنى كفاية

وثالثها — استنكار ما نسبناه لامير المؤمنين على كرم الله وجهه فى باب التفسير والتهكم عليه بهذا الأسلوب اللاذع - فغفر الله للكاتب سورة قلمه وعفا عنا وعنه ونحب له أن يروض قلمه دائما على غير هذا الاسلوب فهو أعف وأبر ولو أن حضرته التفت إلى أننا إنما سقنا هذا الكلام للبيان والاستئناس لا للاحتجاج والاستدلال وهذه واحدة، ونسبناه الى نهج البلاغة ولم ننسبه الى الامام كرم الله وجهه وهذه الثانية ،وعلقنا فى حاشية المقال بما يستفاد منه أن نسبة هذا الكتاب موضع خلاف بين الأدباء وهذه الثالثة ، لو أن حضرته التفت لى هذه النواحى الثلاث لأعفى نفسه وأعفانا من هذا التعليق القاسى الذى لامبرر له

رابعها — يذكر الكاتب أن خصوم اليوم هم بذواتهم وأقلامهم خصوم المنار وصاحبه عليه رحمة الله - ياسبحان الله إن الزمن يا أخى يدور والمدارك تتطور بدورانه وإن تجارب الناس ودرجة معرفتهم بالأمور تزداد وتتسع يوما عن يوم ، وأن القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء ، وإن كثيرا ممن حمل السيف

أمام رسول الله ﷺ ودعوته كانوا بعد ذلك من أشد الناس حماسة في مناصرتها وتفانيا في محبته ﷺ ، وسبحان من أعز الاسلام بقاتل حمزة وجعله قاتل مسيلمة ، وأين أنت من خالد وعكرمة ولا تجعلني أقول لك أكثر من هذا ففي مكان القول متسع ولكن ما كل ما يعرف يقال - وجميع الناس متفقون على أن الحق لا يعرف بالرجال فهبهم لا زالوا في خصومتهم أفلا نتبع الحق إذا جاء على أيديهم ونكون أول من يناصرهم فيه

انني أعتقد أن ما يمر بنا من هذه الحوادث الجسام سيوحد الكلمة وسيجمع الرأي ويقرب شقة الخلاف ، ويسوي صفوف العاملين للاسلام ان شاء الله فاصبر إن وعد الله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حسن البنا

السيد الكامل آل رضا

رحمه الله

لبى نداء ربه السيد الكامل آل رضا رحمه الله وهو عم السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار ووالد صديقنا المفضال السيد عبد الرحمن عاصم رضا نفع الله به . عن عمر مبارك قضاه في طاعة الله والمبادرة الى الخيرات وكان السيد رشيد رحمه الله يقول عنه إنه حجة الله على أهل هذا العصر إذ كان — أفسح الله له في جنته — رغم كبر سنه وضعف بدنه حريصاً كل الحرص على المبادرة بالأعمال الصالحة بعيداً كل البعد عن كل ما يؤدي إلى الشبهة فضلاً عن الحرام لا ترى في مجلسه الا ذكر الله وما والاه والتذكير بالخير والنصح لعباد الله وقد ورث عنه هذه الخصال نجله المفضال السيد عبد الرحمن حفظه الله فما علمنا عليه إلا خيراً ولا نزكي على الله أحداً

وانا لنتقدم بالتعزية إلى آل رضا ألهمهم الله الصبر وأجزل لهم الأجر وعوضهم الخير ونسأل الله للسيد الراحل المغفرة والرضوان

وقد حال احتجاب المنار عن أن يصدر هذا العزاء في حينه ولعل صديقنا السيد عبد الرحمن عاصم يوافي قراء المنار بترجمة مفصلة لحياة السيد الوالد عليه الرحمة لتكون لنا وللقراء عظة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين

المنار

منذ عشرين سنة

ربيع الآخر سنة ١٣٣٩

دعوة عرب الجزيرة الى الوحدة والاتفاق

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم »

ثبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها علماء العرب وغيرهم من الأمم قديما وحديثا ومن العاديات (الاثار القديمة) التي اكتشفت في أقطار مختلفة أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى انهم استعمروا أقدم البلاد مدنية كمصر

وسورية والعراق ، فلهم فى حضارة الفراعنة والفينيقيين والكلدانيين العرق الراسخ ، والمجد الشامخ ، فان لم تكن تلك الامم فروعا منهم فلها وشائج أرحام مشتبكة بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام بهم فى الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فمن ذلك ما حكاه فى القرءان المجيد عن قوم عاد « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد » كقول نبيهم هود فى مبانيهم وقوتهم « أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين » وقوله فى نسلهم وزرعهم وضرعهم : « أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون » وبيانه لهم أن هذه النعم يزيدها الرجوع إلى الله بالايمان وترك المعاصى نماء وقوة « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم » وما حكاه عن ثمود وقول رسولهم صالح لهم فى تذكيره بنعم الله عليهم « هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه » وقوله « أتتركون فيما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » وما قصه لنا عن سبأ فى سورتها كجنتيهم عن اليمين والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة فى أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى

وأياما امنين » وناهيكم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك فى ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشورى دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبته الذين اكتشفوا آثار الكلدانيين فى العراق وشريعة ملكهم حمورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية وهذا الملك كان يسمى ملك البر والسلام ، وفى سفر التكوين من أسفار التوراة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه العشور إذ كان من رعيته وأنه بارك ابراهيم فدل هذا على أن ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الأثرى المصرى من متزاج اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد : واما أن العرب قد استعمروا مصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها فى تاريخ مصر فكان للغتهم الأثر الخالد فى لغتها

هذا الماع تاريخي وجيز لمدنيــــة العرب وقوتهم وعمرانهم فى التاريخ القديم منذ ألوف السنين وأن فى لغتهم الغنية الراقية الواسعة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضعفت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبادت بعد تلك الحضارة وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الأمية ، وكادت

تعمها الجاهلية الوثنية (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ومر على هذا الضعف قرون وتعاقبت عليه أجيال ، حتى ظن الظانون أن هذه الامة هرمت وقاربت الزوال فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب .

ثم جاء الاسلام فجمع شملها بعد فرقة وشتات ، وألف بين قلوب قبائلها وأفرادها بعد عدواة تأرثت بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات وأخرجها من ظلمات الجاهلية والامية ، الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها المكانة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة والكلمة العليا في الحكم والسياسة ، فورثت ملك القياصرة والاكاسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من اليابسة في الغرب ، وأحيت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون ورقت الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة ، فسادت شريعتها جميع الشرائع ، وعلت لغتها جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب

ولكن حظ جزيرتها من هذا العمران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى اللغة فأنى لبدو الجزيرة وحضرها في هذا العصر ما يقرب من تلك الملكة العليا

فى الفصاحة والبلاغة التى جعلت لكتاب الله المعجز تلك المكانة من عقولهم وقلوبهم، حتى إن كان أحــــدهم ليسمع السورة أو الاية منه فيخر ساجـدا، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته بهدايته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعـد أن ألف الاسلام بينهم فكانوا بنعمة الله اخواناً، ويرتزق قويهم بسلب ضعيفهم بعد كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وفرقوا دينهم فصاروا شيعا تكفر كل شيعة منهم الاخرى أو تفسقها بعد تلك الوحدة العظيمة، جاهلين أو غافلين عن قول ربهم لرسولهم ﷺ « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء » وما فى معناه من الايات والاحاديث .

إن هداية القرآن هى التى جمعت كلمة العرب على ما كان من تفرقهم وتعاديهم فى الجاهليـة، وهى التى جعلتهم أئمة الامم فى العلم والحكم والاداب والعدل فى أثر اخراجهم من تلك الامية، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق والتعادى والجهل والفقر إلا بتركها، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم اليها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولـكن وحي شياطين التفريق . قد زين بزخرف القول لكل فريق، أن كل شيعة تجمعها رابطة مذهب فانما الواجب عليها أن تعمل بقول علمائه وحكامه، ولا يجوز لها أن تهتدى بكتاب الله وسنة رسوله، ولن اختلفوا فى الرأى، وتنازعوا فى الامر خلافا لقوله عز وجل

« فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول » وشبهتها على هـذه المخالفة الى الاهتداء بكتاب الله المنزل فتح لباب الاجتهاد المقفل، فأخذتم فرارا فى أصل الاهتداء بالكتاب ، الذى أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسله لهداية خلقه « وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » فكيف يؤخذ بقول العلماء والامراء الذين يبغي بعضهم على بعض فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الامر ، اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع ، ويحكموه فى الخلاف الواقع وهو يقول « فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ثم يعلل ذلك تعليلا بقوله « ذلك خير وأحسن تأويلا » أى أحسن عاقبة ومآلا من كل ما عداه فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهوائهم فى تحكيم آرائهم والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك الاهتداء بهما ، لا يستلزمان الاجتهاد الاصولى المطلق الذى أقفلوا بابه ، فقد كان عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا فى استنباط جميع الاحكام ، كأئمتهم المشهورين وعلماء الاعلام

نعم إن الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين فى بقاع نجد فرجع الالوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك وكادت تنتشر

دعوته فى جميع جزيرة العرب التى يتعذر اصلاحها وجمع كلمتها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر الاسلام فى جميع أقطار المسلمين . ولكن حال دون ذلك فتنتان (أولاهما) مقاومة السياسة لها والاخرى غلو الكثير من القائمين بها ، فالاولى اذاعة الساسة في العالم كله ان هذه دعوة ابتداع فى الدين ، والغلاة أيدوا هذه الاذاعة بما اشتهر عنهم من الغلو ولا سيما تكفير من عداهم من المسلمين ولهذه التهمة أصل وقد بينا الحقيقة فى هذه المسألة من قبل وغرضنا من الالمام بذكرها الان بيان استعداد العرب للصلاح والاصلاح بدعوة الايمان اذا قام بها من يدعو اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن كما أمر القرآن وتذكير الغلاة من المتدينة بأن لا يغلو فى دينهم ولا يقولوا على الله الا الحق ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص وأن يعذروا كل مخالف لهداية الدين بالتأول أو الجهل ، ويعتمدوا فى بث الدعوة على نشر العلم والعمل به على قاعدة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وأن لا يكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب وأن يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب الايمان به عن جهل وان عد بعضه الفقهاء كفرا وردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول الذى كان عليه مشركوا الجاهلية فى زمن البعثة . فاذا علموا هذا وعملوا به لا تلبث الدعوة أن تعم الجزيرة وغيرها ويسقط كل من يعارضها حرصا على الزعامة وحب الرياسة .

هذا وأن لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء سببا أصيلا وراء الخلاف الدينى للبغي ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض وسببين عارضين وهما الجهل والفقر ، وازالة السببين العارضين من الامور الكسبية القريبة المنال ، وانما الشقاء كل الشقاء فى الشقاق الناشىء عن حب الرياسة والعلو وخطره المنذر بالهلاك والزوال

ان في بلاد العرب من ينابيع الثروة ما يكفى لجعل أهلها من أغني شعوب الارض كمعادن الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت المعدنية وغير ذلك ، وفى كثير من ارضها قابلية لخصب الزراعة يعز نظيره في غيرها وناهيك بقهوة اليمن ونخيل المدينة وفاكهة الطائف ، وأهلها أزكى الشعوب وأقواها استعدادا للتجارة حتى أن عوام الحضارمة قد زاحموا بها أرقي شعوب هذا العصر علما وتجربة فى بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقليل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب فى حياة جديدة من الثروة والعمران وتحفظ نفسها من الخطر المحدق بها الان ، ولكن ذلك يتوقف على ازالة العداء الذى طرأ على أئمتها في هذا الزمان

إذا زال الشقاق وأديل منه الاتفاق بين أئمة اليمن والحجاز ونجد زال فى أثره ما منيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ، وإذا حل بالجزيرة ماجعله الله تعالى بسنته في البشر قانونا لازما لاهل التنازع والفشل ، يذل الاسلام ويزول سلطانه عن

رؤوس سائر الامم وتكون تبعة ذلك على أمراء الجزيرة وأئمتها وما يظن بأحدمنهم أنه يحسب أن بلاده بمأمن من سيطرة الاجانب بقوتها أو بحرها ووعورتها إذا لم يبق (فيما أظن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ما هو مثلها أو أشد منها قوة ، والذع حراً وأصعب وعورة على أنه ليس مثلها فى كونه جزيرة أو شبه جزيرة فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق . ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سوريا والعراق التى يسهل حصرها أيضا اذا هى نجت من تلك السيطرة وليتذكروا جميعاً ما أوصى به النبى (ص) فى مرض موته بشأن جزيرتهم وحكمة ما أشار اليه من أن الاسلام سيأرز اليها كما تأرز الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الان .

ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب وإصلاح شئونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح المؤيد لحديث جابر عند أبى يعلي بسند صحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام « وإذا ذلت العرب ذل الاسلام » ولا عز بغير استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال ولا قوة ولا ثروة مع الشقاق والفرقة . وإنما القوة كل القوة بالاعتصام والوحدة فاذا اتحد أمراء الجزيرة وأئمتها حفظوا استقلالهم وأمكنهم نشر العلم وتفجير ينابيع الثروة فى بلادهم بمساعدة أهل البصيرة والقادرين على تنظيم الادارة والقوة وتدبير الثروة من أمتهم وتسابقت الشعوب الغنية

القوية الى موادهم أو مصانعهم للاستفادة من قوتهم وثروتهم بل هي على وشك الاحتياج اليهم منذ الان . لما بين غربي أوربا وشرقيها من المقارعة والصدام . الذى يتوقف على نتيجته ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام ولا سيما شعوب الاسلام من العرب والترك والفرس والتتر والافغان .

« ✡ »

هذا ما أحكيه لهم عن رأى أهل البصيرة والدين من عقلاء العرب وعلماء المسلمين الذين يتنفسون الصعداء حزنا ويحرقون الارم غيظاً وأسفاً كلما صخ اسماعهم نبأ تقاتل أئمة الجزيرة للتنازع على بعض الجبال والاودية (١) مع خراب البلاد وفقر العباد اللذين يزيلهما الاتفاق والاتحاد ويزيدهما الافتراق والجلاد وانني بلسان صفوة المخاصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين أدعوهم الى عقد الاتفاق والحلف بينهم على الاصول الاتية :

(١) ابطال الحرب والغزو بين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة مؤقتة الى أن يوضع للبلاد نظام خلقي ثابت

(٢) حفظ الحالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل

---

(١) كجبل شعفان التي يتقاتل عليه صاحبا اليمن وعسير ووادى طربة التي يتنازع فيه صاحبا الحجاز ونجد

الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يعد اعتراف بعضهم باستقلال بعض متضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها .

(٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة فى البلاد فى التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد فى مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل يتبع فى ذلك قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذاهب المعتمدة أحكام الدين والكفر والحلال والحرام ولكن ليس له أن يطبقها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط . ولا سيما فى شأن الطوائف والجماعات التى تقيم الشعائر الاسلامية بل ليس لغير الحاكم الشرعى فى الدعوى الشرعية أن يحكم بكفر شخص معين يدعى الاسلام ويقتله بذلك كما ينقل عن بعض الغلاة فى بعض البوادى فرب قائل قول أو فاعل عده بعض العلماء كفرا لدلالته عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق فى المسألة لقبله مذعنا ورجع عما كان عليه تائبا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن فى البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تلغراف لاسلكى فى البلاد ولا سيما عواصمها .

(٥) ارسال كل حكومة معتمدا الى سائر عواصم الاخرى يكون

وكيلا لها عندها كما هو المعهود بين جميع الحكومات التي بينها عهود ولها مصالح فى بلاد الاخرى

(٦) بعد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلفى يكون هو المرجع فى حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها . وأننا متى رأينا من أئمة اليمن والحجاز ونجد شروعا فى تنفيذ هذا العمل الذى دعوا اليه جميعا قبل أن تشتد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه ــ فان عقلاء الامة العربية فى سائر البلاد وأهل الغيرة من مسلمى الاعاجم يمدونهم بارائهم السديدة ومساعداتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفى ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون اليه فى ذلك وفيما يترتب عليه من ايجاد وسائل الثروة فى البلاد .

فيا أيها الأئمة المتبعون فى بلادكم أنكم تعلمون أنكم مسئولون عند الله تعالى عن كل ما يتعلق بأمر البلاد وأهلها ولعلكم لا تعلمون حق العلم قدر اهتمام الشعوب الاسلامية الاخرى أمركم وما يقولون عنكم كلما بلغهم شيء من أنباء اختلافكم وتقاتلكم ألا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون علم اليقين أن اتفاقكم خير لكل منكم وأن بقاء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب عليكم وعلى شعبكم وأمتكم وملتكم « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » والسلام على من اتبع الهدى ورجح المصلحة العامة على الهوى — محمد رشيد رضا

(الجزء التاسع) المجلد الخامس والثلاثون



قال عليه الصلاة والسلام «إن للإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق»

جمادى الآخرة ١٣٥٩ أغسطس سنة ١٩٤٠

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٦)

بعد أن فصلت الآيات السابقة مظاهر قدرة الله تبارك وتعالى وأدلة عظمته وعجائب صنعه في الكون ذكرت أشبهات التي يتذرع بها الجاحدون في إنكار نبوة الأنبياء ويبررون بها انصرافهم عما جاء به الرسل الكرام من الهدى والنور ومن هذه الشبهات استبعاد أمر البعث والخلق الجديد بعد الموت والفناء

ومنها استبطاء العقوبة على التكذيب واستعجالها لتكون دليلا على صدق المبلغ عن الله تبارك وتعالى فى دعواه ومنها اقتراح الآيات والمعجزات . فأما الشبهة الأولى فقد فصلتها الآية الكريمة وردتها فى قوله تبارك وتعالى « وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وأما الشبهتان الباقيتان فقد أشير إليهما فى الآيتين الكريمتين كما عرض لهما القرآن الكريم فى سور كثيرة ماضية وتالية .

« ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة » ويطلبون إليك أن يوقع الله بهم العذاب والعقوبة قبل النعمة والعافية وهذا خلق من أخلاق الجاحدين المعاندين فى كل زمان ومكان استكبارا فى الأرض وتعاليا بالباطل وبطرا على الحق ولقد حكى الله عن قوم هود عليه السلام فى سورة الأعراف « قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين الآية ٧٠ »

كما حكى عن قوم نوح فى سورة هود عليه السلام « قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ٣٣ »

كما حكى ذلك عن كفار قريش فى كثير من الآيات ففى سورة الانفال « وإذ قالوا اللهم إن كان هـذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم الآية ٣٢ » وقد سبق الكلام عليها فى الجزء التاسع من هذا التفسير وجاء قبل ذلك فى سور كثيرة « ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون ٥٣ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ٥٤ » العنكبوت وفى سورة يونس « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » الآيات من ٤٩ إلى ٥٥ وقد تقدم الكلام عليها فى الجزء الحادى عشر فليراجع .

وهذا الخلق غريب حقا فى الانسان فان مقتضى العقل السليم الذى يتحلى به هذا الجنس البشرى أن يطلب الهداية والعافية بدلا من العذاب والنقمة وما أظرف رد هذا السبأى الذى خاطبه معاوية بقوله « ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة » فقال « أجهل من قومى قومك حين قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا فاهدنا له » ولعل السر فى ذلك أن الانسان مفطور على نوع من التعالى والسكبرياء يجعل قبوله للحق أمراً شديداً على نفسه لا يستطيعه إلا من ألهمه الله الرشد وهداه سواء السبيل ، وقد سبق فى الجزء الأول من هذا التفسير إشارة لطيفة إلى هذا المعنى فقد جاء هنالك ما نصه « إن كل قوة من قوى هذه الأرض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعاً للانسان وخلق الانسان مستعداً لتسخيره لمنفعته إلا قوة الاغراء بالشر وناموس الوسوسة بالاغواء التى يجذب الانسان دائما إلى شر طباع الحيوان ويعيقه عن بلوغ كماله الانسانى ، فالظاهر من الآيات أن الانسان لا يغلب هذه القوة ولا يخضعها مهما ارتقى وكمل ، وقصارى ما يصل إليه الكاملون هو الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بألا يكون لها سلطان على نفس الكامل تجعله مسخراً لها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » وقال عز وجل « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » قال صاحب التفسير . ثم زاد الأستاذ هنا قوله « أما سلطان تلك القوة فى الفناء ، وقطع حركة الوجود إلى الصعود ، فلا يستطيع أخضاعه لقدرته من البشر كامل ولا يقاوم نفوذه عامل ، وإنما ذلك لله وحده وهذا حكمها فى الكائنات إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات » اهـ

والمراد بهذا الكلام كما ترى بيان قوة الشر ونزعاته ووضوح أثرها فى الوجود وسهولة انجذاب النفوس إليها وسرعة التصاقها بها ، وليس المراد استحالة

التخلص منها ، فإن من عصمه الله تبارك وتعالى وحفظه ويسره لمغالبة الشرور وأعانه على مقاومة النزعات الفاسدة والوساوس المضلة كان منها بمنجاة ولاشك كما تشير إليه الآية الكريمة .

ووجه العبرة فيما تقدم أن يتنبه الانسان لقوة هذه الناحية فى نفسه وفى ناموس الخليقة وأن يراقب نفسه مراقبة دقيقة ، وأن يجتهد فيهما دائماً شوكة الكبرياء الكاذب والتأبى على الحق وأن يلح على الله فى الدعاء أن يجعله من أهل الهداية والتوفيق الذين لا يجد الشيطان إلى نفوسهم سبيلا .

« وقد خلت من قبلهم المثلات » خلت مضت وذهبت والمثلات جمع مثلة قال الراغب والمثلة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا يرتدع به غيره وذلك كالنكال وجمعه مُثُلات ومَثُلات . . وقد أمثل السلطان فلاناً إذا نكل به وقال ابن جرير قول تعالى ذكره « ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية فيقولون اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم وهم يعلمون ما حل بمن خلا قبلهم من الأمم التى عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه فمن بين أمة مسخت قردة وأخرى خنازير ، ومن بين أمة أهلكت بالرجفة وأخرى بالخسف وذلك هو المثلات التى قال الله جل ثناؤه « وقد خلت من قبلهم المثلات » والمثلات العقوبات المنكلات والواحدة منها مثلة بفتح الميم وضم الثاء ثم تجمع مثلات كما واحدة الصدقات صدقة ثم تجمع صدقات ، وذكر أن تميما من بين العرب تضم الميم والثاء جميعا من المثلات ، فالواحدة على لغتهم منها مثلة ثم تجمع مثلات مثل غرفة وغرفات ، والفعل منه مثلت به أمثل مثلا بفتح الميم وتسكين الثاء ، فاذا أردت أنك أقصصته من غيره قلت أمثلته من صاحبه أمثله مثلا وذلك إذا أقصصته منه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل اه

وفى الآية تبكيت لهم على هذه الغفلة التى تجعلهم يتناسون الالفاظ بغيرهم

وتجاهل ما حل بسواهم من السابقين ، وفي المثل ، السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه ، وبهذا تقرر الآية الكريمة ناموس العبرة والعظة وتلفت إليه أنظار الأمم والشعوب .

واعلم أن العبرة والعظة لا تنحصر في الفرد ولا في الجماعة على الاعتبار بحال غيرها وعاقبته بل تكون كذلك في الفرد وفي الجماعة بما يقع لهما من الحوادث فالفرد الذي يحرص على الاستفادة من تجاربه ونتائج أعماله تزيد صوابه دائما فتزيد سعادته ويقل خطأه فيزول شقاؤه وكذلك الأمة والفرد الذي لا يعتبر ولا يستفيد من تجاربه ونتائج أعماله يظل في خطئه وضلالة فلا يلقى إلا الخسارة والوبال ، وإلى هذا يشير حديث أبي هريرة رضي الله عنه « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه ، ولا يعرض عن الانتفاع بالآيات والنذر إلا الجاحدون الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم والله تبارك وتعالى يقول « وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » سورة يونس ١٠١ - ولو أن المسلمين راجعوا تاريخهم وتاريخ الأمم السابقة والمعاصرة وأمعنوا في ذلك النظر لخلصوا بكثير من العبر ، ولاستطاعوا أن يجدوا في صفحات هذا التاريخ دروسا وافية تدفعهم إلى العمل وتجنبهم الأخطاء والزلل ، ولو ذهب الباحث يستقصي ذلك لأعجزه حصره ولقد علم الناس لو يتعلمون ..

ولا نريد أن نفيض في ذكر حوادث التاريخ وعبره فذلك ما لا يستطاع ولكنا نلفت أنظار المسلمين إلى عبرتين واضحتين في التاريخ الحديث واحدة تتصل بتاريخهم وحياتهم ، والثانية تتصل بتاريخ غيرهم وحياته

قامت الحرب العالمية الماضية سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ وللمسلمين حكومة جامعة ودولة واسعة ووحدة قائمة ، وإن كان قد دب في ذلك كله الضعف والوهن ولكنهم زادوا هذا الضعف ضعفا بتفرقهم وتباغضهم وتحاقدهم ونسيانهم الأخوة الإسلامية ورابطة الدين والعقيدة التي هي أقدس الروابط وأوثق الوشائج

والصلات، ودب فيهم دبيب الفكرة العنصرية ، فالأتراك يحاولون تتريك عناصر الدولة وإظهار الشعائر الطورانية ، والعرب يحلمون بالاستقلال على أساس من الوحدة العربية ، وبذلك دب إلى النفوس الاسلامية داء الامم من قبل البغضاء وفساد ذات البين التى تهد أمر الدنيا والدين، وهبت عواصف الحرب فزادت دسائسها ومكائدها النفوس جفوة وتباعدا وكان أن ثار العرب على الحكومة التركية وصار المسلمون قسمين كل قسم إلى صف عدو من أعداء دينهم وقوتهم وجامعتهم وانتهت الحرب بتفريق جامعتهم وضياع الرمم الباقى من خلافتهم وانحلال حكومتهم وكان ذلك جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم ومثلة منذرة بعاقبة القصرين المفرطين . هذه عبرة من تاريخنا يجب أن نطيل إليها النظر فى هذا العصر الذى لا يعيش فيه إلا الأمم القوية بعددها وعددها ورابطتها وإيمانها ونعمل جاهدين لاحياء الجامعة الاسلامية والوحدة المحمدية ولا ننخدع أبدا أبدا بهذه الوعود الكافرة الجاحدة بل نعتمد على أنفسنا ونستمد النصر والتأييد من الله وحده وبذلك تعود إمامة المسلمين وتتجدد دولتهم

وقامت هذه الحرب الحاضرة بين قوتين عظيمتين فى أوربة بين الدولة الألمانية ومن شايعها من جانب وبين فرنسا وانجلترا ومن شايعهما من جانب آخر . وما كان الناس يظنون أو يخطر ببالهم أن دولة غنية مجهزة مستعدة كفرنسا تهزم شر هزيمة فى أيام قلائل ويقضى على استقلالها وجيشها وسلطانها ويحتل عدوها أرضها ويتحكم فى كل مقدراتها .هذا أمر لم يكن يخطر ببال أحد بمثل هذه السرعة العجيبة ولكن رئيس وزرائها (المسيو بيتان) قد أماط اللثام عن سر ذلك بكلمته المشهورة « لقد أتت الهزيمة من الانحلال ودمرت روح اللذات ما شيدته روح التضحية » وكان ذلك مصداقا للناموس الالهى الخالد فى حياة الأمم والشعوب « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم ٨ — ٥٣ » « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ١٧ — ١٦ » ومع هذا فلا زال كثير من المسلمين يعجبون بحياة فرنسا الزائلة ويتفتنون بآدابها وفنونها ومفاتنها التي صرفت شعبها عن الجد والتضحية إلى اللهو والملذات فحق عليها القول وصارت مثلا بين الدول في هذا المصير .

وهذه عبرة أخرى من تاريخ غيرنا ممن يعاصروننا ويتصلون بنا أوثق اتصال يجب كذلك أن نطيل النظر فيها ونعمل جاهدين على بناء نهضتنا على دعائم قوية صحيحة من الجد والعمل والخلق والايمان والتضحية والكفاح فان البقاء دائما للأصلح فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

« وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب » إن الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولم يتركهم سدى وإنما خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا وليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وفى الانسان الاستعداد القابل للخير والشر ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وإنما تجىء الأديان لتقوى في النفوس البشريه معانى الخير وتبين لها طرق المقاومة لنوازع الشر وبذلك تهتدى إلى الصراط المستقيم قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم . والنفس الانسانيه إنما تقاد إلى الخير وتزوع عن الشر بأحد عاملين إما الخوف وإما الرجاء بالرغبة أو بالرهبة ولابد من تعادل هذين العاملين فى التأثير في النفس وإلا كانت عرضة للانحراف فاذا غلبها الخوف بغير رجاء أداها ذلك إلى اليأس وإذا غلبها الرجاء بدون خوف أداها ذلك إلى التحلل والاباحة ومن هنا كان ناموس الله الخالد في خلقه دائرا بين هذين العاملين فهو سبحانه

وتعالى يطمعهم فى رحمته ومغفرته وفاقا لقانون الفضل الربانى ثم يحذرهم سطوته. وعقوبته وجبروته احقاقا للعدل الالهى

قال الحافظ بن كثير فى تفسير هذا الشطر من الاية الكريمة « أى أنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى « فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ٦—١٤٧ »

وقال « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ١٥ _ ٤٩ ، ٥٠ » إلى أمثال ذلك من الايات التى تجمع الرجاء والخوف وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت الاية « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الاية » قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ماهنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد » وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» رواه مسلم

وذهب ابن جرير إلى أن المغفرة المذكورة هنا خاصة بالمؤمنين التائبين والعقوبة للكافرين والعاصين وأن الكلام إن كان خبرا فى ظاهره فانه وعيد وتهديد للمشركين من أهل مكة إن لم يتوبوا وينيبوا إلى الله تبارك وتعالى قبل أن يحل عليهم غضبه وعقوبته ونقمته ولا ينافى هذا ما ذكرناه من تقرير الناموس العام فى حكمة ذكر الثواب والعقاب والعدل والرحمة مقترنين دائما فى كتاب الله

واستدل الاشاعرة بقوله تعالى « على ظلمهم » بعد ذكر المغفرة على مذهبهم من جواز العفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة ، وقد أطال النيسابورى فى توجيه هذا الاستدلال ، وكأنهم يريدون أن يجعلوا الظلم المذكور فى الاية « إنما يراد به التلبس بالاثم والعصيان

والذى تطمئن اليه النفس أن المراد بالظلم هنا ما عرف من قوة ميل النفس الانسانية الى الشر أكثر مما تميل الى الخير حتى صار ذلك وصفاً ملازما لها لا تفارقها ، وقد تردد هذا المعنى فى كثير من آيات القرآن الكريم وجاء ذكر الانسان والنفس الانسانية مقرونا بالظلم تارة وبالجحود تارة أخرى ، وهكذا قال تبارك وتعالى « إن الانسان لظلوم كفار » « وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا » « إن النفس لامارة بالسوء » الايات ، ويكون المراد على ذلك والله أعلم أن الله تبارك وتعالى يغفر للناس تفضلا منه وكرما وإن كانت طبائعهم الى الشر والظلم أقرب

ومن ذلك تعلم أن الانسان فى أشد الحاجة إلى محاسبة نفسه ومراقبتها أدق المراقبة ومقاومة غرائز السوء فيها وتقوية عوامل الصلاح والخير التى تحيط بها حتى يسلس له قيادها ويسير فى الطريق المستقيم ، وذلك باشعارها الخوف تارة وأخذها بالشدة والقسوة وإشعارها الرجاء تارة أخرى وأخذها باللين والامل قال الامام النووى فى رياض الصالحين « اعلم أن المختار للعبد فى حال صحته أن يكون خائفا راجيا ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفى حال المرض يمحض الرجاء وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة متظاهرة على ذلك . فيجتمع الخوف والرجاء فى آيتين مقترنتين أو آيات أو آية واحدة » وكأنه رحمه الله أشار بتغليب الرجاء فى حال المرض إلى قوله ﷺ فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » رواه مسلم ، والقاعدة التى يجب أن يسير عليها الانسان دائما الفرار الى الخوف إذا استنام الى الرجاء والفرار إلى الرجاء إذا استبد به الخوف ، وهكذا لا يزال يكسر حدة أحدهما بالآخر بحسب حاله فى مجاهدة نفسه

وفى التعبير بالربوبية فى قوله تبارك وتعالى (وإن ربك) إشارة إلى عظيم لطف الله تبارك وتعالى بعباده وتعهده إياهم بفضله ورحمته وأن المراد بالثواب والعقاب إنما هو كمال تربية النوع الانسانى حتى يصل إلى كماله المنشود

ووجه الارتباط بين أجزاء الآية الكريمة واضح فانهم لما استعجلوا السيئة قبل الحسنة ذكرهم القرآن الكريم بما وقع للأمم من قبلهم وأحالهم على ما عرفوا من أحوال المكذبين السابقين الذين حقت عليهم الكلمة ووقعت بهم المثلات وبين لهم بعد ذلك أن الله قادر على المغفرة كما أنه قادر على العقوبة الشديدة ولكنه يغفر لمن يشاء ويعاقب من يشاء لا تتوقف عقوبته ولا مغفرته على اقتراح أحد أو تحكم مخلوق ، وفقنا الله واياكم الى الخير وهدانا سواء السبيل

اسرار البلاغة

فى علم البيان

أصدرت « دار المنار » فى هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الامام « عبد القاهر الجرجانى » مطبوعا طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل . والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف . وقد وضع فى وقت تحكمت دولة الألفاظ واستبدت على المعانى . وهو خير ما كتب فى موضوعه عبارة وأسلوبا . وإيضاحا للمسائل . وبسطا للدلائل . وقد امتاز بارجاع الاصطلاحات الفنية إلى علم النفس . وتأثير الكلام البليغ فى العقل والقلب . وقد عنى بتصحيحه علامتا المعقول والمنقول المرحومان الشيخ « محمد عبده » والشيخ محمد محمود الشنقيطى . وعلق حواشيه المرحوم « السيد محمد رشيد رضا »

وثمن النسخة ٢٥ قرشا

فتاوى المنار

تقدم في هذا الباب الاجابة عن أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

(٦) حكم الدخان والتنباك الخ

الأستاذ رئيس تحرير المنار الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته «وبعد» فقد اختلف العلماء في حكم «شرب الدخان» ما بين محرم ومجوز، فما القول الحق في ذلك وما دليل كل من الفريقين فيما ذهب اليه، أفتونا ولكم من الله المثوبة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ديروط المحطة قبلي　　أنور الصناديقي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

«وبعد» فالدخان شجرة لم تعرف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في القرون الاسلامية الأولى ولم يعرف استخدامها هذا الاستخدام تدخيناً أو مضغاً الخ، والقاعدة العامة في المحدثات من هذه الأمور أن يحكم عليها بآثاره ونتائجها فما كان منها نافعاً استحب وطلب الانتفاع به وما كان منها ضاراً كره وحرم بقدر ضرره، وما جرى مجرى العادة ولم تعرف له فائدة ولا ضرر فهو على الاباحة الأصلية . وهذا وجه اختلاف العلماء في شرب الدخان

ومن الذين قالوا بحرمته من استدل بحديث أبي داود «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر» قالوا والدخان مفتر فان من شربه على غير

اعتياد شعر بدوار وفتور فهو حرام بالنص ، ومن قال بالاباحة نازع فى هـذا الأثر ولم يسلم عما ذهبوا اليه من أنه يحدث الفتور

وقد أورد صاحب الروض النضير شرح المجموع الكبير بحثاً طيباً قد يتصل بهذا المعنى عند الكلام على أنواع المسكر فى الجزء الثالث كما أن للامام الشوكانى فتيا فى هـذه المسألة ، ولعل من تمام الفائدة أن نذكر هذين البحثين ثم تقفى عليهما بما نرى أنه يتفق مع الحق فى هذه المسألة :

قال صاحب الروض النضير « فائدة » قال فى البدر التمام : وكذا يحرم ما أسكر وإن لم يكن مشروبا كالحشيشة وغيرها

وقد جزم النووى وغيره ، وصرح بذلك الامام المهدى فى الأزهار بأنها مسكرة . وجزم آخرون بأنها مخدرة وليست بمسكرة ، قال ابن حجر وهو مكابرة لأنها تحدث ما يحدث الخمر من الطرب والنشوه ، واذا سلم عدم الاسكار فهى مفترة . وقد أخرج أبو داود (أنه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر) قال الخطابى : المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر فى الاعضاء وحكى القرافى وابن تيمية الاجماع على تحريم الحشيشة قال . ومن استحلها فقد كفر قال وانما لم يتكلم فيها الأئمة الاربعة لانها لم تكن فى زمنهم وانما ظهرت فى آخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار . وذكر المازرى قولا أن النبات الذى فيه شدة مطربة يجب فيه الحد وكذا ذكر ابن تيميـة فى كتاب السياسة أن الحد واجب فى الحشيشـة كالخمر ، قال لكن لما كانت جمادا وليست شرابا تنازع الفقهاء فى نجاستها على ثلاثة أقوال . فى مذهب أحمـد وغيره . وقال ابن البيطار واليه انتهت الرياسة فى معرفة خواص النبات والاشجار إن الحشيسة وتسمى القنب توجد فى مصر مسكرة جدا اذا تناول الانسان منها قدر درهم أو درهمين ومن أكثر منها أخرجته الى حد الرعونة وقد استعملها قوم

فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت . قال بعض العلماء وفى أكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية . وقبائح خصالها موجودة فى الأفيون بل وفيه زيادة مضار . وكذا قال ابن دقيق العيد فى الجوزة انها مسكرة . ونقله عنه المتأخرون من الحنفية والشافعية والمالكية واعتمدوه

وحكى القرافى عن بعض فقهاء عصره أنه فرق فى إسكار الحشيشة بين كونها ورقا أخضر فلا إسكار فيها بخلافها بعد التحميص فانها تسكر قال والصواب أنه لافرق لأنها ملحقة بجوزة الطيب والزعفران والعنبر والأفيون والبنج وهى من المسكرات المخدرات وذكر ذلك ابن القسطلانى فى تكريم المعيشة وقال الزركشى إن هذه المذكورات تؤثر فى متعاطيها المعنى الذى تدخله فى حد السكران فانهم قالوا السكران الذى اختل كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم . وقال بعضهم هو الذى لايعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض ثم نقل عن القرافى أنه خالف فى ذلك . والأولى أن يقال إن أريد بالاسكار تغطية العقل ، فهذه كلها صادق عليها معنى الاسكار وإن أريد بالاسكار تغطية العقل مع نشوة وطرب فهى خارجة عنه فان اسكار الخمر يتولد عنه النشوة والنشاط والطرب والعربدة والحمية ، والسكران بالحشيشة وغيرها يكون فيه ضد ذلك فيتقرر من ذلك أنها تحرم لمضرتها للعقل ودخولها فى المفتر المنهى عنه ولا يجب الحد على متعاطيها لأن قياسها على الخمر قياس مع الفارق مع انتفاء بعض أوصافه اه . وقوله كالحشيشة وغيرها يدخل فيه نوع من القات الموجود فى بلاد اليمن والحبشة يكون منه اختلاط العقل وتغييره ومن بعضه خروج آكله عن حيز الاعتدال فى طبيعته . وقد روى فى ذلك حكايات فما بلغ منه هذا التأثير حرم تناوله ويؤدب من تعمده بعد علمه بالتحريم وكذلك القدر المخرج عن الاعتدال أيضا من الزعفران والأفيون والعريط وكل نبات مساو لها فى الصفة والتأثير والله أعلم

وجاء فى رسالة إرشاد السائل إلى أجوبة المسائل للشوكانى

السؤال الحادى عشر . عن شجرة التنباك هل يجوز استعمالها على الصفة

التي يستعملها كثير من الناس الآن أم لا ؟ ج أقول الأصل الذي يشهد له القرآن الكريم والسنة المطهرة هو أن كل ما في الارض حلال ولا يحرم شيء من ذلك إلا بدليل خاص كالمسكر والسم القاتل ومافيه ضرر عاجل أوآجل كالتراب ونحوه وما لم يرد فيه دليل خاص فهو حلال استصحابا للبراءة الأصلية وتمسكا بالأدلة العامة كقوله تعالى (خلق لكم ما في الارض جميعا) (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم)الاية ، وهكذا الراجح عندي أن الاصل في جميع الحيوانات الحل ولا يحرم شيء منها إلا بدليل يخصصه كذي الناب من السباع والمخلب من الطير والكلب أو الخنزير وسائر ما ورد فيه دليل يدل على تحريمه ، إذا تقرر هذا علمت أن هذه الشجرة التي سماها بعض الناس التنباك وبعضهم التوتون لم يأت فيها دليل يدل على تحريمها وليست من جنس المسكرات ولا من السموم ولا من جنس ما يضر آجلا أو عاجلا ، فمن زعم أنها حرام فعليه الدليل ولا يفيد مجرد القال والقيل ، وقد استدل بعض أهل العلم على حرمتها بقوله تعالى « يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » وأدرج هذه الشجرة تحت الخبائث بمسلك من مسالك العلة المدونة في الأصول ، وقد غلط في ذلك غلطا بينا فان كون هذه الشجرة من الخبائث هو محل النزاع والاستدلال بالاية الكريمة على ذلك فيه شوب مصادرة على المطلوب ، والاستخباث المذكور إن كان بالنسبة إلى من يستعملها ومن لا يستعملها فهو باطل ، فان من يستعملها هي عنده من فالطيبات لا من المستخبثات ، وان كان بالنسبة إلى بعض هذا النوع الانساني فقد وجد منهم من استخبث العسل وهو من أطيب الطيبات ، وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأكل الضب وقال أجدني أعافه . فأكله بعض الصحابة بمرأى ومسمع منه صلى الله عليه وسلم . ومن أنصف من نفسه وجد كثيرا من الامور التي أحلها الشارع من الحيوانات وغيرها أو كانت حلالا بالبراءة الاصلية وعموم الادلة ، في هذا النوع الانساني من يستخبث بعضها

وفيهم من يستطيب ما يستخبثه غيره ، فلو كان مجرد استخباث البعض مقتض لتحريم ذلك الشيء عليه وعلى غيره لكان العسل ولحوم الابل والبقر والد من المحرمات لأن فى الناس من يستخبث ذلك ويعافه واللازم باطل فالملزوم . فتقرر بهذا أن الاستدلال على تحريم التوتون لكون البعض يستخبثه غ أو مغالطة . اه كلام الشوكانى فى هذه المسألة

والمعروف أن الدخان يسبب أضراراً صحية كثيرة نتيجة التسمم (النيكوت ومن هذه الاضرار كما قال الأطباء ازدياد ضربات القلب وعدم انتظامها وس الهضم وتهييج الغشاء المخاطى للعصب الرئوية فيورث السعال المزمن و حركة التنفس ، فلا يمكن للشخص اجهاد نفسه من غير أن يعتريه الانهاك وض النظر عادة يكوز من بعض هذه النتائج ، وربما أدى إلى عمى جزئى ، وكم تصاب الدورة الدموية بآفات أهمها سرعة حركة القلب وتصلب الشرايين ، يورث ذلك القلب ضعفاً مستمراً يؤدى إلى السكتة القلبية بغير ألم أو س إنذار — وكما تحدث هذه الاضرار الصحية بالتدخين تحدث كذلك بالمضغ بل فى المضغ أشد وأوضح لشدة تأثير النيكوتين التى يتخلف معظمه فى الفم وقد حدثت الوفاة لبعض الناس الذين مضغوه وكذلك توفى رجل أراد ته الدخان من « الجمرك » بأن خبأه تحت ملابسه ملاصقا لجلده . والتدخين ضغط الدم وينبه العصب الرئوى للمعدى فيهبط القلب وهذا هو سبب الا بعد الاكثار من التدخين

وهو بعد هذه الاضرار الصحية اسراف فى المال بغير سبب فهو إضا وتبذير وقد نهينا عن التبذير وإضاعة المال وقد أثبتت الاحصائيات أن الد ينفق فى الدخان أربعة أمثال ما يصرفه فى الملبس وهو عبث فارغ لا فائدة تر من ورائه والعاقل بله المؤمن ينزه نفسه عن أن يضيع وقته فى العبث فهو ولاشك وقد نفى الاسلام الضرر والضرار وقد يقال إن هذه الأضرار جيه

تحدث حين الافراط لاحين الاعتدال فيه والتقليل منه والجواب على ذلك أن يقال وأين ضمان الاعتدال وقد أثبتت الاحصائيات الدقيقة أن الاعتدال نادر بين المدخنين فسهولة تناول اللفافة وتحكم العادة وما يتخيله الدخن من لذة التدخين كل ذلك يجره إلى الافراط حتى أنه ليشعل اللفافة من الأخرى بشكل ميكانيكي من غير أن تكون في نفسه حاجة إلى التدخين وكثير من المدخنين من هالته كثرة أعقاب اللفائف التي استهلكها بعد أن ينتهي من عمله أو وحدته

وإذا تقرر هذا فالذي يظهر لي أن تعاطي الدخان تدخينا بأية كيفية أو مضغا أو سعوطا بأية كيفية كذلك حلال بأصله إذ الأصل في الأشياء الاباحة حرام لغيره وهو ما تترتب عليه من الاضرار والقليل منه يلحق بالكثير سدا للذريعة ومنعا للقدوة الفاسدة وأما التداوي بتعاطيه فجائز بالقدر الذي يتم به الغرض ومثله في هذا التنباك والقات وما جرى مجراها

ولهذا انصح المدخنين من المسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة ولو بالتدريج وللذين لم يعتادوا هذه العادة أن يحذروها ما استطاعوا

ذلك ما ظهر لي في هذه المسألة وأنا على استعداد للرجوع عنه إذا ما تبينت إلى غيره مما هو أولى بالاتباع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

فائدة لغوية

يطلق بعض الناس على (الدخان) الطباق والمعروف لغة أن الطباق نبات بري تتغذى به الظباء وأبقار الوحش ، وقد ورد ذكره في شعر أبي العلاء فهو يقول في وصف غانية وتشبيهها بالظباء :

ومن العجائب أن حليك مثقل وعليك من سرق الحرير لفاق
وضوى حبائك بالفلاة ثيابها أوبارها وحليها الأرواق
لم تنصفي غذيت أطيب مطعم وغذاؤهن البهث والطباق

المنـــــار

منذ عشرين سنة

رجب سـنة ١٣٣٩

مختارات من الجرائد الغربية فى حل المسألة الشرقية

وتعليق بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

جاء فى جريدة الباترى (الوطن) فى ١٧ مايو سنة ١٩١٩

نهاية الدولة التركية ـ عدم عقد شروط صلح معها — تقسيم الولايات العثمانية

تقسيم الدولة

قالت النيويورك هرالد فى عددها الصادر هذا الصباح إن من المرجح عدم عقد شروط صلح مع تركيا وإن كان ذلك غير مطابق للقواعد المرعية ، لأن المؤتمر يفكر بكل اهتمام فى هذا الأمر مرتكنا على أن تركيا لم يعد لها حكومة دولية حقيقة وأنه لم يبق للعالم المدنى إلا الإنتفاع بتركيا الدولة العثمانية .

ستنال اليونان أكبر جزء من تركية أوربا ، وأما الآستانة مع مضايق البحر فتتبع لعصبة الأمم تحت وصاية أمريكا التى تعطى فى هذا الإبان نفسه الوكالة على أرمينية إلى أن تصير هذه البلاد صالحة لأن تحكم نفسها بنفسها

ثم إن اليونان سيصيبها جزء ليس بقليل من آسيا الصغرى ، وأما باقى ولايات هذه الجهة فتكون تحت وكالة فرنسا وإيطاليا بالنيابة عن عصبة الأمم

في الآستانة

كان لدى الدول فرصة وحيدة لوضع تركيا تحت سيطرة دولية ثم رؤي اتباع طريقة أخرى وهي تقسيم البلاد وتجنيبها بجنسية الحكومات التي لها عليها حق الوكالة أو الوصاية لاحق التملك الحقيقي

إننا بتضحية تركيا وبتشريح هذه المملكة أوجدنا أوجها للنزاع والشقاق بين دول أوربا في المستقبل إذ أن الرجل المريض سينقل عدوى مرضه إلى أوروبا ولأجل تعميم العدوى دخلت أيضا أمريكا في المسرح ولنا أن نتساءل ما شأن أمريكا في تركيا؟ ولماذا لم تكلف الدول صاحبة الشأن حماية مضايق البحر؟ هل تدخلنا نحن في مراقبة ترعة بناما؟

إن الحل الوحيد هو عدم تخصيص الآستانة لدولة معينة من الدول وإذا كان لابد من وضع مراقبة على تركيا فليس ثمت أحسن طريقة من جعل هذه المراقبة دولية مشتركة، وكل طريقة أخرى تكون مخالفة للعدالة وللروح العصري والصوالح الأوربية في الشرق.

وجاء في جريدة الفيغارو في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

الارث العثماني

بعد انكسار ألمانيا العسكري وانهزام دولتي تركيا والنمسا والمجر أصبحت هاتان الدولتان الأخيرتان مزعزعتي الأركان وتولد عن ذلك مسألة من أصعب المسائل وأعقدها ألا وهي تسوية الارث العثماني

إن سقوط الدولتين المذكورتين أنقذ الشعوب التي ليس لها رغبة ولم يعد لها صبر على احتمال نير الحكم الاستبدادي الذي رزحت تحته أجيالا طويلة

فالذين تؤول إليهم تركة تركيا هم أولا اليونان الذين بعد أن تخلصوا من ذلك الملك الخائن انضموا إلى قضية الحلفاء — ثم الأرمن الذين بسبب السياسة الخرقاء الوحشية من عمال الألمان قاسوا أشد أنواع العذاب وأوشكوا أن ينقرضوا ويليهم السوريون الخ

وانجلترا تأخذ بلاد العراق وفرنسا تأخذ سوريا ، أما العرب فقد قرر الحلفاء منحهم الاستقلال .

وراثة الخــــلافة

إن انحلال تركيا أوجد مسألة أيلولة الخلافة كما أنه وضع حداً لنهاية نفوذ فرنسا في الشرق ـ لقد كان عدة قرون أكبر نفوذ بسياستنا الودية مع تركيا ، وقد حلت ألمانيا محلنا عند ما أهملنا المحافظة على هذا النفوذ ، وكان في إمكاننا استرجاع مكانتنا الأولى على أثر صولة النصر إلا أننا لم نغتنم هذه الفرصة بل قبلنا تسوية مجحفة بمصالحنا ـ فما يكون نصيب فرنسا بالنسبة إلى البلاد المقسمة التي وضعت تحت وصاية انجلترا وأمريكا ، إن ما خصص لنا إنما هي سوريا بعد استثناء تليسيا وفلسطين منها وحرمانها من البوغازين المهيمن أعني بهما ثغري اسكندرونة وحيفا

وجاء في جريدة لافنير (المستقبل) في ١٨ مايو سنه ١٩١٩

تعديل الخريطة — إعادة نظام النمسا وانحلال تركيا

عزم المؤتمر على فحص المسألة التركية وقد بدأ هذا الفحص بارسال مدرعات وجيوش دولية لاحتلال أزمير التي تقرر ضمها إلى اليونان وتم ذلك فعلا

تقرر أيضا ضم سوريا إلى فرنسا ولكن لم ينفذ هذا القرار وجعل العراق وفلسطين تابعتين لانجلترا وقد تم ذلك ثم ينتظر الحاق اضاليه وقونية بإيطاليا والاستانة وأرمينية بأمريكا

أما التركي فانه يحسب تخويل الشعوب حق تقرير مصيرها قد صار إزالته من الخريطة والمأمول أن هذه المخالفة لمشروع عصبة الأمم لاتتم لأنه ليس من حسن السياسة تحريك عواطف الوحدة الاسلامية في أنحاء العالم وأضرارها

فاليونان القاطنون فى تركية أوربا سينضمون إلى دولتهم التى ستتمتع كثيراً على أثر هذا الانضمام كما أن ولاية أزمير – حيث يكون العنصر اليونانى – ستنضم أيضاً إلى دولة اليونان بناء على التوكيل المعطى لهذه الدولة وبحسب الشروط المعينة لذلك

وأما مشروع إنشاء أرمينية الكبرى مع ضم أطنة ومرسين اليها ليكون لها منفذ على البحر المتوسط ، فالمنظور أن أمريكا تكون الوصية على هذه البلاد كى تساعدها على ارتقائها ونموها كما أنها ستكون على الراجح هى الوصية على الاستانة وعلى المضايق التابعة لها أيضا — فاذا قبل الرئيس ويلسون هذه الوكالة باسم الشعب الامريكى لا يكون قبوله نافذاً ونهائياً إلا بعد موافقة مجلس الشيوخ الأمريكى عليه .

وفرنسا تكون الوصية على سوريا بالنظر لعلاقتها القديمة بها لكن لابد أن تكون هذه الوصاية شاملة للبلاد السورية بأكلها وليس على سوريا مقسمة

ولا ريب فى أن المخابرات التى جرت فى ذلك كان فيها بعض التراخى من قبل فرنسا لكن من الضرورى أن تؤيد حقوقنا بكل حزم وعزم

بلاد الأناضول ستعطى لايطاليا مع ميناء أضاليا

ثم إن فلسطين والعراق يكونان تحت مراقبة انجلترا

هذا هو التقسيم الذى تم الاتفاق عليه بادىء بدء وبقى فى آسيا الصغرى جزء مأهول بسكان أتراك يحتوى على بروسه وأنقره ، وقد طلب من فرنسا حماية هذا الجزء لأن بروسة حيث يقيم السلطان تكون عاصمة المملكة العثمانية الجديدة وتتمنى أن لا يتبع الحلفاء سياسة التجزئة فى آسيا الصغرى والذى نراه هو أن تكون دولة تركيا المقبلة تحت أشراف مستشارين أوروباويين وبمعاونتهم

(المنار) هذا نموذج مما كان ينشر فى جرائد الحلفاء منذ عامين بياناً للرأى العام فى بلادهم عقب الحرب التى كانوا فيها هم المنتصرين ، وكان أكثر الناس من

جميع الأمم يظنون أن ما تقوله هذه الجرائد هو القول الفصل الذى لا مرد له لأنه صدى سياسة دولهم المنتصرة التى لها الدهر عبد والزمان غلام ، وقد وضعوا المعاهدات لجعل تلك الأمانى حقوقا ثابتة ولكن الزمان جاء بما لم يكن فى حسبان أحد من الخطوب والمشكلات التى عجز جميع دهاة السياسة عن حل عقدة واحدة من عقدها الكثيرة وقد جف ريقهم من كثرة ما نفثوا فيها ودميت أظافرهم من تكرار محاولتهم لها ، فكان ذلك حجة بالغة على جهل المغرورين بالقوة والعظمة الباطلة الذين يرتكسون فى اليأس عند سماع كل صيحة هائلة (فاعتبروا يا أولى الأبصار)

(المنار ١٣٥٩) لم يقف الأمر عند حد هذه المشكلات بل قامت الثورات فى كل جهات العالم الاسلامى ، فقد ثارت مصر وثارت العراق ، وثارت سورية وثارت فلسطين ثوراتها المقدسة . وثارت المغرب مرات متتابعة . ولازالت كل بقعة من بقاع العالم الاسلامى تطلب الحرية والاستقلال بكل وسيلة وستنتصر فى النهاية ولعل هذه الحرب الحالية هى المعول الذى يحطم من الشرق الإسلامى القيود والاغلال .

من مشكاة النبوة

عن أبى حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال استعمل النبى ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى إلى ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت إلى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه ، فقال اللهم هل بلغت ، متفق عليه

السـيد الامام

محمد رشيد رضا

ناظر دار الدعوة والارشاد بمصر

بقلم وكيله وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم آل رضا

أشهر رجال الاصلاح فى العصر الحديث ثلاثة ـ حكيم الشرق السيد جمال الدين . والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . والسـيد الامام محمد رشيد رضا ـ وغرضهم الذى سموا له إصلاح أمتهم بما صلح به سلفهم . وقد كثر ـ والحمد لله ـ مؤيدوهم ينقلون مايؤثر عنهم ويشيدون بهم وبأعمالهم ويدعون إلى الاقتداء بهم فى جميع المعاهد العلمية وغيرها .

فأما السيد جمال الدين الأفغانى . فكانت خطته الاصلاحية سياسـية تبعاً لميله واستعداده . وأما الشيخ محمد عبده فكان همه الاصلاح والتجديد من طريق التربية والتعليم . وقد استفاد السيد رشيد مماذهبا اليه ومضى على سننهما وجمع بين خطتيهما ، وبنى على أساسهما ، فله رأى صائب فى السياسة وأثر محمود فيها فنبه الأفكار الى معرفة حقوق الأمة وأيقظ الهمم لأخذها، وسعى أيضا لتجديد أمر هذه الأمة من طريق التعليم والوعظ والارشاد والتربيـة الدينية التى هى قوام الفضائل ، وصار بذلك أشهر من نار على علم .

وإنى مبين هنا جهاده فى سبيل مدرسة دار الدعوة والارشاد فى مصر وفى الاستانة ، ثم فى مصر ثانية وثمرته ونفعه . وقد صبر صبراً جميلا على ما لاقى من أذى الحاسدين والمارقين .

وكانت مدرسة الدعوة والارشاد هذه داخلية تنفق على طلبتها الداخليين

وتكفيهم كل شيء حتي الكتب والادوات المدرسية ، وكانت تعني بتربيتهم على الفضيلة والنظام ، وبمراقبة أخلاقهم وآدابهم . وفيها قسم خارجي يتعلم فيه الطلبة .

والغرض منها تخريج طائفتين من العلماء تعد طائفة منهم للدعوة إلى الله والدفاع عن دين الله بحسب ما تقتضيه حال الزمان ، وتعد الطائفة الثانية بالتربية والتعليم لارشاد المسلمين وتعليمهم ما يرجى أن يقلل الفواحش والمنكرات والبدع والخرافات . وقد وعد صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفيه الذى الذى كان رئيسا لجماعة الدعوة والارشاد بأن يستعين بهؤلاء المرشدين على اصلاح الطرق والتوسل بذلك الى إرشاد اتباعها إلى حقيقة ما كان عليه سلف الامة الصالح فى عباداتهم وآدابهم .

وكان نظام التعليم فى المدرسة جامعا بين حقائق الدين وحكمته وموافقته لما يقتضيه التطور الاجتماعي وسنن العمران ، وبين ما يحتاج اليه علماء الدين من العلوم العصرية والكونية .

وأول ما بدأ السيد رشيد رضي الله عنه نشر أفكاره الاصلاحية في التربية والتعليم أن وجه الى الازهر الشريف في سني مجلة المنار الاولى رسائل تتضمن أصول الاصلاح الذي يراه واجبا ومنها ما نحن بصدده وهو الوعظ والإرشاد العلم والدعوة الى الاسلام . وقد اقتنع الازهر في السنين الاخيرة بها وأخذت كلياته في تنفيذها على قدر كفاءة رجالها

وأما بدء السيد السعى لتأليف جماعة الدعوة والارشاد فكان فى مصر فى عهد الوزير الاكبر المرحوم رياض باشا ، واقتنع الباشا بصلاح المشروع وأن يكون رئيسا للجمعية، ولكن حالت أحوال دون تنفيذه

ثم قصد السيد إلى الاستانة سنه ١٣٢٧ وكانت تلقب بدار الخلافة ودار السعادة ــ بعد الانقلاب الدستورى الذى فرح به الاحرار وبنوا عليه العلالى والقصور ـ ليؤسس فيها جمعية الوعظ والارشاد .

وقد استقبله رجال الانقلاب السياسى وشيخ الاسلام ووزراء الدولة أحسن استقبال وشاركوه فى تأسيس الجمعية وإنشاء دار الدعوة والارشاد . وقرر مقدار المال ووضعت القوانين والأنظمة وبقى السيد فى الاستانة سنة كاملة يعلل النفس بتحقيق الأمل وانجاز الوعد وتنفيذ الامر واجرائه . ولكن لما تكشفت له الحقائق بالمراوغة والمخادعة عاد الى مصر القاهرة . وانما قصد السيد تنفيذ المشروع بكفالة الدولة العثمانية ليسهل تعميمه فى العالم الاسلامى بدون ضغط أجنبى .

ثم فى سنة ١٣٢٩ أسس السيد جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها الكلية دار الدعوة والارشاد فى مصر وهو يراها أكبر همه ومن أعظم ما يتقرب به الى ربه . كيف لا والاصلان اللذان سميت المدرسة باسميهما وكانت بهما هما أهم مقاصد الاسلام الكافلان لنشر هدايته وتعميم دعوته وافادة متبعيه بالوعظ والارشاد العلم للمسلمين فى مساجدهم ومجامعهم بالخطابة ونشر الرسائل المحتوية على ما يحتاج اليه من حسن المعاملة

والمباشرة وحفظ الصحة .. وبالدعوة الى الاسلام . وأخذت المدرسة في تربية طائفة من التلاميذ واعدادهم لذلك الامر العظيم وهو أمر أوجبه الاسلام وقصر أهله عن نشر هدايته وعن الدعوة اليه والدفاع عنه وقد أبدى بعض سفراء الحكومات تخوفا من هذا المشروع لسمو الخديو عباس حلمي وأجاب سمو الامير أنه لا يخشى منه شيء من الضرر وأنه يضمن بشخصه كل تبعة .

هذا ولا بد من التصريح بأن سمو الأمير عباس حلمي باشا خديو مصر طلب السيد رشيدا اليه بعد عودة السيد من الاستانة وطلب منه أن يشرع بتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد في مصر لان سموه يرى أن وجود مدرسة الدعوة والارشاد وجمعيتها في مصر سيقنع الدول بانشاء مثلها في الاستانة . ويمكن حينئذ توحيد المشروع في العاصمتين وبذلك يصير تعميمه في البلاد أضمن وأوفى . ومعنى رغبة سمو الخديو هذه أن الازهر الشريف لم يكن يغني المسلمين غناء مدرسة الدعوة والارشاد في ذلك الحين .

والذي حمل سمو الخديو على ذلك حرصه على خدمة الاسلام وحسن ظنه بالسيد الامام . وقد نقل عنه رئيس ديوانه المؤرخ الشهير أحمد شفيق باشا أن سموه قال « إن السيد محمد رشيد هو لسان الاسلام في هذا العصر » ولذا صار كثير التعضيد للمدرسة وزارها مشجعا وهي في أول نشأتها . ثم أمر مدير الاوقاف أن يضع لها مبلغا من المال ابتداء

من سنتها الثانية وأوصى أن تقرر الاوقاف فى ميزانية السنين التي تليها كل ما يقدره مجلس ادارة المدرسة لنفقاتها .

ثم سافر سمو الخديو إلى الاستانة ووقعت الحرب العامة وكان من أمرها ما كان مما لافائدة من ذكره الان

واستمرت المدرسة عامرة بالتعلم بعد ذلك عامين آخرين نضب فى أثنائهما معين الاعانات من الاوقاف وأصحاب المروءات.. وتحمل السيد من تلك النفقات وصبر عليها حتى عجزت ثروته عنها. وانقضت حياة التدريس فيها بعد أن كانت عامرة بها أربعة أعوام . ولكن آثارها الطيبة فى نفوس طلابها ومن يتصل بهم لاتنقطع بكر الاعوام لانها مؤسسة على تقوى من الله ورضوان .

هذه خلاصة تاريخ جهاد السيد فى تأسيس المدرسة التى كانت موضع أمله فى اصلاح المسلمين وارجاعهم إلى ما كانوا فيه من عز وكرامة ولم يهن ولم يصبه الملال بل جدد سعيه لتجديد حياة المدرسة لدى عظمة السلطان حسين كامل . وكان وعده وهو أمير بالمساعدة المعنوية والمادية وقال الامير . إنى طالما فكرت فى هذا المشروع وفي حاجة المسلمين إليه وأنه لولا الموانع لكنت أشتغل وأعمل فيه بنفسى وكان عظمة السلطان فى مقدمة كبراء المسلمين الذين يجزمون بأن الاصلاح الاسلامى الدينى والدنيوى يتوقف على العمل الذى يراد من دار الدعوة والارشاد ولكن شؤون السلطنة وغيرها .. حالت دون

مساعدة السلطان حسين رحمه الله وأحسن ثوابه .

هذا ولشدة حرص السيد رشيد على نجاح دار الدعوة والارشاد لاعتقاده بأنها حاجة ماسة للاصلاح الاسلامى المنشود وجه سعيه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد لعله يحقق عرضه . ومما كتب السيد فى مذكرة قدمها الى رئيس الديوان ليعرضها على جلالة الملك قوله رحمه الله تعالى (ولما كنت أعلم بالدليل المؤيد والاختبار وشهادة عقلاء المسلمين أن هذه المدرسة ضرورية لخدمة الاسلام فى هذا العصر وأن مصر أولى بها من غيرها من أمصار الاسلام لانها فى مقام القدوة لها . وهى مرتبة لا يعقل أن ترضى مصر بالتخلى عنها . على أنها أحوج اليها من غيرها فانه لا يوجد قطر اسلامى فيه من الفوضى الدينيه والأدبيه فى عامته مثل القطر المصرى فاكثر أفراد الطبقات العامة الدنيا ليسوا على شىء من الوازع الدينى ولا الادبى كما يعلم من كثرة الجنايات . ويستحلون كل منكر إذا غلب على ظنهم الامن من الحكومة وهم عرضة لقبول كل دعوة الى عصبية من عصبيات المدنية المادية . . . فمستقبل البلاد من هذه الجهة حالك الظلام . ولا عاصم من شرها كالدين اذا قام بهدايته من عقله واهتدى به فعلا بتربية صالحة . ولا يرجى مثل هذا لمن يتعلم العلم على انه حرفة يعيش بها . وأما مدرسة دار الدعوة والارشاد فانها تربى تربية روحية اخلاقية حتى يكون الباعث على الارشاد من أعماق سائر طلابها ووجدان قلوبهم لا يبتغون عليه أجراً إلا من

الله الذي فرضه عليهم . وهي على قلة زمن الدراسة فيها قد أخرجت أفرادا من المصريين ، والمغاربة ، والهنود ، والجاويين ، والقوقاسيين ، والشاميين ، ومن الجزيرة لاهم لهم من حياتهم الا إرشاد المسلمين الى حقيقة دينهم ومصالح معايشهم)

ومن أولئك الافراد فى تلاميذ دار الدعوة والارشاد فضيلة أبى السمح الشيخ عبد الظاهر محمد الامام والخطيب فى بيت الله الحرام ومنشىء مدرسة دار الحديث فى مكة المكرمة . ومن علامات اعتزازه بالانتساب الى دار الدعوة والارشاد أنه عتب على لما لم أذكر اسمه بين أسماء بعض تلاميذ السيد فى مقالة سابقة عنه رحمه الله . وقال انه يفخر بان السيد كان يخاطبه برسائله اليه (بولدنا الروحى)

ومن صفات الاستاذ أبى السمح أنه صالح فى سيرته وأخلاقه وجيد تلاوة القرآن الكريم بخشوع يؤثر فى سامعيه أحسن التأثير وجيد الخط أيضا . ولذا اختاره السيد أن يكون مراقبا للطلبة فى أخلاقهم والقيام بعباداتهم فى الليل والنهار ومعلما ترتيل القرآن الحكيم وتحسين الخط

وفى مقدمة الذين ينسبون الى المدرسة ما عندهم من مزايا أخلاقية وفضائل نفسية حضرة الزعيم المجاهد مفتى الديار القدسية السيد أمين الحسيني . وكذلك المسلم العربى الكريم السيد يوسف ياسين . وإن أنس لا أنسى كلمة كتبها من بحرة وهو فى معية جلالة ملك المملكة

العربية السعودية منتظرين فتح جده فى أشد حمارة القيظ التى تكاد تغلى الادمغة من شدتها . قال حينما يكاد يستولى على الضعف ويصيبنى الوهن كنت أتذكر دروس التفسير للسيد فى المدرسة وكأنى أسمع صوته ينفث فى قلوبنا روح الفضيلة يقوى إرادتنا ويربى أرواحنا فتشتد عزيمتى وأنفض غبار الوهن عنى . والمجال يضيق عن ذكر كثيرين من المريدين وقد سبق لى أن ذكرت طائفة منهم .

وبذل السيد سعيه لتجديد عهد المدرسة أيضا لدى ملجأ السلفيين حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود . ولما لم يتيسر ذلك اقترح السيد على جلالته إيفاد طائفة من أبناء الشيوخ ليتفقهوا فى الدين برعاية السيد واشرافه وكان من المتوقع أن يعمل بهذا الاقتراح .

ولما قام مصطفى كمال باشا قومته وكان موضع آمال المسلمين — أرسل إليه السيد كتابا مع رسول ، ومما رجى فيه أن يكون لمدرسة الدعوة والارشاد من عنايته أوفر نصيب لانها أساس لكل ما يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر من اصلاح

وإنما ذكرت هذا لاستيفاء أدوار المدرسة .

والسيد رضى الله عنه كان لا يألو جهدا فى نشر أفكاره الاصلاحية بالتعليم كما ينشرها بالقلم وكان يجتمع عليه فى دار المنار كثيرون من خيرة المعلمين المربين من الأزهر والقضاء الشرعى ودار العلوم ومدارس المعلمين ونبهاء الموظفين يسألونه العلم . وكانوا اذا وجدوا فى مباحثهم مسألة مشكلة معقدة لم يستطيعوا حلها بعد البحث والتنقيب والمراجعة فى الكتب فانهم يرجعون الى السيد الامام لحل الاشكال وبيان الحق والصواب فيها : وحينما يجتمعون لذلك بعد مغرب يوم الخميس فان السيد يسألهم عن موضوع الليلة ؟ فيجيبون المسألة الفلانية ، ثم يأخذ السيد فى بحث ما ورد وقيل فيها ثم يخلص إلى الحكم بأن الصواب فى المسألة كذا فينحل الاشكال وتزول الغشاوة التى كانت حاجبة الحقيقة . وكانما حطت عن

ولما اشتدت الأزمة سألته هل هو مستعد للدفاع ؟ قال نعم إذا وافق الملك وإذا خالفناه نخشى أن يلجأ إلى الأجانب — ولما عين يس باشا الهاشمي قائداً لموقع العاصمة عقب الانذار وأظهر للوزارة ما فيها من النقص أي على خلاف ما كان يقول ثم إنه وافق الوزارة على قرار التسليم بما طالب غورو — بعد هذا كله رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكلمته وحده كلاما شديدا وذكرته ببعض كلامه فقال ووجهه ممتقع كوجه الميت انني مذنب وأتحمل تبعة عملي وكدت البارحة انتحر من الغم فلا تزد علي. ولما خرج الى الدفاع بمن بقي معه من بقايا جيشه تزين ولبس ملابسه الرسمية ووطن نفسه على الموت — فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل ان يعيش ذليلا بل أراد ان يكفر بدمه عن ذنب التقصير المبني على الثقة والغرور

كان فشل هذه المدافعة بخان ميسلون أمرا جليا لا يجهله منه ولا مثلي من لا يعلم من الحرب شيئا ، ولذلك رغب إلى الكثيرون أن أخطب في المتطوعين وفي بعض المساجد في الحث على الدفاع فامتنعت — كما أبيت مراراً أن أخطب في الاحتفالات السياسية — وقلت لبعض الخواص أنني لا أغش أحدا ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لأنه يضر الآن ولا ينفع، وقد نصحت للعاملين في كل شيء في وقته فلم يفد — على أن ما اندفعت اليه الامة من أمر الدفاع شريف ولا بد منه .

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة أن فيصلا كان يعتقد أن الوصاية على البلاد أمر مقضي وأنه لا يمكن إيجاد قوة وطنية تحفظ الاستقلال ، فكان لذلك يجتهد في إرضاء كل ذي مكانة وتأثير إلى أن يضع الحلفاء القرار الاخير الذي كان يرى أنه قادر على المضي إلى جعل وطأة الوصاية فيه خفيفة ، ولذلك لم يهتم بأمر الاستعداد

للدفاع بتنظيم قوى العشائر ولا بالجيش النظامى ولم يكن يعتقد أنه يهاجم هذه المهاجمة فلما هوجم لم يجد بدا من الخضوع — فهو لم يستعد للقتال ولو دفاعا وما اضطر اليه من إيجاد جيش دفاعى جيش منظم بادر إلى تسريحه عند الحاجة اليه وقد أعلن الحرب فى الوقت الذى كان يفاوض فى أمر التسليم وهو لا يزال يرى أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ بعدم الاستبداد لتنفيذ ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطته وعمله مراراً فى أوربا وبلغنا أنه يريد أن ينشر فيه كتاباً رسميا .

وأما زعماء الأمة الذين خالفوه فقد بينا أنهم علموا بعد طول الاختبار أن الدولتين شرعتا فى تنفيذ ما اتفقتا عليه من استعمار بلادهم، فالأولى أن تقاومهم الامة بالحجة وبالدفاع عن نفسها إذا هاجموها بالقوة ليكون مركزهم فيها مركز المغتصب وقبول الانتداب يجعله شرعيا .

وأما الجنرال غورو فكانت سياسته إخراج الشريف فيصل من سوريا مهما تكن حاله لانه ناصبهم وأغرى العصابات والعشائر بهم وصار له نفوذ فى البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم فى كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين انجلترا التى يعدونه من صنائعها المخلصين لها — فهو قد حارب الامير فيصلا القائد الحجازى الذى يعده أجنبيا عن سوريا لانقاذ سوريا من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية ، وعد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر فى الاقوال والمكتوبات الرسمية .

الطور الاخير للمسألة العربية

إن ما تفاقم على الدولة البريطانية من معضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية وإعيائها دون حل عقدها وعقدة منها قد اضطرها

الله الذى فرضه عليهم . وهي على قلة زمن الدراسة فيها قد أخرجت أفرادا من المصريين ، والمغاربة ، والهنود ، والجاويين ، والقوقاسيين ، والشاميين ، ومن الجزيرة لاهم لهم من حياتهم الا إرشاد المسلمين الى حقيقة دينهم ومصالح معايشهم)

ومن أولئك الافراد فى تلاميذ دار الدعوة والارشاد فضيلة أبى السمح الشيخ عبد الظاهر محمد الامام والخطيب فى بيت الله الحرام ومنشىء مدرسة دار الحديث فى مكة المكرمة . ومن علامات اعتزازه بالانتساب الى دار الدعوة والارشاد أنه عتب على لما لم أذكر اسمه بين أسماء بعض تلاميذ السيد فى مقالة سابقة عنه رحمه الله . وقال انه يفخر بان السيد كان يخاطبه برسائله اليه (بولدنا الروحى)

ومن صفات الاستاذ أبى السمح أنه صالح فى سيرته وأخلاقه ومجيد تلاوة القرآن الكريم بخشوع يؤثر فى سامعيه أحسن التأثير ومجيد الخط أيضا . ولذا اختاره السيد أن يكون مراقبا للطلبة فى أخلاقهم والقيام بعبادتهم فى الليل والنهار ومعلما ترتيل القرآن الحكيم وتحسين الخط

وفى مقدمة الذين ينسبون الى المدرسة ما عندهم من مزايا أخلاقية وفضائل نفسية حضرة الزعيم المجاهد مفتى الديار القدسية السيد أمين الحسيني . وكذلك المسلم العربى الكريم السيد يوسف ياسين . وأنى أنس لا أنسى كلمة كتبها من بحرة وهو فى معية جلالة ملك المملكة

العربية السعودية منتظرين فتح جده فى أشد حرارة القيظ التى تكاد تغلى الادمغة من شدتها . قال حينما يكاد يستولى على الضعف ويصيبنى الوهن كنت أتذكر درس التفسير للسيد فى المدرسة وكأنى أسمع صوته ينفث فى قلوبنا روح الفضيلة يقوى إرادتنا ويربى أرواحنا فتشتد عزيمتى وأنفض غبار الوهن عنى . والمجال يضيق عن ذكر كثيرين من المريدين وقد سبق لى أن ذكرت طائفة منهم .

وبذل السيد سعيه لتجديد عهد المدرسة أيضا لدى ملجأ السلفيين حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود . ولما لم يتيسر ذلك اقترح السيد على جلالته إيفاد طائفة من أبناء الشيوخ ليتفقهوا فى الدين برعاية السيد واشرافه وكان من المتوقع أن يعمل بهذا الاقتراح .

ولما قام مصطفى كمال باشا قومته وكان موضع آمال المسلمين — أرسل إليه السيد كتابا مع رسول ، ومما رجى فيه أن يكون لمدرسة الدعوة والارشاد من عنايته أوفر نصيب لانها أساس لكل ما يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر من اصلاح

وإنما ذكرت هذا لاستيفاء أدوار المدرسة .

والسيد رضى الله عنه كان لا يألو جهدا فى نشر أفكاره الاصلاحية بالتعليم كما ينشرها بالقلم وكان يجتمع عليه فى دار المنار كثيرون من خيرة العلماء المربين من الأزهر والقضاء الشرعى ودار العلوم ومدارس المعلمين و نبهاء الموظفين يسألونه العلم . وكانوا اذا وجدوا فى مباحثهم مسألة مشكلة معقدة لم يستطيعوا حلها بعد البحث والتنقيب والمراجعة فى الكتب فانهم يرجعون الى السيد الامام لحل الاشكال وبيان الحق والصواب فيها : وحينما يجتمعون لذلك بعد مغرب يوم الخميس فان السيد يسألهم عن موضوع الليلة ؟ فيجيبون المسألة الفلانية ، ثم يأخذ السيد فى بحث ما ورد وقيل فيها ثم يخلص إلى الحكم بأن الصواب فى المسألة كذا فينحل الاشكال وتزول الغشاوة التى كانت حاجبة الحقيقة . وكأنما حطت عن

المستمعين أثقال . رحم الله السيد محمد رشيد رضا منشيء (المنار) ومفسر القرآن الحكيم وناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد فقدخدم أمته داعيا إلى الله ومدافعا عن دين الله ومرشدا إلى ماينفع الناس على بصيرة .أفنى في ذلك أربعين عاما صابرا ثابتا شأن الراسخين في العلم والمؤمنين ، لاتأخذه في الحق لومة لائم غير هياب ولاوجل على كثرة ماكاده الحاسدون والدجالون والملحدون بضروب الأذى ولم ينالوا منه منالا لأن الله لايهدى كيد الخائنين .

طرابلس ـ لبنان عبد الرحمن عاصم

من مشكاة النبوة

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم إلى قوله فاسقون ، ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم

رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن

في الاسراء والمعراج

محاضرة فضيلة الاستاذ أبو الاشبال الشيخ محمد شاكر القاضي الشرعي
بقاعة المحاضرات في جمعية الشبان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾

أيها السادة

يجتمع حفلنا هذا المبارك الليلة إشادة بذكرى آية من أعظم آيات النبوة اختص الله بها عبده محمداً صلى الله عليه وسلم من دون سائر الأنبياء عليهم السلام وأمره أن يصلى بهم فى بيت المقدس ، موطن النبوات الأولى ، وأمرهم أن يقتدوا به ، تشريفاً لقدره وتعظيما ، ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى وإشارة إلى عموم بعثته ، كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٤ ـ ٢٨ » وتعليما لأممهم وأتباعهم وأن يؤمنوا به ويصدقوه ويقتدوا به كما اقتدى أئمتهم الأنبياء ، ودخلت أمامتهم فى أمامته إلى يوم القيامة ، فهو إمام الأئمة وهو الإمام الأعظم ، فمن آمن به من أتباع الأنبياء فقد آمن بهم ، ومن لم يؤمن به فلم يؤمن بواحد منهم . ومصداق ذلك قول الله تعالى « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٣ ـ ٨١ » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين جاءه عمر بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه — والذى نفسى بيده — لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى

أيها السادة

إن الاسراء والمعراج حادثان من أبرز الحوادث فى السيرة المحمدية الشريفة وقد دعيت لأن أتحدث اليكم فى شأنهما ، وما أرانى أهلا لهذا المقام الخطير ولكنى على ثقة من أغضائكم عن قصورى وتقصيرى عفواً منكم وفضلا .

والكلام فى شأنهما يدور على أنحاء شتى من القول ، أوقن أنى عاجز عن الاحاطة بها واستيعابها ، وحسبي أن أقصر قولى على النحو الذى أرجو أن يكون لى به علم ، والذى أظن أنه لى به علم شيئا من الاختصاص ، وهو البحث فى اثباتهما من الوجهة التاريخية ، وأعنى بذلك الوجهة الحديثية ، إذ أن نسبة أى قول أو فعل إلى النبى صلى الله عليه وسلم مما يدخل على المحدث ، وهو الذى يرجع اليه فى إثباته أو نفيه ، بعد تحديد موضوعات العلوم وخصوص كل صنف من العلماء بما أحسنوه من العلم .

والقواعد التى سار عليها علماء هذا الفن — فن الحديث — هى أصح القواعد للاثبات التاريخى وأعلاها وأدقها ، وإن أعرض عنها كثير من الناس وتحاموها بغير علم ولا بينة ، بل إنا لنجد بعض الباحثين يعرضون لاثبات الأحاديث ونفيها بآرائهم وأهوائهم ، فمهما رأوا من شىء نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان موافقا لرأى ينصرونه فهو الحديث الصحيح عندهم وإن كان مكذوبا موضوعا ، ومهما رأوا من حديث صحيح ثابت وكان مخالفة لما تنصره أهواؤهم ، فهو الحديث الضعيف أو المكذوب وإن كان إسناده من أقوى الأسانيد وأصحها وأثبتها عند العارفين بها ولعلهم لم يقرءوا طول حياتهم إسنادا صحيحا أو ضعيفا . ولم يعلموا قليلا ولا كثيرا مما بذله علماء الحديث من الجهد فى التحرى والتوثق والتتبع لأحوال الرواة وألفاظ الأحاديث ومعانيها وما ألفوا فى ذلك من الدواوين الكبار والمعاجم الموسوعة من منتصف القرن الثانى

الهجرة إلى أوائل القرن العاشر

أيها السادة

قد عنى المسلمون بحفظ أسانيد شريعتهم من الكتاب والسنة بما لم تعن به أمة قبلهم فحفظوا القرآن ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواتراً آية آية كلمة كلمة وحرفاً حرفاً حفظاً في الصدور وإثباتاً بالكتابة في المصاحف حتى رووا أوجه نطقه بلهجات القبائل ورووا طرق رسمه في المصحف وألفوا في ذلك كتباً لو حدثتكم عن شيء منها لاخذكم العجب ، ولعل بعضكم يكون أعلم بها مني . وحفظ المسلمون أيضاً عن نبيهم كل أقواله وأعماله وأحواله وهو المبلغ عن ربه والمبين لشرعه والمأمور بإقامة دينه ، وكل أقواله وأفعاله بيان للقرآن وهو الرسول المعصوم والاسوة الحسنة ، اسمعوا قوله تعالى في صفته (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ٥٣ ـ ٣و٤) وقوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ١٦ ـ ٤٤) وقوله أيضاً (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ٣٣ - ٢١ »وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهته قريش فذكر ذلك للرسول فقال ـ اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق ففهم المسلمون من كل هذا أنه يجب عليهم أن يحفظوا عن رسولهم كل شيء وقد فعلوا وأدوا الامانة على وجهها ورووا الاحاديث عنه وبعضها متواتر ، إما لفظاً ومعنى وإما معنى فقط وبعضها مشهور ، وبعضها بالاسانيد الصحيحة الثابتة بما يمشي على قواعد المصطلح للحديث الصحيح وللحديث الحسن ولم يحتجوا في دينهم بغير هذه الانواع التي لا يعارض فيها إلا جاحد أو مكابر .

وقد بين الامام الحافظ أبو محمد بن حزم هذه الانواع في كتاب الملل والنحل وقال عن النوع الاخير المسمى عند علماء المصطلح بالآحاد ، إنه هو ما رواه الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخبر كل واحد منهم

باسم الذى أخبره ونسبه ، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان على أن أكثر ما جاء هذا المجرى فانه منقول نقل الكواف . اما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وأما إلى الصاحب وإما الى التابع ، وإما إلى امام أخذ عن التابع يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن ، والحمد لله رب العالمين وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها . وأبقاه عندهم غضا جديداً حديثا على قديم الدهور منذ أربعمائة وخمسين عاما ، فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال يرحل فى طلبه من لا يحصى عددهم إلا خالقهم إلى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده . قد تولى الله تعالى حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين فلا تفوتهم زلة فى كلمة فما فوقها فى شىء من النقل إن وقعت لأحدهم ، ولا يمكن فاسقا أن يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر

أيها السادة .

هذه صورة مصغرة ، بل لمحة خاطفة ، على المجهود الهائل الذى بذل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم للمحافظة على آثار نبيهم ﷺ طاعة لما أمر به أصحابه فى حجة الوداع « ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » أفيجوز بعد ذلك لكل من ركب رأسه . وأعجبه عقله ، ورضى عن نفسه — أن يقول هذا حديث صحيح وهذا حديث غير صحيح . أولا يعلم أنه حين يرد حديثا صحيحا ، أما بنفى ثبوته وأما بتأويله عن غير وجهته — يرمى رجالا من الثقاة الاثبات والعلماء الحافظين ، بأنهم كاذبون أو جاهلون وهو لا يعرف شيئا من أخبارهم ولا أحوالهم ، وإنه إنما يرميهم فى دينهم وأماناتهم وصدقهم وأنه حين يرضى عن حديث مفترى فيزعم أنه صحيح ثابت . يشارك من افتراه فى فريته ويدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » .

أيهـا السادة

أرجو أن تعذرونى إذا أطلت القول فى ذلك ، فانه بسبيل مما نعرض من إثبات حديث الاسراء والمعراج . ولأن الجراء من النـاس استرسلوا فى العبث بالسنة الشريفة عدوا وبغيا .

فلم يكتفوا بتكذيب الرواة الثقـاة والائمة الاثبـات ، بل زادوا عدوانا وطغيانا . اجترءوا على تكذيب بعض أصحاب رسول الله عليـه الصلاة والسلام وهم رسله إلى من بعدهم ، والأمناء على دينه وشريعته ، وهم الذين أثنى الله عليهم فى القرآن بما لم يثن على غيرهم من أصحاب الأنبياء ، وهم السابقون المقربون رضى الله عنهم ورضوا عنه

أيها السادة

إن حديث الاسراء والمعراج من الأحاديث الثابتة الصحيحة ، وقـد جاء بروايات كثيرة متواترة ، منها المطول ومنها المختصر ، ألفاظ مختلفة ، وكلها تدل فى مجموعها على صحة هذه الحادثة وعلى ثبوتها التاريخى ، مما يسميه العلماء (التواتر المعنوى) وقد ورد من حديث أنس بن مالك ، ومن حديث غيره من الصحابة ، ونقل الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٥ .. ٢٤٣) عن الحافظ ابن الخطاب عمر بن وحيه أنه ذكر ذكره من حديث أنس ثم قال ، وقـد تواترت الروايات فى حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعـلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشـداد ابن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبى حبة وأبى ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ماوقع فى المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة

والملحدون « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » فهؤلاء ستة وعشرون صحابيا رووا حديث الاسراء . وقد جمع الحافظ بن كثير أكثر رواياتهم ، بأسانيدها في تفسيره (ج ٥ ص ١٩٧ — ٢٤٣) على معرفة مواطنها من كتب الحديث الصحاح الستة وغيرها وسأحدثكم ببعض الروايات الصحيحة فيها

روينا بالاسناد الصحيح المتصل عن إمام المحدثين أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل في مسنده قال حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل . يضع حافره عند منتهى طرفه . فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين . ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن . فاخترت اللبن وقال جبريل أصبت الفطرة . ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل ومن أنت . قال . جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . فقيل . وقد أرسل إليه ؟ قال أرسل إليه . ففتح لنا فاذا أنا بآدم . فرحب ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل . فقيل ومن أنت ؟ قال جبريل . فقيل ومن معك ؟ قال محمد . فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه . قال ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال وقد أرسل إليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن . فرحب ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال وقد أرسل إليه ففتح الباب فاذا أنا بادريس فرحب ودعا لي بخير . ثم يقول الله عز وجل « ورفعناه

مكاناً علياً » ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل قد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل قد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل قد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم صلى الله عليه وسلم وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها . قال فأوحى الله عز وجل إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال . ما فرض ربك على أمتك . قال قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة . قال . ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي عز وجل فقلت أي رب خفف عن أمتي ، فحط عني خمساً فرجعت الى موسى فقال ما فعلت قلت حط عني خمساً ، قال إن أمتك لا تطيق ذلك . فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال . ولم أزل أرجع بين ربي وبين موسى . ويحط عني خمساً حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل عشر . فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة فان عملها كتبت عشراً . ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فان أمتك لا تطيق ذلك . فقال رسول الله ﷺ لقد رجعت إلى ربي حتى لقد استحييت

هذه الرواية إحدى روايات الحديث ، وهي أجودها وأتقاها وقد رجحها كثير من الحفاظ على غيرها . وإن كان فيها شيء من الاختصار في بعض المواضع وقد رواها مسلم بن الحجاج في صحيحه (١ — ٩٩) حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك . وإسنادها من الاسانيد التي نص أئمة الحديث على أنها أصح الأسانيد ، وروى الامام أحمد أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما ليركبه فاستصعب عليه ، وقال جبريل ما يحملك على هذا والله ما ركبك أحد قط أكرم على الله عز وجل منه قال . فارفض عرقا وروى أيضا بنفس هذا الاسناد عن أنس . أن النبي ﷺ قال « رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة ، نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان فقلت ياجبريل ما هذان ؟ قال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وهذان أيضا حديثان صحيحان رواهما أئمة ثقات أثبات

أيها السادة

ومما ورد من الأحاديث الصحيحة ما رواه الامام أحمد ومسلم في صحيحه من طريق معمر بن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « حين أسري بي لقيت موسى عليه السلام فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل ضرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة قال فلقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس — يعني حماما — قال ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه وأنا أشبه ولده به قال فأتيت بإناءين في أحدهما لبن ، وفي الآخر خمر فقيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقال هديت الفطرة — أو أصبت الفطرة — أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

وروى الإمام احمد من طريق عوف الاعرابى عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة فظعت بأمرى وعرفت أن الناس مكذبى ، فقعد معتزلا حزينا ، قال فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه وقال له كالمستهزىء هل كان من شىء فقال رسول ﷺ نعم . قال ماهو . قال انه أسرى بى الليلة . قال إلى أين . قال إلى بيت المقدس . قال ثم أصبحت بين ظهرانينا . قال نعم قال فلم يرد أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه ، قال أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى فقال رسول الله ﷺ . نعم فقال هيا معشر بنى كعب بن لؤى فانتفضت اليه المجالس ، وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى فقال رسول الله ﷺ « إنى أسرى بى الليلة . قالوا إلى أين . قلت إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم . قالوا وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد . وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال رسول الله ﷺ . فذهبت أنعت . فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت ، قال فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه ، حتى وضع دون دار عقال أو عقيل ، فنعته وأنا أنظر اليه قال فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب .

وهذا — أيها السادة — حديث صحيح أسنده رجال ثقات أثبات ورواه أيضا ابن أبى شيبة والنسائى والبزار والضياء فى المختارة وغيرهم وجاء هذا المعنى عن جابر بن عبد الله مختصراً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس ، قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى والطبرى فى تفسيره .

وقال الحافظ الثقة محمد بن سعد فى كتاب الطبقات الكبير (ج ـ ق ١ ـ ١٤٤) وأخبرنا حجين بن المثنى نا عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة عن عبد الله بن

الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ؛ فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله إلي أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ؛ وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ؛ فإذا موسى قائم يصلي ؛ فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي ، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي ؛ وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم — يعني نفسه — فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل . يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ؛ فالتفت إليه فبدأني بالسلام .

وهذا أيضا حديث صحيح ثابت ، رواه في صحيحه عن زهير بن حرب عن حجين بن المثنى شيخ ابن سعد فيه .

هذا قليل من كثير مما ورد من الأخبار الصحيحة في الإسراء والمعراج وكلها تدل دلالة صريحة واضحة على أن الإسراء والمعراج كانا بشخصه الكريم صلى الله عليه وسلم ، أي بجسده وروحه ، ولا يفهم منها سامعها غير ذلك ؛ وقد بدا لبعض الأولين من المتقدمين والمتأخرين أن يتأولوا كل النصوص ويفهموا منها أن الإسراء والمعراج كانا بروحه فقط ، وزعم بعضهم أن ذلك كان رؤيا في المنام . ولا نجد لواحد من هذين الفريقين دليلا يعتمد عليه في نقل دلالة الأخبار عن ظاهرها وصريحها ، وهو مدلولها الحقيقي في وضع اللغة ، فإن التأول نوع من المجاز الذي لا يصار إليه في الكلام إلا بدليل أو قرينة واضحة . نعم ، قد نجد حديثين عن عائشة ومعاوية ؛ يوهمان أن الإسراء لم يكن بجسده الشريف وهما حديثان ليسا مما يحتج بمثلهما أهل العلم بالحديث ؛ وقد رواهما ابن إسحق في السيرة قال : حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه . وقال حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن

الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال كانت رؤيا من الله صادقة . قال ابن اسحاق عقيب ذلك . فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن . هـذه الآية نزلت في ذلك قول الله عز وجل (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ولقول الله عز وجـل في الخبر عن إبراهيم عليه السلام ، إذ قال لابنه (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبيـاء أيقاظا ونياما ، وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول . تنام عيني وقلبي يقظان . فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أي حاليه كان نائماً أو يقظان كل ذلك حق صدق . هذا كلام ابن اسحاق الذي نقله عنه ابن هشام في تهذيب سيرته وهو ظاهر في أن ابن اسحاق لما رأى كلمتي عائشة ومعاوية تردد في أنه كان في اليقظة أو في النوم ، ولم يستطع أن يجزم بشيء ، ولـكنه لم يستطع أيضا أن ينفي ما دلت عليه الأخبار أن ذلك كان يقظة عيانا بروحه وجسده ﷺ

أيها السادة

إن كلمة ابن اسحاق واستدلاله بخبري عائشة ومعاوية ـ في غالب رأينا ـ هي أول ما نقل عن العلماء المتقدمين من الخلاف في هذه المسألة ثم جاء بعد من جزم بما تردد فيه ، واستدلال ابن اسحاق بهذين الخبرين غير جيد ، فإنهما خبران ضعيفان ليس لهما إسناد صحيح ، وقد أطلت البحث عنهما فلم أجد لهما إسنادا غير ما ذكر ابن اسحق ، أما خبر معاوية فإنه منقطع ، لأن راويه يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس لم يدرك معاوية ولم يدرك أحداً من الصحابة أصلا ، وإنما يروي عن التابعين فقط . ومات سنة ١٢٨ ومعاوية مات سنة ٦٠ . وأما حديث عائشة فإنه كما ترون لا إسناد له ، لأن قول ابن اسحاق حدثني بعض آل أبي بكر إبهام للراوي ، فلا نعرف منه من الذي حدثه ، وهل هو ثقة أو ليس بثقة

وهل أدرك عائشة أو لم يدركها فكلا الحديثين منقطع الاسناد ، مجهول الراوي لا يحتج بمثله عند أهل العلم .

وقد نقل الامام أبو جعفر ابن جرير الطبري في تفسيره قول ابن اسحاق ثم رده أبلغ رد فقال: « والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال . إن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده . وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق حتى أتاه وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه من الآيات . ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده . لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فيه ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته . ولا حجة له على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه . اذ لم يكن منكرا ولا عن أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام على مسيرة سنة . فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل وبعد فان الله أخبرنا في كتابه أنه أسرى بعبده . ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده وليس جائزاً لأحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره . . ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله (أسرى بعبده) أسرى بروح عبده بل الادلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق . ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق . اذ كانت الدواب لا تحمل الا الاجسام إلا أن يقول قائل إن معنى قولنا أسرى بروحه . رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الاخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل حمله على البراق . لان ذلك اذا كان مناما على قول قائل هذا القول . ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب . ولم يحمل على البراق جسم النبي صلى الله عليه وسلم . لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على قوله حمل على البراق . لا جسمه ولا شيء منه وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل، وما تتابعت

به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين .

أيها السادة

هذا ما قاله الطبرى في الرد على ابن اسحق ، وقد رأيتم وهن حجته فيا روى عن عائشة ومعاوية ، وقد جاء عن عائشة ما يخالف رواية ابن اسحق ، فروى الحاكم في المستدرك من طريق ابراهيم بن الهيثم البلدى عن محمد بن كثير الصنعانى عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الاقصى ، أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبى بكر ، فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس . قال أو قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك فقد صدق فقالوا أوتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم أنى لأصدقه فيا هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء في غدوة أو روحة . فلذلك سمى أبو بكر الصديق ، وقد رواه البيهقى عن الحاكم فيا نقله الحافظ ابن كثير ، ورواه أيضاً ابن الأثير في أسد الغابة ، باسناده من طريق المفضل بن غسان عن محمد بن كثير الصنعانى » وهذا إسناد صحيح صححه الحاكم ووافقه الحافظ الذهبي . وهو ينقض رواية ابن اسحاق المجهول اسنادها لان عائشة رضى الله عنها تروى أن خبر الاسراء كان من أثره أن كذب من كذب ، وارتد من ارتد ، وأن أباها الصديق رضى الله عنه صدق الخبر وأبان عن حجته في التصديق ، فلو كانت ترى أن ذلك كان بالروح أو أنه كان مناما ، لما كان هناك معنى عندها للتصديق والتكذيب ولا فتنة يفتن بها من ضعف يقينه فيرتد عن دينه ، إذ كان لاغرابة فيا يراه النائم ، وإذ كان العرب يصدقون الكهان فيا يخبرونهم به عما غاب عن أبصارهم فلم يكن لهم ان يكذبوا رجلا يحدثهم عن رحلة روحية تكون أقرب إلى خيالات الاوهام إذا فهموا من كلامه انه إنما أسرى بروحه ثم عرج بها إلى السماء . وإنما المفهوم الواضح انهم يكذبون من يحدثهم بشيء يرونه غير داخل تحت قدرة البشر ، وشيء يعجز الانسان بجسمه وعقله وبروحه أن يقوم به وحده .

أيها السادة

قد اجترأ بعض الباحثين من المتقدمين والمتأخرين فجزموا بما ردد فيه ابن اسحق وزعموا أن الاسراء كان بالروح أو كان مناما ، ولم يتنبهوا الى أنه لو كان ما زعموا صحيحاً لما جعله الله سبحانه من آيات النبوة لنبيه ، ولما أثنى على نفسه بهذه المعجزة الباهرة إذ قال « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » ومن الغرائب أنهم احتجوا بما نقله من غير اسناد عن عائشة ثم أخطئوا في نقلهم خطأ ينقض حجتهم ، فان رواية ابن اسحاق عنها ما فقد جسد رسول الله ، بالبناء للمجهول فنقلوها . ما فقدت جسد رسول الله فجعلوا حجتهم محمل معول هدمها . لأن الثابت الصحيح أن الاسراء كان ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة ، ولم تكن عائشة إذ ذاك تزيد سنها عن السابعة . ولم تكن في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يدخل بها إلا في المدينة بعد الهجرة ، فليس من المنطق السليم أن يحكى عن لسانها أنها تقول . ما فقدت جسد رسول الله

أيها السادة

نقل بعض المؤلفين عن الحسن بن أبي الحسن البصري القول بأن الاسراء كان مناماً . وهذا أيضا نقل خاطىء . فانه لم يرو عنه هذا القول بأي إسناد والذي يبدو لي أن الذين نقلوا عنه هذا القول قرءوا كلام ابن اسحاق وفهموه على غير وجهه . لانه نقل روايتي عائشة ومعاوية ثم احتج لتأييدهما بأنه لم ينكرها أحد . لان الحسن قال إن قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) نزل في ذلك أي الاسراء والمعراج فهو يريد الاحتجاج بكلمة « الرؤيا » لغلبة استعمالها فيما كان مناما . وبأنه اذا كانت الآية نزلت في هذه الحادثة كان ذلك لا ينفي قول من زعم أن الاسراء والمعراج لم يكونا في اليقظة ففهم بعض من قرأ قوله أنه ينقل عن الحسن ما يوافق كلمتي عائشة ومعاوية . وهذا فهم خطأ يظهر خطؤه واضحاً لمن تأمل سياق الكلام ومعناه

وقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) نزل فى شأن الاسراء والمعراج على القول الراجح عند العلماء . ولكن احتجاج ابن اسحاق بذلك لتأييد كلمتى عائشة ومعاوية غير جيد . لان الرؤيا تستعمل أيضا فى الرؤية بالعين . ففى لسان العرب . قال ابن برى وقد جاءت الرؤيا فى اليقظة

قال الراعى

فكبر للرؤيا وهش فؤاده　　وبشر نفساً كان قبل يلومها

وعليه فسر قوله تعالى . وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس وعليه قول أبى الطيب ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

وقد روى الامام أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى بيت المقدس وليست برؤيا منام (وفى لفظ) شىء أريه النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة رآه بعينه حين ذهب به الى بيت المقدس وليس أصرح من هذا نص ولا أقوى منه حجة لان ابن عباس وهو ترجمان القرآن يفسر به الاية ويروى أن الاسراء كان فى اليقظة وينقل وهو العربى القرشى الهاشمى الفصيح . ان كلمة الرؤيا تكون وهى لغة القرآن بمعنى الرؤية

أيها السادة

لما طغت على أوربا موجة الالحاد وارتكس أهلها فى عبادة المادة بعد أن كانوا فى ظلمات من الجهالة فى دينهم ودنياهم ، حتى سموا الحقبة الماضيـة من تاريخها حقبة القرون الوسطى — بالعصور المظلمة ، ثم ملكوا زمام الصناعات بما فتح لهم من زهرة الدنيا وزينتها ، وكانت الأمة الاسلامية قد تخاذلت شعوبها ودب فيها الضعف والانحلال . بما تركت من دينها ، وما نسيت من مجدها ، وكانت أوروبا لم تنس هزيمتها أمام المسلمين فى الحروب الصليبية ، انتهزت هذه الفرصة وزحفت على بلاد الاسـلام تفتحها بالسيف والمادة . وتفتح عقول أبنائها بعلوم الدنيا ، وتنزع منها علـوم الدين ، وتتغلغل فى معتقداتهم لتسلها من قلوبهم بما ملك رجالها من السلطان على تربية أبناء المسلمين وبما وضعوا عليه أيديهم من شئون

الحكومات وبما احتكروا من طرق التكسب الحر واستغلوا الضعف الانسانى بالحاجة الى طلب العيش فأخرجوا لنا من صنع أيديهم رجالا مسلمين تأبى نفوسهم أن تسلم بكثير من عقائد الاسلام وما ورد فى الكتاب والسنة ، ويستنكرون بعض التشريعات الاسلاميه بخصوصها فى الحدود والربا وحجاب النساء والزواج والطلاق والمواريث والأوقاف وهم يوقنون بأنهم مسلمون ولا ترضى قلوبهم وضمائرهم أن ترتطم فى لجة الردة من الاسلام فترى فيهم حالة نفسية شاذة وحيرة روحية غريبة لا خلاص لهم منها ولا نجاة ويمنعهم الكبر العلمى أن يخضعوا تفكيرهم لما يخالف ما نشأ عليه معلومهم خطوة خطوة فلا يجدون أمامهم ايقنعوا أنفسهم ويرضوا ضمائرهم ، الا أن يتأولوا مخالف آرائهم من نصوص القرآن وظواهره سواء احتملت التأويل أم لم تحتمل وكان شأنهم فى السنة عجبا فمنهم من يرفضها كلها ويريد أن يقنع الناس — قبل أن يقنع نفسه — بتكذيب كل الرواة وبوضع كل الاحاديث ومنهم من يتأول ما أمكنه تأوله ثم يرفض سائرها

أيها السادة

كان من آثار هذه التعاليم ومن نتائج هذه الحيرة فى كثير من المتعلمين ما ترون من التهالك على التجديد فى الدين - زعموا - ومن محاولة إنكار وجود الملائكة والجن وتأول النصوص الواردة فى ذلك ومن محاولة انكار الخوارق الكونية التى جعلها الله سبحانه معجزات أيد بها أنبياءه ورسله إلى الناس ، بتأويلها إلى ما يخرجها عن وجه الاعجاز ويدخلها تحت مقدور الانسان ومن انكار كل المعجزات الكونية التى أيد الله بها نبينا محمداً ﷺ والتى تثبت عند المسلمين بالتواتر طبقة من طبقة مما لا يحتمل الشك أو التردد فضلا عن تكذيبه كله تحكيما للعقل فيما يظنون .

أيها السادة

ان العالم ليس محصوراً فيما يقع تحت الحس الانسانى فقط ومن زعم ذلك فقد حد من قدرة الله بل انه لم يؤمن به ولذلك وصف الله المتقين بأنهم (الذين يؤمنون بالغيب) أى يؤمنون بما أخبرهم به الانبياء مما خرج من إدراك

البشر بقواهم المحدودة — وقد أخبرنا الله سبحانه في كتابه بصريح القول أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأخبرنا الرسول ﷺ أنه عرج به الى السموات . وأشار الله سبحانه الى ذلك في القرآن . اقرءوا قوله تعالى (والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى : علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الاعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فليس للمؤمن الذي يؤمن بالغيب مندوحة عن تصديق ما أخبر الله به ورسوله . وان عجز عقله عن ادراك حقيقة ما آمن به وكل علمه إلى عالمه كالشأن في المتشابه من القرآن يقول الله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب ٣ — ٧) فمن حاول تأويل آيات الله التي أيد بها أنبياءه فما زاد عن أنه يكذب بها وهو يظن أنه يستر تكذيبه

أيها السادة

إن الذين زعموا أن الاسراء والمعراج كانا بالروح أو مناما من المتقدمين ، إنما زعموا ذلك استدلالا بأخبار رأوها في ذلك . وقد بينت لكم أنها أخبار ضعيفة وأن الاستناد اليها خطأ . وأما الذين يزعمون ذلك من المعاصرين فانما يدعون أن نبينا محمداً ﷺ لم تكن له معجزة غير القرآن وينكرون كل الأخبار المتواترة في المعجزات ويظنون أن الاسراء والمعراج ينافيان ما اصطلح على تسميته في هذا العصر « بالعلم » لأن العلوم المادية لم تثبت قدرة الانسان على نقل الاجسام بمثل هذه الصورة التي حكيت في حديث الاسراء والمعراج ، وما أنا بمتعرض الآن لما يثبته العلم وما ينفيه ولكني أسألهم هل يؤمنون بما حكى

الله في القرآن من قصة سليمان مع ملكة سبأ . فقد أخبرنا الله سبحانه بما دار بين سليمان وبينها من المراسلة ، ثم قال تعالى (قال . يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك . فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر . ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم)

فهذه حادثة لاتحتمل تأويلا استطاع فيها رجل من أصحاب سليمان عليه السلام بما علمه الله من الكتاب ، أن ينقل عرش الملكة من اليمن إلى الشام في مثل لمح البصر ، ويؤمن بصحتها كل مسلم يصدق القرآن وهي من نوع الاسراء والمعراج في نقل الاجسام ، فماذا تسمون من يؤمن ببعض الآيات وينكر بعضها

أيها السادة

قد فشت بدعة منكرة في هذا العصر ، وهي بدعة تأويل نصوص القرآن لتطابق ما يسمونه « العلم الصحيح » أو « العلوم الكونية » تقربا إلى متعلمي هذه العلوم ، أو تملقا إلى أساتذتهم المستشرقين ، وهم طلائع المبشرين وسواء عليهم أكانت هذه النظريات العلمية ثابتة بثبوت اليقين ، أم كانت من الظنون التي يفترضها العلم افتراضا ويرجحها لانه لا يوجد فرض آخر أرجح منها . وإنما الذي يهم هؤلاء المتأولين أن يسميهم الناس مجددين . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أيها السادة

لقد أطلت الكلام فيما عمدت اليه ، وأحس أني قد أمللتكم ومجال القول ذو سعة وحسبي أن قد تفضلتم بالإصغاء إلي . وأستغفر الله لي ولكم

أبو الأشبال

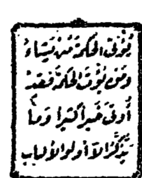
أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

(الجزء العاشر) المجلد الخامس والثلاثون

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

شعبان ١٣٥٩ — سبتمبر سنة ١٩٤٠

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

« ويقولُ الذين كفرُوا لولاَ أنزِلَ عليهِ آيةٌ من ربهِ، إنما أنتَ منذِر ولِكلِّ قومٍ هادٍ » (٧)

تشير الآية الكريمة إلى صفة من صفات الكفار وحجة من حججهم الواهية التي يتعللون بها في تكذيب الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ويحاولون بها التشكيك في صدقهم ويعترضون بها رسالاتهم، وفي الآيتين السابقتين عرض لبعض هذه الحجج فهم يستبعدون البعث بعد الموت وهم يستعجلون العذاب

الدنيوى ، ويستبطئون نزوله بالمخالفين ويريدون أن يتخذوا من هذا وذاك حجة لهم على أن الرسول ليس بصادق ، وقد علمت ما فى ذلك من المغالطة والضعف .

وهذه الآية تقرر أن هؤلاء أخذوا يقترحون على الرسول أن ينزل عليهم آية يستدلون على صدقه ، وقد تكرر هذا المعنى فى كثير من آيات القرآن الكريم بل ورد فى هذه السورة نفسها فى موضع آخر قول الله تبارك وتعالى «ويقول الذين كفروا لو لا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب» وفى سورة الأنعام ورد ذلك فى موضعين ، ففى الأول منهما اقترحوا آية معينة «وقالوا لو لا أنزل عليه ملك» وفى الثاني اقترحو آية مبهمة «وقالوا لو لا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون» وفى سورة طه «وقالوا لو لا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى» وفى سورة يونس «ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم من المنتظرين» وفى سورة الاسراء ذكر لآيات مفصلة اقترحوها «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا» وقد تكرر طلبهم نزول الملك بدلا من الرسول البشرى فى آيات كثيرة غير سورة الأنعام ففى سورة الحجر «وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ، لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ، ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين» وفى سورة يونس «فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله

على كل شيء وكيل» وفى سورة الفرقان «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها» وجاء فى سورة العنكبوت أنهم اقترحوا آيات لا آية واحدة ، فذلك قوله تعالى «وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون»

وقد بين القرآن الكريم أن تلك كانت سنة الامم السابقة أن يقترحوا على أنبيائهم الآيات المعجزات وأن يستعجلوهم بالعذاب فلقد قالت ثمود من قبل لصالح عليه السلام «ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين» سورة الشعراء ، وقال أصحاب الأيكة لشعيب عليه السلام «فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين» سورة الشعراء وقال فرعون لموسى عليه السلام «إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين» سورة الأعراف

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة جميعا الرد على مقترحاتهم هذه بما يفحمهم ويلجمهم وبينت أن السبب فى عدم إجابتهم ليس العجز عنها فان الله على كل شيء قدير ، وإنما السبب فى ذلك اعتبارات جلية وحكم سامية وردت منثورة فى هذه الآيات ، وهذه هي حكمة تكرارها وورودها فى سور كثيرة ومن هذه الاعتبارات والحكم التى تقتضى عدم إجابتهم إلى ما سألوا .

(١) بيان أن ذلك ليس من مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام فهم دعاة هداية وأساتذة إرشاد يبينون للناس الحق ويدعونهم إليه فمن اهتدى فقد فاز ومن أبى فقد خسر وليس من مهمة الرسل ولا من وظائفهم التصرف فى نواميس الكون ونظمه ، فذلك لله وحده إن شاء ذلك فهو على كل شيء قدير وإن لم يرده فلا قدرة لأحد عليه ، وقد أشير إلى هذا فى الجواب عليهم فى كثير

من الآيات السابقة مثل قوله تعالى « قل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين » سورة يونس « إنما أنت منــذر ولكل قوم هاد » « قل إن الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب » سورة الرعد « قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين » العنكبوت « قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولـكن أكثرهم لا يعلمون » الأنعام

وانما آثر وصف الانذار للرسل فى هذه الآيات الكريمة مع أنهم صلوات الله عليهم مبشرين ومنذرين كما جاء فى آية النساء « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » لأن هذا الوصف هو الأليق والاخلق بهذه النفوس العنيدة والرءوس الصلبة التى تأبي الايمان الا أن تقسر عليه قسرا ، فالمقام يقتضى هذا الوصف ، ولهـذا أفرد بالذكر دون الوصف الثانى وهو التبشير لأنه مقتضى المقـام ، وهذا المعنى هو الغالب على النفوس البشرية أن تقاد بالقهر والتخويف اكثر مما تقاد بالحب والتبشير .

(٢) بيان أن حكمة الله تعالى قد اقتضت أن الامــة التى تقترح الآيات ثم تكذب بها لابد أن تعذب عذاب استئصال ويأخذها الله تعـالى أخذ عزيز مقتدر فثمود حين كذبت صالحا أخذتها الصيحة والرجفــة ، وفرعون حين كذب موسى أخذه الله هو وجنوده فنبذهم جميعاً فى اليم وهكذا ، ولما كانت نبوة محمد ﷺ نبوة خالدة أبد الدهر وكانت أمته هى الوارثة إلى يوم القيامة وقد علم الله من عناد هؤلاء الكفار وصلابة رءوسهم أنهم لن يؤمنوا حتى ولو جاءتهم هذه الآيات كما قال تبارك وتعالى فى سورة الأنعام « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » وكما قال تبارك وتعالى فى هذه السورة نفسها « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » لما علم الله منهم ذلك لم يجبهم إلى ما طلبوا إذ لو أجابهم فكذبوا كما فعلت الأمم السابقة لاستأصلهم وأبادهم وذلك مخالف لمقتضى

بقائهم وورائتهم ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وأرسلنا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا » سورة الأسراء ، وقد صرحت به آية الحجر فى قوله تبارك وتعالى « وما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين » وقد يقال أن هذه القاعدة قاعدة الاستئصال لا تطبق على الأمة المحمدية فقد أمنها الله برسوله وبالاستغفار، فقال تبارك وتعالى «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » وهو قول محتمل .

(٣) بيان أن أفضل الايمان ما كان عن طواعيه واختيار، لا عن الجاه واضطرار وما كان عن نظر سليم وفكر ثاقب حكيم وتدبر لآيات الله وتقديس لقدرته وعظمته المتجلية فى كونه والبادية فى مخلوقاته والمتجلية فى إبقاء آيات كتابه الكريم ، والمعجزة الكبرى ، والآية الخالدة لنبينا ﷺ هي القرآن الكريم وفيه الكفاية كل الكفاية لمن تدبر وتذكر ، وقد ورد ذلك صريحا فى سورة العنكبوت فى قوله تعالى جوابا لهم على اقتراح الآيات « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » وقد روى الشيخان والترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة مرفوعا «مامن نبي من الانبياء الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله الىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وقد سبق فى هذا التفسير فى سورة الأنعام عند قوله تعالى « وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه» ذكر اعتراض وجوابه قال : « هذا وان بعض الكفار وبعض الشاكين والمتشككين فى الاسلام يقولون لو أن محمدا ﷺ أوتى آية بينة ومعجزة واضحة تدل على نبوته ورسالته لما طلب قومه الاية ، وأن هذا الجواب بقدرة الله على تنزيل الاية ومعنى العلم عن أكثرهم لا تقوم به الحجة عليهم المبطلة لحق طلبهم » ثم أجاب عن هذا بما خلاصته ما قدمناه من أن القرآن هو

المعجزة القطعية الباقية الخالدة لرسول الله ﷺ ـ على أن الجواب لم يقتصر على ما ذكر بل قد علمت أن الاجابات تعددت تلفت أنظارهم إلى حكمة الامتناع عن الارسال بالايات الخارقة . ويقال أيضا إنه لما كانت أسئلتهم أسئلة تعنت وإحراج ، لا أسئلة تثبت واسترشاد ناسب أن يجابوا بمثل هذه الاجابات (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)

« ولكل قوم هاد » أكثر المفسرون فى بيان المعنى المراد بالهادى فى هذه الاية ، فذهب بعضهم الى أن المراد به الله تبارك وتعالى ، وذهب آخرون الى أنه محمد ﷺ أو النبي أيا كان أو قائد يقودهم أو داع يدعوهم الى الخير : كل ذلك مروي بأسانيده ، وقال ابن جرير بعد أن أورد كثيرا من هذا (وقد بينت معنى الهداية وأنه الامام المتبع الذى يقدم القوم ، فاذا كان ذلك كذلك فجائز أن يكون ذلك هو الله الذى يهدى خلقه ويتبع خلقه هداه ويأتمون بأمره ونهيه وجائز أن يكون داعيا من الدعاة الى خير أو شر ، واذا كان ذلك كذلك فلا قول أولى فى ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه ، أن محمداً هو المنذر من أرسل اليه بالانذار ، وأن لكل قوم هاديا يهديهم فيتبعونه ويأتمون به)اهـ

وذكر الشيعة أن المراد بالهادى على كرم الله وجهه ، واستدلوا بذلك على خلافته وأوردوا فى الاستدلال له ما رواه بن مردويه والديلمى وابن عساكر عن ابن عباس قال لما نزلت انما أنت منذر الاية ، وضع رسول الله ﷺ يده على صدره ، وقال أنا المنذر وأومأ بيده الى منكب على كرم الله وجهه فقال أنت الهادى يا على بك يهتدى المهتدون من بعدى ، وبما أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائده وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه عن على كرم الله وجهه أنه قال فى الاية رسول الله ﷺ المنذر وأنا الهادى ، وفى لفظ والهادى رجل من بنى هاشم يعنى نفسه ، وقد أطال الآلوسى فى رد هذا

الخبر ومناقشته بما خلاصته أن تصحيح الحاكم لا يعتد به وأنه على فرض صحة الخبر فكل ما فيه أن عليا كرم الله وجهه من الخلفاء الراشدين الهادين المهديين ، ولا يخالف في هذا أحد من أهل الحق ، وقال ابن كثير في هذا الخبر فيه نكارة شديدة ، ولقد أفسد الناس كثيرا مما ينتفع به من علم على كرم الله وجهه بما دسوه عليه وما نسبوا كذبا اليه حتى روى مسلم بسنده عن طاوس قال أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على رضى الله عنه فمحاه إلا قدر : وأشار سفيان بن عيينة بذراعه ، وروى كذلك عن حسن بن على الحلواني بسنده عن أبى اسحاق قال لما أحدثوا تلك الأشياء بعد على رضى الله عنه قال رجل من أصحاب على قاتلهم الله أى علم أفسدوا .

ولا لزوم لان تحمل الاية الكريمة كل هذه الأقوال : فالله تبارك وتعالى يجيب هؤلاء المقترحين بأن مهمة النبي ليست الاتيان بالايات ولكن الانذار التى تترتب عليه الهداية ، وأن محمدا ﷺ وهو المنذر لهم لم يكن بدعا من الرسل فلكل قوم هاد يهديهم كما قال تبارك وتعالى « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » والله أعلم

وقد ورد الكلام فى هذه البحوث كلها مطولا فى تفسير المنار فى الأجزاء السابقة السابع والحادى عشر عند الكلام على سورتى الأنعام ويونس فليرجع اليه ففيه بحوث نفيسة لم نرد التطويل بتلخيصها

الاسلام والمعجزات والعجائب

ليست الرسالة بدعا من النظم بل هى فى حقيقتها ومهمتها نظام طبيعى بحت يستلزمه هذا الوجود الانسانى بما جبل عليه من فطر وأخلاق ، وإلى هذه الاشارة يقول الله تبارك وتعالى « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » ويقول تبارك

وتعالى حكاية عن نوح عليه السلام « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون »

وليس الوحى كذلك بدعا من النظم فى هذا الكون فهو لا يعدو أن يكون اتصالا بين بشر من بنى الانسان وبين الملأ الأعلى بأسلوب يتناسب مع طبيعة الروحانية الانسانية التى هى فى حقيقتها فيض من روحانية هذا العالم العلوى ، وليس عجيبا أن يتصل النوع بأصله وأن يعود الماء إلى نبعه متى تعلقت بذلك الارادة الالهية ؛

ولقد جاء هؤلاء الرسل الكرام يرشدون الناس الى الخير ويهدونهم سواء السبيل، وقد قص علينا القرآن الكريم من نبأهم ، وذكر أن الله تبارك وتعالى أيدهم بنصره وآياته وأن كثيرا منهم قد جاء قومه بما أعجزهم من خوارق العادات وعجائب الايات ، فسفينة نوح وناقة صالح وعصا موسى وعجائب عيسى كلها ورد ذكرها فى القرءان الكريم بما لا يدع مجالا للارتياب فيها ولا الشك فى وقوعها وحدوثها على أيديهم صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، وقد اختلف الناس فى أمر هذه المعجزات وسنلخص فى هذا البحث نظرة الاسلام الحنيف اليها ، وما يجب أن يعتقده المسلم بخصوصها

(١) تعريف المعجزة . المعجزة أمر خارق للعادة يقع على يد نبى مقرونا بدعوى التحدى

(٢) الحاجة اليها فى تأييد الرسالة . يخاطب الرسل عليهم الصلاة والسلام عقول الناس وأرواحهم وفى هذه العقول ما هو مشرق مستنير يدرك الحق بأشعته وأضوائه فيؤمن به ويتسلم له ويهتدى بهديه . وهؤلاء لا تحتاج الرسالة معهم الى معجزات أو عجائب ، ومن هذه العقول ما هو مظلم متحجر صلب لا تؤثر فيه موعظة ولا ينفع فى ارشاده ضياء ، وهؤلاء كذلك ميؤوس من اصلاحه مهما كانت العجائب والمعجزات ، وكلا الصنفين قليل فى الناس وانما

يكون عامة الناس ودهاؤهم في درجة عادية من الادراك العقلي تحتاج الى ما ينبهها من غفلتها ويوقظها من رقدتها ، وليس ذلك الا المعجزة تقرع آذانهم وتنفتح عليها أبصارهم فتحار فيها مداركهم وعقولهم ويؤمنون بأن هذا النبي إنما يتحدث عن قوة فوق قوتهم ويتصل بقدرة أعظم من قدرتهم ، ويستمد من عالم أسمى من عوالمهم ، ومن هذا الشعور يقادون الى الايمان وتنفتح بصائرهم لاستيعاب أدلته والنظر في حججه وبراهينه حتى يترقوا من هذا التسليم الى غايته وحقيقته ، ولهذا كانت المعجزة من لوازم الرسالة ولا يكابر في هذا الا جاهل بطبائع الناس أو مماريء حقائق الأمور

(٣) موقف الناس من المعجزات - أنكر كثير من المرتابين المعجزات قليلها وكثيرها ما تقدم منها وما تأخر بحجة أنها تخالف النواميس الكونية ولا تتفق مع نتائج البحوث العلمية ، وقد يحتج بعضهم بقول الله تبارك وتعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » وقد يلجأ بعضهم إلى تأويل ما ورد من النصوص القرآنية ، مشيرا ومصرحا بهذه المعجزات والخوارق .

وهؤلاء جاحدون جامدون متعسفون متكلفون ولا دليل لهم فيما ذكروا فإن نواميس الكون التي علمها الناس ليست هي كل شيء ولا زالت هناك نواميس لم تعرف بعد ولعلها أكثر مما عرفوا بل انها لكذلك ونتائج العلم الحديث لا تزال تترقى وتتغير وتتبدل بحكم ترقي الفكر الانساني وتقدمه . والآية الكريمة حجة عليهم لا لهم ، فقد علمنا بحكم الواقع أن من نواميس الله خرق النواميس الكونية لتأييد رسله وأنبيائه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وكثير من أمثال هذه العجائب تقع بين ظهرانينا ولا يقال انها خرق لنواميس الكون ، والآيات الواردة بهذه المعجزات في صراحتها ووضوحها لا تحتمل التأويل الا من متلاعب باللفظ صارف له عن مدلوله صرفا

تاما ، فضلا عن أن هذا التأويل لا موجب له بعد ما بيناه

وفريق ثان سلم بالمعجزة من حيث هي وبوقوعها في الامم السابقة على يد الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم كما ورد ذكر ذلك في القرآن ولكنه نفاها فيما يتعلق بأمة محمد ﷺ ورسالته نفيا تاما ، واحتج لذلك بأنها لم ترد في القرآن، وبتصريح القرءان برد الكفار عن مقترحاتهم هذه مع عدم اجابتهم اليهـا ، حتى ورد ذلك صريحا في نحو الاية الكريمة « وما منعنا أن نرسل بالايات الا أن كذب بها الاولون » وجرحوا ما جاء في ذلك من الاخبار الصحيحة وأولوا ما رأوا أنه يحتمل التأويل منها ، وقالوا ان المعجزة الكبرى لنبينا ﷺ القرءان الكريم ، واستدلوا لذلك بما قدمنا من حديث الشيخين والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة مرفوعا « ما من نبي من الانبياء إلا أعطي ما مثله أمين عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» قالوا فهذا الحديث الصحيح والايات الكريمة تنطق بأن اية النبي ﷺ هي القرءان الكريم ولا نعدل عن ذلك لآثار مهما صحت فهي لا تنهض لمعارضة هذه الأدلة

وهؤلاء قوم غالون قد ورطوا أنفسهم فيما لا موجب له من تجريح كثير من الأحاديث والأخبار الصحيحة التي لا مغمز فيها سندا ولا متنا وكلها تنطق بغرائب المعجزات التي وقعت على يد سيدنا محمد ﷺ كما ورد في حديث نبع الماء من بين أصابعه ﷺ وقد أخرجه الستة إلا أبا داود، وكما في حديث تكثير الطعام ، وقد رواه الشيخان من طرق عدة ، وكما في الأحاديث الكثيرة التي استجاب الله فيها دعاء نبيه ﷺ أو كف عنه الأذى أو أخبر فيها بما سيقع لأمته من بعـده ، وكلها صحاح لا مطعن عليها ولا داعي لتأويلها أو إنكارها من عقل أو نقل :

وفريق ثالث سلم بالمعجزة من حيث هي وبوقوعها للأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم وبوقوعها في هذه الأمة على يد رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم متى صح بذلك الخبر ولكنه نفى أن يكون ذلك لاثبات الرسالة ولكنه لكشف الأذى أو لاجابة الدعاء أو لتثبيت أهل الايمان الخ ، ولم يقع شيء فيها إجابة لمقترحات المشركين أو إقناعا لهم بصدق الرسول إذ أن دعامة الايمان فى هذا الدين الاسلامى الحنيف الاستدلال العقلى السليم ولا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، وقالوا إن فى ذلك جمعا بين الأدلة التى نفت والتى أثبتت فيكون المراد بالنفى نفى الاقناع والاستدلال ، ويكون المراد بالاثبات اثبات الوقوع من حيث هو ، وهو مذهب حسن ورأى معقول لا حرج على قائله ولا الاخذ به ، اذ كل ما هنالك تنزيه الاسلام على أن يستخدم هذه الخوارق كنوع من أنواع الادلة الاقناعية ، وهو كذلك

وقد اكثر جماعة من ايراد المعجزات وتلمس الخوارق والتعليم بكل ماورد من ذلك من طريق واه أو ضعيف بل موضوع يريدون بذلك أن يستدلوا لعظمة هذا الدين وعظمة النبى الذى جاء به ﷺ ، فأساءوا من حيث أرادوا الاحسان ودفعوا غيرهم الى إنكار الخوارق جملة والقدح فيها ولا لزوم لشىء من هذا فان هذا الدين عظيم متين بوضوح حجته واستقامة طريقه ، والرسول ﷺ كريم أمين بما اختصه الله به من عظيم الفضائل وجميل الصفات وسمو البعثة وخلود الأثر . وكان فضل الله عليك عظيما

بقى أن يقال ان انشقاق القمر معجزة وقعت لرسول الله ﷺ اجابة لاقتراح مشركى قريش وقد كذبوا به ، ومع ذلك فلم يهلكهم الله تبارك وتعالى ولم يستأصلهم ، وقد أجيب على ذلك بأمور منها أن هذه المعجزة لم تكن اجابة لاقتراحهم كما ورد فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فانه لم يذكر أنهم اقترحوا ذلك ، ولكن هذا لاينفى الاقتراح فى روايات أخرى ، ومنها قاعدة الاستئصال أغلبية لا كلية وأن أمة محمد ﷺ قد أمنها الله منها و جواب حسن لا بأس به ، ومنها أن أحاديث انشقاق القمر نفسها فيها كلام طو

وقد أفاض فى ذلك صاحب المنار فى المجلد الثلاثين ، وذهب الى أن هذه الاثار فى أسانيدها ومتونها ما يوجب ضعف الاعتماد عليها ، وتلك مسألة فنية الحكم فيها لقواعد المحدثين والمهم أن نخرجها من حيز الطعن فى العقيدة، فان الأساس مسلم من كل منصف وهو الايمان بما صح عن الله ورسوله من المعجزات التى وقعت لسيدنا محمد ﷺ ولعلنا نعود الى توفية هذا الموضوع حقه فى فرصة أخرى ان شاء الله

ختام السنة الخامسة والثلاثين

هذا هو العدد العاشر من المجلد الخامس والثلاثين من المنار ، وبه ينتهى هذا المجلد والحمد لله على كل حال .

ولقد صادفنا عدة عقبات خلال هذه الشهور الفائتة اقتضت هذا الاضطراب والتخلف فى ظهور الأعداد ، فنعتذر عن ذلك إلى حضرات القراء الكرام وسنعمل ان شاء الله تعالى فى المجلد القادم على أن تصدر الأعداد فى أول كل شهر عربى ، وسيكون موعد العدد الأول غرة ذى الحجة ان شاء الله ؛ ولقد كنا نأمل أن يظل صدور المنار فى حجمها الكبير من ثمانين صفحة لو لا غلاء الورق غلاء فاحشاً زاد على خمسة أضعاف الثمن مما جعل مضطرين الى اصدار العدد من ثلاث ملازم تشمل ثمانية وأربعين صفحة ، نعاني فى الحصول على الورق اللازم لها ما نعانى والله المستعان .

ولقد اعتبرنا هذه السنه الأعداد نصف سنة على أن يكون العدد الزائد هدية من الادارة لحضرات المشتركين ، وسنحتسب لحضرات الذين اشتركوا سنة كاملة خمسة أعداد من المجلد السادس والثلاثين ان شاء الله ؛ على أن تكون هديتهم وهدية من يتمون اشتراك سنة كاملة فى المجلد السادس والثلاثين باقية فى نهايته إن كان فى العمر بقيه وتوفيق ، والله حسبنا ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير .

فتاوى المنار

تقدم في هذا الباب الاجابة عن أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وله بعد ذلك أن رمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة فى الورود ان شاء الله والله المستعان

(٧) حكم الصلاة فى النعلين

« هل يصح تأدية الصلاة فى الأحذية ومعاملتها معاملة الخفين، وإن صح ذلك فما هي شروطه ، وهل جميع المذاهب تجيزه » أفيدونا مشكورين وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شبين القناطر   اسماعيل محمد سالم

فى هذا السؤال أمران حكم الصلاة فى النعلين وحكم اعتبارهما خفين يجوز المسح عليهما

فأما عن الأمر الأول فالصلاة فى النعلين الطاهرين جائزة باجماع المذاهب لورود الأحاديث الصحيحة بذلك « فعن أبي مسلمة سعيد بن يزيد قال سألت أنساً أكان النبي ﷺ يصلى فى نعليه قال نعم » متفق عليه ؛ وقد ورد ذلك فى كثير من الأحاديث الصحيحة ـ وهل الصلاة فى النعلين من العزائم والمستحبات أم هى من الرخص والتيسيرات أم هى من المباحات فقط ، أقوال واردة لاختلاف الأدلة ، وممن ذهب إلى الاستحباب الهادوية، وروى عن عمر رضى الله عنه باسناد ضعيف أنه كان يكره خلع النعال ويشتد على الناس فى ذلك وكذ عن ابن مسعود ـ وقال ابن بطال الصلاة فى النعال والخفاف من الرخص قال ابن دقيق العيد لا من المستحبات لأن ذلك لا يدخل فى المعنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من ملابس الزينة إلا أن ملامسة الأرض التى تكثر

النجاسات ، قد تقصر عن هـذه الرتبة ، وقال القاضي عياض الصلاة في
لين رخصة مباحة فعلها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ وذلك ما لم
نجاسة النعل ، وممن كان لا يصلي في النعلين عبد الله بن عمر وأبو موسى
شعري .

وكل هـذا إذا كانتا طاهرتين أو لم تعلم النجاسة عليهما ، أما إذا كانتا
ستين فالاجماع على خلعهما ما لم تطهرا لما أخرجه أبو داوود من حديث أبي
يد الخدري رضي الله عنه ن رسول الله ﷺ صلى فخلع نعليه فخلع الناس
لهم فلما انصرف قال لم خلعتم نعالكم ؟ فقالوا يا رسول الله رأيناك خلعت
منا ، قال إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثا ، فاذا جاء أحدكم المسجد
قلب نعليه فلينظر فيهما فان رأى بهما خبثا فليمسحه بالأرض ثم ليصل
بما . وهل تطهران بالدلك بالأرض أم لابد من التطهير بالماء ؟ في ذلك تفصيل
، القاضي عياض من المالكية إن علمت النجاسة وكانت متفقا عليها لم يطهرها
الماء وإن كانت مختلفا فيها كأرواث الدواب وأبوالها ففي تطهيرها بالدلك
لتراب قولان ، الاجزاء وعدمه ، وأطلق الأوزاعي والثوري إجزاء الدلك
ديث أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « إذا وطيء أحدكم
الأذى بخفيه فطهورها التراب» ويرى أبو حنيفة إجزاء الدلك إلا في البول
رطب الروث ويرى الشافعي ألا إجزاء إلا بالغسل بالماء وعند الحنابلة هذه
الأقوال جميعا . ومن متممات هذا البحث أن نلفت النظر إلى هذه الأمور

(١) إذا تعذر خلع النعلين لمانع قهري كما يكون ذلك للضباط والجنود
فإن في حكمهم فعلى المفتي أن ييسر الأمر عليهم ويجيز لهم الصلاة في النعلين
يحملهم على أيسر الأمور وحسبهم الدلك بالأرض

(٢) يلاحظ في صلاة النبي ﷺ وأصحابه بالنعال أن المسجد لم يكن

فيه فراش حينذاك ، وأن العرف قد جرى على البساطة التامة ، وأن النجاسات المغلظة لم تكن قد أحاطت بحياة الناس هذه الاحاطة ، وأن كثرة المشى فى الرمال كفيلة بالتطهير وأن الأمر لا يعدو أن يكون رخصة جائزة فالتغبت بهذا المظهر بحجة أنه إظهار سنة مهملة فيه نظر ، والأولى إيثار الخلع وخصوصاً وقد تغيرت كل هذه الاعتبارات جميعا والله أعلم

وأما عن الامر الثانى وهو اعتبار النعل كالخف فى جواز المسح عليها فلا مانع من ذلك بشروطه ، وهى أن يكون لبسهما على طهارة ووضوء تام ، وأن تكون النعل ساترة للرجل مع الكعبين خالية من خرق يمنع المسح . والله أعلم

أسرار البلاغة فى علم البيان

أصدرت « دار المنار » فى هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الامام « عبد القاهر الجرجانى » مطبوعا طبعاً متقنا على ورق جيد صقيل . والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف . وقد وضع فى وقت تحكمت دولة الألفاظ ، واستبدت على المعانى ، وهو خير ما كتب فى موضوعه عبارة وأسلوبا ، وإيضاحا للمسائل ، وبسطا للدلائل ، وقد امتاز بارجاع الاصطلاحات الفنية الى علم النفس ، وتأثير الكلام البليغ فى العقل والقلب ، وقد عنى بتصحيحه علامتا المعقول والمنقول المرحومان الشيخ « محمد عبده » والشيخ محمد محمود الشنقيطى ، وعلق حواشيه المرحوم « السيد محمد رشيد رضا »

وثمن النسخة ٢٥ قرشاً

موقف العالم الإسلامى السياسى اليوم

عرضنا لهذا الموضوع فى الجزء الخامس من هذا المجلد بعد شبوب هذه الحرب الطاحنة بشهور قلائل ، وقد جرت الحوادث مسرعة وتطورت الامور تطورا عظيما ، فقد فاجأت المانيا الدول المتحالفة باحتلال الدانيمرك ثم بغزو النروج وهولندا ولوكسمبرج وبلجيكا والاستيلاء عليها بعد مقاومات لم تستغرق طويلا من الوقت ، ثم وجهت بعد ذلك قوتها الى فرنسا فهزمتها فى أسابيع قليلة واحتلت باريس مع قسم عظيم من الاراضى الفرنسية ، واستقرت الحكومة الفرنسية فى فيشى بعد سقوط باريس ، وعقدت هدنة بين فرنسا والمانيا تخلت بها فرنسا عن حليفتها انجلترا تخليا تاما ، ومن عجائب القدر أن توقع شروط هذه الهدنة فى نفس غابة دكاپيبان التى وقعت فيها شروط الهدنة السابقة بين الالمان المنهزمين والحلفاء المنتصرين ، وأن يكون ذلك فى عربة القطار ذاتها التى وقعت فيها شروط الهدنة السابقة ، ولقد بين الماريشال بيتان رئيس الحكومة الفرنسية والقائد العام لجيوش فرنسا حينذاك عن أسباب انهيار فرنسا بكلمات قلائل ، ولكنها عظيمة المرمى حقا ، فقال « لقد دمرت روح اللهو والملذات ما شيدته روح التضحية » ثم خاطب الفرنسيين فقال « أدعوكم الى أن تهتموا بأخلاقكم قبل كل شىء » وكذلك يريهم الله آياته فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، وكذلك يصدق قول الله تبارك وتعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون »

وبهذا التحول فى شئون السياسة العالمية سقطت ثلاث دول من دول الاستعمار الكبرى وهى فرنسا وبلجيكا وهولندا ، إن فرنسا تبسط سلطانها على الهند الصينية وعلى سورية وعلى المغرب بأقسامه تونس والجزائر ومراكش وعلى

للمستعمرات الافريقية الأخرى ومعظم سكانها من المسلمين وبانهزامها يكون لهذه الأمم الحق في تقرير مصيرها ، ويكون من واجبها أن يعمل لذلك، ومن واجب العالم الاسلامي كله أن يساعدها على التحرير وعلى أن تنال حقوقها التي طال عليها الأمد ، وأن هولندا تحكم أكثر من سبعين مليونا من المسلمين ، في أندونسيا وما يجاورها ، ومن حق هؤلاء وقد أصبحت هولندا نفسها محتلة أن يتحرروا وأن ينالوا حقوقهم ، ومن واجبهم أن يعملوا لذلك، ومن واجب العالم الاسلامي أن يعينهم على العمل ، ولقد أخذت اليابان تتطلع إلى هـذا الاجزاء من الممالك الاسلامية في آسيا ، وأخذت المانيا وايطاليا تمهدان للاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من ذلك في سورية ، وفي المغرب الأقصى ، وتطلعت أسبانيا من جانبها إلى اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من جسم المغرب الذي اغتصبته فرنسا لتحل محلها فيه . هذه أماني باطلة وهذا ظلم لابد أن تكون له عاقبته ، فعلى هذه الدول أن تفكر في أساس جديد حقا يصلح لاقامة سلام إنساني ، ولن يكون هذا إلا بالعدل والانصاف ومنح الشعوب حريتها واستقلالها ومعاملتها بروح التعاون على خير الانسانية كلها ، ومن واجبنا نحن المسلمين أن نعمل لذلك ما استطعنا

ثم دخلت إيطاليا ميدان القتال وقد قاربت فرنسا الهزيمة وإيطاليا تجاور مصر قلب العالم الاسلامي في افريقية، وبذلك وقع الالتحام بين القوات الايطالية والانجليزية على الحدود المصرية ، وتوغل الايطاليون فعلا في أرض مصر حتى وصلوا إلى سيدي براني وعسكرت قواتهم هنـاك ، وأخذوا يهددون البلدان والمدن المصرية بالغارات الجوية في كثير من الأحيان .

وبدا لايطاليا أن تنذر اليونان باحتلال أرضها فقاومت اليونان ووقفت الحرب فهم وحمي وطيسها ونحن نكتب هذه الكلمات والمعارك على أشـدها بين القوات اليونانية والايطالية في ميـدان كورتيزا بألبانيا وأبيدوس وغيرها ، ولا تزال القوات اليونانية صامدة للغزاة صمودا باسلا أخلف ظن إيطاليا التي

ا كانت تقدر أنها ستلقى هذه المقاومة على ما يظهر ، ولقد شددت انجلترا ظهر يونان ، وأمدتها ببعض المساعدات من الطائرات والرجال ، وانتهزت الفرصة سانحة فأخذت تغير على الاسطول الايطالى والسواحل الايطالية وتلحق بها ضرارا حقة .

ولقد بدا لالمانيا من قبل أن تحدث انقلابا فى رومانيا فتم لها ما أرادت خلع الملك كارول وتنازل لابنه الملك ميشيل عن العرش وطبقت النظم النازية ، شئون الحكومة تحت رياسة الجنرال انتونسكو رئيس حزب الحرس الحديدى نازى المبادىء وتولت أمر الجيش الرومانى بعثة عسكرية المانية ، وبذلك تنقل مسرح الحوادث إلى البلقان .

وفى هذه الاثناء وقعت اليابان مع المانيا وإيطاليا تحالفا عسكريا كان الرد ليه من جانب انجلترا فتح طريق بورما الذى تستمد منه الصين حاجتها من نخائر والاسلحة ، ووقعت الانتخابات الامريكية لرياسة جمهورية الولايات متحدة ففاز بها الرئيس روزفلت للمرة الثالثة وكان لذلك مغزاه فى تقرير ساعدات الامريكية لانجلترا .

هذه هى الصورة الموجزة المجملة للحوادث التى مرت بالناس خلال هذه فترة وهى حوادث غيرت وستغير أوضاع الامم وأنواع الحكومات والدول عجيب أو طبيعى أن يكون العالم الاسلامى كله إلى الجمود أقرب منه إلى لحركة والعمل .

فأما أن ذلك عجيب فلأن كل شىء فى الحياة الآن يتغير ويتجدد ويتبدل يترقب ، وأما أنه طبيعى فلأن المسلمين حرموا التفكير أو بعبارة أدق حرية عمل لأنفسهم زمنا طويلا ، ولا زالت القيود الثقيلة التى وضعها الغرب فى يديهم وأعناقهم شديدة الوطأة ضيقة الحلقات ، ولكن واجبهم الملح الآن

أن يعملوا على تحطيم هذه القيود ، وأن يجدوا فيما فيه خيرهم وسعادتهم

إن مصر والعراق واليمن والحجاز وايران والأفغان وتركيا وفلسطين وسورية والهند والمغرب وغيرها كلها في موقف المترقب المنتظر ، ولا يدرى كثير منها عن موقف الآخر شيئا ، ولقد قالوا إن هناك سعيا جديا لانشاء وحدة عربية بين العراق والحجاز واليمن ومصر وسورية وفلسطين تعمل على استنقاذ هذه البلاد جميعا وتوحيد خطتها أمام الخطر الداهم الذى يهدد الجميع ، ولكنا لم نر بعد بوادر سعى جدى لهذه الغاية . وقيل إن هناك تفكيراً في تكوين وحدة عربية تركية تشمل هذه الدول ، ومنها تركيا وايران والأفغان ، وينضم اليها بقية البلدان الاسلامية ، فتعود بذلك الجامعة الاسلامية من جديد ، ولم نر كذلك بوادر سعى جدى كذلك .

لعل من خير العالم الاسلامى الآن أن يقف وقفته هذه حتى يتبين له وجه العمل المنتج المثمر الدائم ولا غضاضة في الانتظار مالم نستبن الطريق ، ولكن من واجبه مع هذا أن يستعد كل شعب من شعوبه بأسرع وأقوى ما يمكن لمواجهة الأحداث الطارئة ، وليستعده بنفسه بعيد ، ومن واجبه كذلك أن يتواصل ويتحد فقد انقضى عهد الدويلات الصغيرة ، ولم يبق صالحا للبقاء إلا الامبراطوريات العظيمة بعددها وعددها ومبادئها وحق قول الشاعر العربى قديم « وإنما العزة للكاثر » ومن واجبه كذلك أن يقدر نعمة الله عليه بنظام الاسلام الحنيف ومناهجه في اصلاح المجتمع ، ومن واجب العالم الاسلامى الآن أن تقدر كل أمة من أممه هذه الحقائق فتهب لتأسيس نهضة جديدة يكون شعارها النظام الاسلامى الاجتماعى في الداخل والتحرر من كل سلطان أجنبي في الخارج ، والتعاون التام بين الأمم الاسلامية في جميع أنحاء الارض ، كالى أمراء المسلمين وملوكهم وزعمائهم والى الشعوب الاسلامية نوجه القول ولله الأمر من قبل ومن بعد .

المنـــــار

منذ عشرين سنة

آخر رمضان سـنة ١٣٣٩

الحقائق الجلية في المسألة العربية

من مقال للعبرة والتاريخ للسيد محمد رشيد رضا رحمه الله

نصحنا للانكليز والفرنسيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحنا للانكليز قولا وكتابة فيما نعتقد أن فيه الخير لنا ولهم وللانسانية وكان آخر تلك النصائح مذكرة أرسلناها إلى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية منذ سنتين كاملتين بينا له فيها أن ما كنا نصحنا به لرجالهم بمصر قد ظهر صدقه وأن ما جروا عليه مع حكومتهم في المسألة العربية مخالفا له كان هو الخطأ — بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند - وأن انجلترا ستكون هي المغبونة بقسمة تراث العالم الاسلامي بين الحلفاء بعداوة الشرق وحسد الغرب لها وأن عداوة أكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقارا لهم بضعفهم ليس من العقل والحكمة لأنهم لا يكونون أضعف من ميكروبات الامراض والاوبئة — وأنهم سيكونون به اتحاداً اسلاميا يساعدهم فيه الروس والألمان يكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لعداوة أكثر شعوب أوربا — وأن الخير لأمتهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال

الشعوب العربية (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جميعا . .

ونصحنا لرجال فرنسا في بيروت بمثل ذلك بعد أن ذكرنا لهم ملخصه ولم نطلب منهم إلا استقلال سوريا وربح صداقة الأمة العربية كلها بذلك واتقاء ما يقع عليهم من الغبن بعداوتها ومنه أن سوريا لا تسلم لهم في المستقبل وقد قال لنا موسيو روبيردوكيه سكرتير الجنرال غورو أن هذا الرأي جيد وهو من المكنات دون الخيالات ولكنه يحتاج إلى تمحيص وتفصيل بين عقلاء الفريقين بكثرة البحث ولا سيما في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ونصحنا للشريف الأكبر — كما تقدم — ثم لنجله الأمير فيصل - فأما الأول فله خلق مطبوع معروف فسهل على مخاطبه أن يعلم ما يقبله ويجيء عليه ومالا يمكن أن يقبله وأما الثاني فقلما يعرف له رأي مستقر أو يثق مختبره بأنه أقنعه بشيء وإن كان غير المختبر له يظن أنه أقنعه بكل شيء للين عريكته ولطف معاشرته وكثرة مواتاته وقلة معارضته وكراهته مواجهة أحد بما يكره إلا إذا غلبه الغضب وهو سريع الفيئة بعد الغضب وقد عاشرته زهاء نصف سنة كنت ألقاه في أكثر أيامها ولم أقف له على عقيدة راسخة في السياسة إلا استحالة إخراج فرنسا وانجلترا من البلاد العربية الآن ووجوب العمل مع إحداهما وخدمة البلاد بمساعدتها في ظل وصايتها ، والاستعانة بعوادتها على تخفيف وطأتها على أنه لا يصرح بهذا تصريحا جليا - وهذه نظرية كل من واتوا الأجانب في هذا الطور

---

(١) إنما لقبناه هنا بالشريف لأنه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميرا مؤقتا لقسم من سوريا من قبل الحلفاء ثم ملكا عليها بنصب المؤتمر السوري العام وموافقة أعيان الشام ثم مهاجرا أو سائحا في أوربا ثم مرشحا من بريطانيا العظمى لدولة العراق

الذي نحن فيه كحقي بك العظم وداود بك عمون فلا أرى فرقاً بينهما وبين الأمير فيصل والأمير عبد الله وإن كان أتباع الأميرين يعدون هذين من الخائنين لأمتهم ووطنهم والأميرين من المحررين لها ولعلنا نكتب مقالا في ترجمة الشريف فيصل وسيرته في سوريا يجعل حقيقته ماثلة لكل قارىء

جاء الأمير فيصل سوريا من فرنسا (في ٢٣ ربيع الآخر سنة (١٣٣٨) ١٤ يناير (ك ٢ سنة ١٩٢٠) وهو يعتقد أنه باتفاقه مع كليمنصو على قبول الوصاية الفرنسية مع تخفيف شروطها قد خدم سوريا أجل خدمة ولكنه لم يستطع أن يقنع حزبه الخاص بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول أن يؤلف حزبا من المحافظين يستعين به على ذلك وكان ذلك حزب عبد الرحمن بك اليوسف الفرنسي النزعة الذي سمي بالحزب الوطني ولكنه لم يستطع مساعدته والاستعانة به بعد أن تعرف إليه وتنكر لحزبه ، وظل سلطان الحزب الأول عليه أقوى من سلطانه على الحزب على ما أوقع فيه من الشقاق فالحزب هو الذي منعه من العودة إلى أوربا وحمله على قبول اعلان استقلال سوريا وجعله ملكا عليها وأرضاه بجعل ملكها إرثا في ذريته وبجعل الراية الحجازية راية لسوريا مع زيادة نجم أبيض في الزاوية الحمراء التي هي رمز علم شرفاء مكة فيها وجعل القواعد التي بنى عليها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال قائمة على أساس الاعتراف بأنه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الحلفاء لأجل تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الذي كانت تنشده أحرارها وأرادوا أن يكون هذا حجة على الحلفاء ولذلك عززوه بتصريحات وزراء الحلفاء التي كانوا يفوهون بها في أيام الحرب كما تقدم بيانه من قبل ، وقد كان الواضعون لقرار المؤتمر من أعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الدخائل في هذه الشؤون إذ زالت تلك الظلال والغواشي التي كانت تحجبها عن أبصارهم ثم عرفوا كل أحد بعد رفض الحلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سوريا الجنوبية والشمالية . يدل على ذلك ما كان يلقي

فى المؤتمر السورى العام بدمشق من الخطب فى انكار تلك الأعمال والطعن فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزارتيه مما لم به بعد .

ولقد علم الذين قاموا بدعوة إعلان الاستقلال وتهيئة أسبابها ومقدماتها بعد ممارسة الحوادث أن فيصلا قائد للحلفاء موكول اليه حفظ الأمن فى المنطقة الشرقية إلى أن يفرغوا من إبرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد — وأنه قوة رسمية ومالية فان الانكليز كانوا يدفعون له راتبا وكانوا يعطونه حصة المنطقة الشرقية من جمرك حيفا وصار الفرنسيس يعطونه مثل ذلك من جمرك بيروت بعد المواددة ، وقطعوه عند المحادة ، وأنه يائس من الاستقلال التام الناجز وإن كان أولى من غيره بحبه ، وأنه لين سلس كان فى أول العهد يسير فى البلاد كما يشاء البريطانيون ثم جاءها أخيراً من فرنسا يدعو إلى الاتفاق مع الفرنسيس فأرادوا أن يستفيدوا بما أوتى من قوة وضعف بما أرادوا من اغتنام الفرصة الحربية التى نالتها المنطقة الشرقية باسمه وتحت قيادته باعلان الاستقلال التام لسوريا المتحدة بجميع مناطقها ليجعلوا الحلفاء تجاه أمر واقع بصفة مسالمة لهم معترفة بفضلهم وملكية قائد من قواد حلفهم، فان ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد وإلا فان حال البلاد معهم بعده لا يخشى أن يكون شراً مما كان قبله وذلك أنهم حينئذ ينفذون الاستعمار الذى سموه انتدابا بالقوة العسكرية فيكون وجودهم فيها مخالفاً للحقوق الطبيعية والاساسية ولمعاهدة الصلح الكبرى وما فيها من عهد عصبة الأمم المصرح فيه بأن البلاد المشروط فى استقلالها قبول الانتداب يجب أن يكون لأهلها الحق الأول فى اختيار الدولة المنتدبة وشكل الحكومة التى ترضاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون للبلاد الحق الذى لا يرد فى معارضتهم عند كل فرصة ممكنة . وأما إذا قبل الشعب الانتداب باختياره فانه يكون قد قتل نفسه بيده

مجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصفة نادرة المثال وبلغ أمر إعلانه للدول فجعله الحلفاء محلا للنظر وكان جواب انجلترا لفيصل أنها تعترف له بصفته حاكما على رأس حكومة مستقلة لكن يجب أن تقرر الصفة الرسمية فى مؤتمر رسمى ودعته إلى حضور مؤتمر (سان ريمو) فتردد أولا لان الرأى العام لم يرتح إلى سفره وفى مقدمته المؤتمر السورى الذى كان يلح عليه بوجوب الاستعداد للدفاع عن البلاد وتؤيده جميع الأحزاب ، ثم اقتنع الا كثرون باستحسان السفر بعد الحاح انجلترا به وقد طلب من الجنرال غورو فى ٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة تقله إلى أوربا فأجابه بأنه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه إلى مطالب طلبها منه من أهمها إباحة استعمال الخط الحديدى من رياق إلى حلب لنقل الجنود الفرنسية والذخائر الحربية وأنذره أنه إذا سافر قبل تنفيذ هذه المطالب من طريق آخر فان فرنسا تكون حرة فى أعمالها، ولم يقبل تفويض النظر فيها إلى لجنة مختلطة من العرب والفرنسيس والانجليز حسب الاتفاق مع الرئيس كلما نصبو .

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو فى ١٤ يوليو انذاره المعروف الذى صرح فيه بمطالبه الخمس وهى الاعتراف بالوصاية الفرنسية على سوريا بلا شرط ولا قيد وتسليم الخط الحديدى المذكور آنفاً للسلطة العسكرية الفرنسية ـ والغاء الخدمة العسكرية الاجبارية وجعل عدد الجيش المتطوع كما كان فى العام الماضى وتسريح سائر الجنود ـ ومعاقبة المجرمين المؤسسين للعصابات والمحرضين على فرنسا ـ وقبول ورق البنك السورى الذى أسسته فرنسا بجملة نقدا وطنيا ورسمياء وجعل آخر موعد لاجابة هذه المطالب نصف الليل الذى ينتهى به اليوم ١٨ من الشهر لم يكن فى وسع الملك فيصل المبادرة إلى إجابة هذه المطالب لأن المؤتمر

السوري العام والأحزاب السياسية كلها كانت غير راضية منه ولا من حكومته لعدم قيامها معه بما يجب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفاع عنه ولهذا اضطروه إلى إسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي ، ثم رأوا أن وزارة هاشم بك الأتاسي التي خلفتها لم تكن أقوى منها فحاولوا إسقاطها ، ولما شعروا بهذا الانذار الذي أعقبه الضعف والاهمال وسوء الادارة اشتد هياجهم وسخطهم وسرى الهياج إلى سائر طبقات الأهالي الذين اندفعوا إلى الاستعداد للدفاع عن البلد وصاروا يطعنون في الملك فيصل جهرا ويتحدثون بالايقاع به حتى أنه وضع من كان لديه من الجند الحجازي حول داره لحمايتها — وسعى إلى الجنرال غورو ملتمساً منه تعديل مطالبه فأبى —

وفي غرة ذي القعدة — ١٧ يوليو كتب إلى رئيس الوزارة بأن الملك يرغب أن ألقاه مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء ، فأجبنا الطلب وقابلناه مع وزرائه فشرح لنا الحرج الذي وصلت اليه حال البلاد وتهييج العوام بغير عقل وخذلان انجلترا له حتى لا يرجو منها أقل مساعدة كما أبرق اليه محمد بك رستم من لندن وأن للحكومة حجج على الجنرال غورو لا تستطيع الادلاء بها في أوربا وله عليها حجج بعضها حق وبعضها باطل ينشرها حيث شاء . ثم طلب من الأعضاء أن يكتب اليه كل منهم رأيه على حدته في كتاب مختومة وعاهدهم على أنه يعمل بها ولا يطلع أحدا عليها ، فانصرفوا وهو يحسب أنهم سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراحه خداعا يريد أن يحتج به على قبوله للمطالب الفرنسية ويجعل التبعة على المؤتمر .

ثم إن المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ يوليو — تموز) اجتماعا سريا غير رسمي تبارى فيه الخطباء في الطعن في الحكومة لاعتقادهم أنها قررت التسليم بمطالب الجنرال غورو ، ثم عقدوا جلسة رسمية اكتظ مكان المستمعين بحاضريها من الوجهاء ورؤساء الأحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالاجماع أن قرار المؤتمر التاريخي

المتضمن لاستقلال سوريا ووحدتها ورفض الهجرة الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد إذا نقض بعضه نقض كله، وأن كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يعتد بمعاهدة لا يقبلها المؤتمر — وقد طبع هذا القرار ونشر في العاصمة .

وفي اليوم التالي (٤ ذي القعدة ٢٠ يوليو) أصدر أمره بتأجيل عقد المؤتمر شهرين لأن المجالس النيابية تقفل في مثل هذه الحال الحربية ، وقد قرأ وزير الحربيـة الأمر على منبر المؤتمر وكان معه رئيس الوزارة وانصرفا واجمين ممتقعين . وكان بعض الأعضاء يريد عدم امتثال هذا الأمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر وأني مسرور به ولولاه لاقترحت على الأعضـاء أن يقرروا ذلك من تلقاء أنفسهم، ذلك بأن دمشق كانت في أشد الهياج والسخط على ملكها ووزارته سواء في ذلك الأحزاب والجماعات والأفراد وكلهم يرجون من المؤتمر ما لا قبل له به — وما ثم إلا إلزام الملك والوزارة برد إنذار الجنرال غورو والدفاع عن البلد إن هوجمت بغيا وعدوانا، أو إسقاطهم وإقامة حاكم عسكري مفوض (دكتاتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة ، ولا يوجد في البلد من هو أهل لنوط ذلك به والثورة الداخلية غير مأمونة وكل ما يترتب على ذلك من الغوائل يـكون حينئذ في عنق المؤتمر الذي لم يأت إثما ولا ادخر في الخدمة وسعا، وقد أصبحت الأمة كلها راضية منه بعد أن كادت الدسائس تغيرها عليه ، وأنني علمت أن التجنيد الاجباري الذي قررته الحكومة بضغط المؤتمر وإلحاحه قد كان عملا صوريا وأنها لم تقصد به إلا إيهام الأمة ما يرضيها وإيهام فرنسا ما يحملها على التساهل فيما تطلبه ويطلب منها !

انفض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجنرال غورو على قبول مواد إنذاره متصلة ، فلما أصر على قبولها كلها أمر الملك قبل كل شيء بتسريح

الجيش السورى من ثكناته ومواقعه الحربية وأهمها مضيق مجدل عنجر الحصين فى طريق جيش الجنرال غورو الزاحف على الشام فسرح الجيش بغير نظام فترتب على ذلك نهب الأسلحة والذخائر وإحداث ثورة فى شوارع دمشق وهاج الشعب هياجا شديدا وكثر التصريح فى الشوارع بالهتاف للمؤتمر وبسب الملك فيصل وأبيه والتحدث بخيانته ووجوب قتله ، وقد اضطرت الحكومة بمن بقى عندها من الجند لحفظ الأمن أن تقاوم الثورة بالسلاح حتى أنها استعملت المدافع الرشاشة فى ذلك وقتل كثيرون — قيل ٥٠ وقيل ٧٠ — وجرح كثيرون — قيل ١٥٠

قبلت الحكومة برياسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك ساقطة مع ملكها غير شرعية بقرار المؤتمر المذكور آنفا ، ثم أنها علمت فى اليوم التالى بتسريحها الجيش (وهو ٢١ يوليو) أن جنود الجنرال غورو زاحفة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبينه أن حجته على الزحف أن جواب القبول تأخر عن موعده وهو الساعة الثانية عشرة من نصف الليل وكان قد أصدر أمره للجيش بالزحف ولا يمكنه ايقافه بعد وقد احتل المواقع الحصينة كمجدل عنجر ـ وهى تقول إنما كان الذى تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لأمر التسليم بعد أن وصل اليه البلاغ الرسمى بقبول الشروط فى عاليه ، وأن سبب تأخر برقية التفصيل انقطاع السلك البرقى باستعمال الجيش الفرنسى له .

عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا أنهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط المخزية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين فى ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه ، بعد أن قالوا فى عدم إمكان قبولها ما قالوا من المبالغات وتبز فيصل من يلقبها بأقبح الالقاب — وعلموا أنهم خسروا كل شىء

وظهر لهم أن العقل والكياسة فى التسليم أن يكون آخر ما ينفذ من الشروط تسريح الجند — فصدر الامر لباقى الجيش بالتوقف عن الانسحاب فوقف قربى (خان ميسلون) ووقف الجيش الفرنسى الزاحف وراءه على بعد مرمى القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستئناف المفاوضة فى ايقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك الحصرى (وزير المعارف) فسافر إلى الجنرال غورو فلم يلق نجاحا .

وفى يوم الخميس (٦ ذى القعدة - ٢٢ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع المتطوعة وحثهم على الجهاد وكلم جميع الزعماء ورؤساء الاحزاب وبلغهم أنه أعلن الحرب رسميا ونشر ذلك فى الجرائد وصلى الجمعة فى يومها فى الجامع الاموى وصعد المنبر بعد الصلاة وحث الناس على الجهاد معه لحماية الدين والوطن — فقال كثير من الناس أنه يريد بهذا استعادة مكانته — وكان الناس فى هياج عظيم وإقبال على التطوع ، وبذل لكل ما يلزم للمدافعين من طعام وذخيرة — ولكن الوقت لم يعد يتسع لعمل مفيد .

ثم ذهب فيصل مساء الجمعة إلى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا أنه أرسل أمتعته الخاصة وذخائره إلى (درعا) وأن الحكومة أرسلت أوراقها ودفاترها اليها أيضا . ثم انه ذهب فى مساء السبت إلى محطة الكسوة بمن معه من وزرائه وخواصه ومنهم بعض الشبان وأرسل اليه طعام العشاء من دار عبد الرحمن بك اليوسف وذلك بعد انتهاء معركة خان ميسلون التى قتل فيها وزير حربيته يوسف بك العظمة وفرقت الطيارات شمل من كان معه من العسكر النظامى ويقال أنهم كانوا زهاء خمسمائة جندى . وعاد فى المساء جميل بك الالشى حاجبه الاول وكان ذهب مع موسيو كوس (الذى كان ضابط الارتباط الفرنسى فى دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البعثة الفرنسية للانتداب مدة من الزمن) إلى الجنرال غورو للاتفاق معه باسم الملك على صفة دخول دمشق وقد عاد معه فى سيارته

مبتهجا مسرورا .

وفى صباح يوم الاحد (٩ ذى القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نورى باشا السعيد فأخبرنى أن الجيش الفرنسى يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ ويعسكر فى (المزة) من ضواحى البلد وأن الملك يدخلها الساعة ١٠ ونصف ولكنه لم يدخلها إلا فى منتصف ليلة الاثنين والف وزارة جديدة من الموالين أو الميالين إلى فرنسا رئيسها علاء الدين بك الدوربى ، وقد كانت عودته إلى دمشق من الغرائب . ورأيت نورى باشا فى صباح الاثنين أيضا فأخبرنى بأن القائد الفرنسى قبل الوزارة الجديدة وأنهم لا يعترفون بالملك . فقلت له وكيف عدتم به إلى العاصمة ؟ . . قال لم يكن هذا رأيى وإنما هو رأى جماعته الذين ورطوه وفى مقدمتهم الدكتور فلان — وفى يوم الثلاثاء بلغته السلطة المحتلة وجوب الخروج من الشام قبل نصف الليل . بلغنى ذلك بعد العشاء فذهبت إلى داره لوداعه على ما كان وقع من الجفاء بيننا من قبل الانذار الفرنسى ، الذى لا علاقة له بالمودة الشخصية فوجدت فى الدار أفرادا من الشرطة بلغنى أنهم حرس على أثاث الدار لئلا يؤخذ شىء منها ! ؟ ومكثت معه نصف ساعة أعجبنى فيها صبره وأمله ، وكان ذلك فى الساعة الحادية عشرة ليلا وقد خرج بعد وداعى له بنصف ساعة وحمله قطار خاص عن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لى من كتابة كلمة فى هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذى كنت معجبا بما أوتى من الذكاء والنظام والهمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته معتمداً للحكومة العربية فى بيروت ، إلى أن عين وزيراً للحربية باقتراحى وسعيى مع بعض الاخوان : استبد يوسف بالعمل فى وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى عن رئيس الوزارة بل يعمى الامر الاعلى الملك فيما أظن

ولما اشتدت الأزمة سألته هل هو مستعد للدفاع ؟ قال نعم إذا وافق الملك وإذا خالفناه نخشى أن يلجأ إلى الأجانب ـ ولما عين يس باشا الهاشمي قائداً لموقع العاصمة عقب الانذار وأظهر للوزارة ما فيها من النقص أي على خلاف ما كان يقول ثم إنه وافق الوزارة على قرار التسليم بما طلب غورو — بعد هذا كله رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكلمته وحده كلاما شديدا وذكرته ببعض كلامه فقال ووجهه ممتقع كوجه الميت انني مذنب و أتحمل تبعة عملي وكدت البارحة انتحر من الغم فلا تزد علي. ولما خرج الى الدفاع بمن بقي معه من بقايا جيشه تزين ولبس ملابسه الرسمية ووطن نفسه على الموت ـ فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل ان يعيش ذليلا بل أراد ان يكفر بدمه عن ذنب التقصير المبني على الثقة والغرور

كان فشل هذه المدافعة بخان ميسلون أمرا جليا لا يجهله منه ولا مثلي ممن لا يعلم من الحرب شيئا ، ولذلك رغب إلى الكثيرون أن أخطب في المتطوعين وفي بعض المساجد في الحث على الدفاع فامتنعت ـ كما أبيت مراراً أن أخطب في الاحتفالات السياسية ـ وقلت لبعض الخواص أنني لا أغش أحدا ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لانه يضر الآن ولا ينفع، وقدنصحت للعاملين في كل شيء في وقته فلم يفد ـ على أن ما اندفعت اليه الامة من أمر الدفاع شريف ولا بد منه .

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة أن فيصلا كان يعتقد أن الوصاية على البلاد أمر مقضي وأنه لا يمكن إيجاد قوة وطنية تحفظ الاستقلال ، فكان لذلك يجتهد في إرضاء كل ذي مكانة وتأثير إلى أن يتم الحلفاء القرار الاخير الذي كان يرى أنه قادر على السعي إلى جعل وطأة الوصاية فيه خفيفة ، ولذلك لم يهتم بأمر الاستعداد

للدفاع بتنظيم قوى العشائر ولا بالجيش النظامي ولم يكن يعتقد أنه يهاجم هذه المهاجمة فلما هوجم لم يجد بدا من الخضوع - فهو لم يستعد للقتال ولو دفاعا وما اضطر اليه من إيجاد جيش دفاعي جيش منظم بادر إلى تسريحه عند الحاجة اليه وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفاوض في أمر التسليم وهو لا يزال يرى أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ بعدم الاستبداد لتنفيذ ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطئه وعمله مراراً في أوربا وبلغنا أنه يريد أن ينشر فيه كتاباً رسميا .

وأما زعماء الأمة الذين خالفوه فقد بينا أنهم علموا بعد طول الاختبار أن الدولتين شرعتا في تنفيذ ما اتفقتا عليه من استعمار بلادهم، فالأولى أن تقاومهم الامة بالحجة وبالدفاع عن نفسها إذا هاجموها بالقوة ليكون مركزهم فيها مركز المغتصب وقبول الانتداب يجعله شرعيا .

وأما الجنرال غورو فكانت سياسته إخراج الشريف فيصل من سوريا مهما تكن حاله لانه ناصبهم وأغرى العصابات والعشائر بهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين انجلترا التي يعدونه من صنائعها المخلصين لها - فهو قد حارب الأمير فيصلا القائد الحجازي الذي يعدّه أجنبيا عن سوريا لانقاذ سوريا من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية ، وعد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر في الأقوال والمكتوبات الرسمية .

الطور الأخير للمسألة العربية

إن ما تفاقم على الدولة البريطانية من معضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية وإعيائها دون حل عقدها وعقدة منها قد اضطرها

ى ترك جزيرة العرب لأمرائها مع اصطناع ما أمكن اصطناعه منهم والتمهيد
لتدخل الاقتصادى والفنى بالتدريج ثم الاستعانة بأوليائها ملك الحجاز وأولاده
ى سوريا وفلسطين والعراق بعد الاعراض عنهم وعدم المبالاة بصراخ جريدة
لقبلة بمكة بالاستعطاف والاستعانة والتذكير « بالعهود والوعود والنجابة
والحسيات البريطانية » وعد حليفها الملك الخروج عن مرضاتها مساويا للردة
والخروج عن رحمة الله تعالى وتمثله فى ندائها بقول الشاعر

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى

والغرض الاول من هذه السياسة والادارة المؤقتة تخفيف النفقات عن كاهل
دافعى الضرائب فى بريطانيا العظمى إلى أن تنحل عقد المشكلات ، وتؤسس وسائل
القوة فى داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة ، والثانى دفع إغارة العرب
من وراء الأردان على فلسطين ومسيعدتهم لأهلها على اليهود الصهيونيين والثالث
إخضاع العراق والاستعانة بحكومته الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من
مسلمى الشرق وبولشفيك الروس إذا أصروا على تنفيذ فكرة الجامعة الاسلامية
ومقاومة الاستعمار الانجليزى فى البلاد العربية والعجمية . وبلغنا أنهم أعادوا
الراتب الشهرى لملك الحجاز بعد دعوة ولده فيصل الأخيرة إلى لندن فجعلوه
١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء مستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مصر فى شهر مارس الماضى
ونظر فى مسألة حظائر الطيران فيها وقابل فيها الوفد العراقى الانجليزى الذى
استحضر لاجل الاتفاق معه على أمور العراق المالية والعسكرية ، ثم سافر إلى
فلسطين فآذن أهلها بدوام السلطة الانجليزية على البلاد وتنفيذها الوعد بلفور
بجعلها وطنا قوميا لليهود ، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز

وجعله حاكما لشرق الأردن بالتبع لحكومة فلسطين واستمداد السلطة من معتمدها السامي وأعطاه من القوة العسكرية والطيارات ما يمكنه من إخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما يراد بها وتأمين ما تنشئه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل القوة وأولها محطة التلغراف اللاسلكي وحظيرة الطيارات ، ويلي ذلك مد السكة الحديدية العسكرية من فلسطين إلى العراق وقد قرروا إعطاءه حصة جرك حيفا للداخلية وهى ١٣٠ ألف جنيه فى السنة

نختم المقال بالتفاؤل بالمآل

وأختم هذا المقال بقولى انى مؤمن يرى اليأس من روح الله والقنوط من رحمته كفرا ، وانى لا يمنعنى التشاؤم وسوء الظن فى الطامعين من عمل ولا سعى ، فأنا لا أزال أرجو إقناع الدولتين المقتسمتين لبلادنا الهاضمتين لحقوقنا بأن الخير لها وللمدنية والانسانية أن يتركوا أحرارا فى بلادنا حاكمين فى شعوبنا وأن يساعدونا على ما نريده من عمران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منه بالمنافع الاقتصادية والأدبية . ومن سوء الحظ أن كان سعيى السابق مع غلاة المستعمرين منهم ، وأرجو أن أوفق للسعى مع أحرار المنصفين منهم وهم ولله الحمد كثيرون .

وأود لو يعلم هؤلاء الأحرار حقيقة أمور الشرق من أحرار أهله ولا يكتفوا بالاذاعات السياسية الاستعمارية وما يختلقه أهلها من أقوال مديرى المخابرات لهم بل أود لو يعلم أحرار فرنسا والانكليز أن ملك الحجاز وأولاده لا يمثلون الأمة العربية بل السواد الأعظم من العرب ومن مسلمى الأرض غير راضين عنهم وأنه ليس من مصلحة فرنسا معاداة هذه الأمة فى هذا البيت منها ، ولا بجعلها خصما للترك ، وأنه لا يمكن أن تنال دولتهم عطف العالم الاسلامى معم وقلبه منها العرب وأود لو يعلم أحرار انجلترا ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يغتروا باستخدام

مستعمريهم لأهل هذا البيت ويظنوا أنهم هم الذين يخضعون لهم هذه الأمة ويرضونها باستعمار بريطانيا لبلادهم . على أن الأيام ستعلمهم ما لم يكونوا يعلمون

وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذى فهموا معناه لم يصر أمراً مقضيا ، وأن عصبة الأمم لن تكون العوبة بيد المستعمرين ، وأن الرجاء فى استقلالهم واستقلال أمثالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين على المستضعفين رجاء قوى يزيده العلم به والسعى اليه قوة ولا بقاء للعمران بدونه « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال »

وأود لو يعلم قادة الأمة العربية وكبراؤها أنهم لو جمعوا كلمتهم فى هذه الفرصة لاستوا لأنفسهم وحدة حلفية يحفظ بها استقلال كل منهم ويعود به مجد الامة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التى فاقت حضارة جميع الأمم بجمعها بين الرفاهة المقصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم أجابوا داعى شيطان التفريق وتعزيزه لهم بالمال والمآل « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » ولم يجيبوا داعى الوحدة وهو داعى الله تعالى الذى يدعوهم باسم الله تعالى لما يحييهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، أمام الدواهى الخارجية لاوقت فض مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم العصبية الدينية والمذهبية ، وليعتبروا باخوانهم الترك ، الذين قضت عليهم معاهدات الحرب بالزوال والمحق كيف تحولت حالهم بجمع الكلمة والدفاع عن البيضة ، إلى أن صار الحلفاء القاهرون لهم ولأحلافهم الذين كانوا أقوى وأعز منهم يعدونهم خطرا عليهم ، ويتسابقون إلى الاتفاق معهم أو التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذى جدد لهم الفخار ، ولم يوجد فى العرب إلا الزعيم الذى سجل عليهم الخزى والعار « فاعتبروا يا أولى الابصار »

(٢) المرأة المسلمة

أشرت في الكلمة السابقة الى أصول ثلاثة قررها الاسلام في شأن المرأة

(١) فهو يرفع منزلتها ويجعلها من الرجل وشريكة له في الحقوق والواجبات الانسانية العامة

(٢) وهو إذا فرق بينهما في شيء من هذا فانما ذلك نزولا على حكم الخصائص التي يمتاز بها كل منهما عن الآخر في تكوينه وفي مهمته

(٣) وأنه يسير الغريزة الجنسية بين الرجل والمرأة تسييرا حكيما فيصرفها إلى النافع ويضع لها الحواجز حتى لا تتعدى إلى الضار

هـذه هي الأصول التي راعاها الاسلام وقررها في نظرته إلى المرأة وعلى أساسها جاء تشريعه الحكيم كافلا للتعاون التام بين الجنسين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعينه على شئون الحياة

والكلام عن المرأة في المجتمع في نظر الاسلام يتلخص في هذه النقط

أولا ـ يرى الاسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هـذا ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا . وفي الآية الكريمة (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

وفي الحديث الصحيح « كلكم راع ومسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » أخرجه الشيخان من حديث عبد الله

ابن عمر رضي الله عنه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة) رواه الترمذي واللفظ له وأبو داود إلا أنه قال فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة

ومن حسن التأديب أن يعلمهن مالا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين وتاريخ السلف الصالح رجالاً ونساء وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادىء التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأم في تنظيم بيتها ورعاية أطفالها . وفي حديث البخاري رضي الله عنه « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه في دين الله تبارك وتعالى

أما المقالات في غير ذلك من العلوم التي لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته فليست المرأة في حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها في النافع المفيد

ليست المرأة في حاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة

وليست في حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولاً وأخيراً .

وليست المرأة في حاجة إلى التبحر في دراسة الحقوق والقوانين وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس .

كان أبو العلاء المعرى يوصي بالنساء فيقول

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ص تجزىء عن يونس وبراءة

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد ولا نريد ما يريد أولئك الغالون المفرطون في تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات ولكنا نقول علموا المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها تدبير المنزل ورعاية الطفل

ثانيا – التفريق بين المرأة وبين الرجل

يرى الاسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطرا محققا فهو يباعد بينهما إلا بالزواج ولهذا فان المجتمع الاسلامى مجتمع انفرادى لا مجتمع مشترك

سيقول دعاة الاختلاط إن في ذلك حرمانا للجنسين من لذة الاجتماع وحلاوة الأنس التى يجدها كل منهما في سكونه للآخر والتى توجد شعوراً يستتبع كثيراً من الاداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطباع الخ . وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقا أبدا إلى الآخر ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير في هذا الشأن ويجعله أمرا عاديا في النفوس (وحب شيء إلى الانسان ما منعا) وما ملكته اليد زهدته النفس .

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان ولا سيما وهى فكر توافق أهواء النفوس وتساير شهواتها ونحن نقول لهؤلاء مع أننا نسلم بما ذكرتم في الأمر الأول نقول لكم إن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأنس من ضياع الأعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس وتهدم البيوت وشقاء الأمر وبلاء الجريمة وما يستلزمه هذا الاختلاط من طراوة في الأخلاق ولين في الرجولة لا يقف عند حد الرقة بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة وكل ذلك ملموس لا يمارى فيه إلا مكابر .

كل هذه الآثار السيئة التى تترتب على الاختلاط تربى ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة قدرأ المفسدة أولى ولا سيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئا بجانب هذا الفساد .

وأما الأمر الثانى فغير صحيح وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل وقديماً قيل إن الطعام يقوى شهوة النهم والرجل يعيش مع امرأته دهرا ويجد الميل اليها يتجدد فى نفسه فاياله لا تكون صلته بها مذهبة لميله إليها والمرأة التى تخالط الرجال تفتن فى إبداء ضروب زينتها ولا يرضيها إلا أن تثير فى نفوسهم الاعجاب بها وهذا أيضاً أثر اقتصادى من أسوأ الاثار التى يعقبها الاختلاط وهو الاسراف فى الزينة والتبرج المؤدى إلى الافلاس والخراب والفقر . لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الاسلامى مجتمع فردى لا زوجى وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن . ولقد أباح الاسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطا شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف . ومن عدم الخلوة بأجنبى مهما كانت الظروف وهكذا

إن من أكبر الكبائر فى الاسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له ولقد أخذ الاسلام السبيل على الجنسين فى هذا الاختلاط أخذا قويا محكما .

فالستر فى الملابس أدب من آدابه

وتحريم الخلوة بالأجنبى حكم من أحكامه

وغض الطرف واجب من واجباته

والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره

والبعد عن الاغراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن الى نفسه وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهى أقرب الفتن إلى قلبها والآيات الكريمة والاحاديث المطهرة تنطق بذلك .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النور « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »

وفى سورة الأحزاب « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »

الى آيات أخرى كثيرة

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يعنى عن ربه عز وجل (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتى أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه) رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن الله وجوهكم » رواه الطبرانى .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال) رواه ابن ماجه والحاكم

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار أفرأيت الحمو قال الحمو الموت » رواه البخارى ومسلم والترمذى . والمراد بدخول الاحماء على المرأة الخلوة بها كما قال رسول الله ﷺ « لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان » .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يخلون أحدكم

بامرأة إلا مع ذي محرم » رواه البخاري ومسلم

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح كذا قال الحافظ المنذري

وروي عن أبي أمامة رضي الله عن رسول الله ﷺ قال « إياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما . ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له » رواه الطبراني

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ولفظهم قال النبي ﷺ « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية » أي كل عين نظرت اليها نظرة اعجاب واستحسان

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني وعنده « أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قوساً فقال لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقالت له امرأة في ذلك

فقال ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله قال الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي .

وعن عائشة رضي الله عنها (أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فتمعط شعرها فأرادوا أن يصلوها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال « لعن الله الواصلة والمستوصلة) وفي رواية (أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له وقالت إن زوجها أمرني أن أصل شعرها فقال لا « إنه قد لعن الموصولات » رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وفي رواية البخاري ومسلم « لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها »

وعن أبي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » رواه مسلم وغيره

وعن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه) رواه أبو داود وقال هذا مرسل وخالد بن دريك لم يدرك عائشة .

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني أحب الصلاة معك قال قد علمت أنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

وليس بعد هذا البيان بيان ومنه يعلم أن ما نحن عليه ليس من الاسلام في شيء فهذا الاختلاط الفاشي بيننا في المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة وهذا الخروج إلى الملاهي والمطاعم والحدائق وهذا التبذل والتبرج الذي وصل إلى حد التهتك والخلاعة كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الاسلام بأدنى صلة ولقد كان لها في حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار .

يقول كثير من الناس إن الاسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الأعمال العامة وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا فأتوني بنص يحرم ذلك . ومثل هؤلاء مثل من يقول إن ضرب الوالدين جائز لأن المنهي عنه في الآية أن يقال لهما أف ولا نص على الضرب .

إن الاسلام يحرم على المرأة أن تكشف من بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها ويحبب إليها الصلاة في بيتها ويعتبر النظرة سهما من سهام ابليس وينكر عليها أن تحمل قوسا متشبهة في ذلك بالرجل أفيقال بعد هذا إن الاسلام لا ينص على حرمة مزاولة المرأة للأعمال العامة ؟

إن الاسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هي المنزل والطفل فهي كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها الأسري وهي كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها وهي كأم يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء وأن تتفرغ لهذا البيت

فهى وبته ومدبرته وملكته ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه فاذا كان من الضروريات الاجتماعية ما يلجىء المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها فان من واجبها حينئذ أن تراعى هذه الشرائط التى وضعها الاسلام لابعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها لا أن يكون هذا نظاما عاما من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه . والكلام فى هذه الناحية أكثر من أن يحاط به ولا سيا فى هذا العصر الميكانيكى الذى أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية فى كل شعب وفى كل دولة .

والاسلام بعد ذلك إداب كريمة فى حق الزوج على زوجه والزوجة على زوجها والوالدين على أبنائهما والابناء على والديهم وما يجب أن يسود الاسرة من حب وتعاضد على الخير وما يجب أن تقدمه للامة من خدمات جلى مما لو أخذ الناس بهم لسعدوا فى الحياتين ولفازوا بالسعادتين .

الى الاخ الاستاذ السيد عبد الرحمن عاصم

من تحرير المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فلا يسع تحرير المنار إلا شكركم أجزل الشكر على موالاتكم إياه بارشاداتكم القيمة كرجل خبر مهمة تحرير المنار زهرة عمره .

ويطلب اليكم مع هذا الشكر أمورا أنتم خير من يعمل على اجابتها

أولا — مواصلة هذه الارشادات والكتابات النافعة المفيدة

ثانيا — مراجعة هذه الاعداد التى صدرت وابداء ملاحظاتكم عنها جملة لتنشر ان شاء الله فى أول عدد من السنة السادسة والثلاثين وما يليه .

ثالثا — موافاتنا بترجمة السيد الوالد الكامل رحمه الله

ونعتذر اليكم لضياع ما بعثتم به من ذلك الظرف القاهر مع السلام عليكم ورحمة الله

بيان الحكومة المصرية

عن سياستها الداخلية والخارجية بدار النيابة

ووفاة رئيس مجلس الوزراء المصرى

« حسن صبرى باشا »

كان يوم الخميس الرابع عشر من شهر شوال موعدا لافتتاح دار النيابة فاجتمع النواب والشيوخ وأخذ رئيس الحكومة يلقى بيانه عن سياستها الداخلية والخارجية أمامهم وبين يدى « الملك » وفجأة أغمى عليه وأسلم الروح بعد قليل ، وتوفى مأسوفا عليه من جميع عارفيه .

ولقد كان « حسن صبرى باشا » معروفا بالتمسك بأهداب الدين الحنيف حريصا على أداء فرائضه لم يتهاون بأمر الصلاة ولم يتذوق إطعام الخمر ولم يصرف أوقاته فيما يصرفها فيه كثير من المترفين فى هذا العصر وكان معروفا بالصراحة وصفاء النفس لا يضمر لأحد كيدا ولا يحقد على أحد ، فنسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة ، وفيما يلى بيان الحكومة المصرية المعروف بخطبة العرش وقد أتم إلقاءه رئيس مجلس الشيوخ .

خطاب العرش

حضرات الشيوخ حضرات النواب ،

أحييكم أجمل تحية وأسأل الله لكم فى مهمتكم توفيقا تزداد به الأمة قوة وتعتز به اتحاداً يكفل خير الوطن واستقلاله وأمنه وسلامته :

حضرات الشيوخ حضرات النواب :

لقد وقفت مصر من الحرب التى تستعر نارها ، وبعد لهيبها الآن قريبا وشرقا موقفاً أرادته الأناة ، واقتضته الحكمة ، وأدى اليه الحرص الأكيد على سلامة البلاد والوفاء بالعهد ، فنفذت معاهدة الصداقة والتحالف مع بريطانيا العظمى بنصها وروحها تنفيذ إخلاص وصدق ، وعملت على أن تكون علاقاتها مع سائر الدول فى غير ما أثرت فيه الحرب علاقات مودة وصفاء ، وأقامت تنظر إلى تطورات الحوادث بعين اليقظة واثقة بنفسها مطمئنة إلى حليفتها حريصة على سيادتها واستقلالها محتاطة لدره كل ما يمسها عاملة على أن تظل رغم تقلب الأحوال الدولية آمنة محتفظة بكيانها .

ولا تزال هذه السياسة التى أقررتموها خلال الدورة البرلمانية السابقة والتى اتجهت اليها إرادة الأمة سياسة حكومتى وهى عظيمة الرجاء فى أن تؤدى هذه السياسة خير ثمراتها وأن يتم لمصر بفضلها كل ما ترجوه وتصبو إليه .

وقد رأت حكومتى أن معالجة ما نشأ عن الحرب من اضطراب فى شؤون البلاد الاقتصادية خير كفيل بنجاح هذه السياسة فواجهت الحالة بكل ما استطاعت من وسائل والفت فى حليفة مصر العظمى العون الصادق على ما أرادت واتفقت معها على شراء محصول القطن الجديد ونظمت معها السوق المالية ، وبذلك استقرت المعاملات فلم يكن للتقلبات التى حدثت فى الخارج كبير الأثر فى مصر .

واتجهت حكومتى إلى صيانة الاقتصاد الأهلى وتشجيع الانتاج الداخلى فى شتى نواحيه ، فكان من أثر ذلك كله أن عادت دورة التعامل فى أنحاء البلاد على نحو اطمأن الجميع اليه . وزاد فى طمأنينتهم ما أبدته حكومتى من حرص على تموين البلاد بكل ما هو ضرورى لها فى الظروف الاستثنائية الحاضرة .

ولم تصرف ظروف الحرب حكومتى عن العمل لاستكمال استقلال البلاد ولا عن اضطلاعها بأعباء الاصلاح فيها . فلقد أقر البرلمان فى الدورة الماضية الاتفاق الذى الغى صندوق الدين كما عاون الحكومة بتأييده لها فيما نهضت به من أعباء

الإصلاح في حدود طاقة الخزينة التي تأثرت تأثراً محسوساً بالأحوال العالمية الحاضرة .

وتجرى الحكومة في المستقبل على الخطة العملية التي جرت عليها حتى الآن وهي واثقة من معاونتكم وتأييدكم كي يتصل الاصلاح في مرافق الدولة كلها وتظل البلاد آمنة مطمئنة في هذا الدور الدقيق من تاريخ العالم

حضرات الشيوخ . حضرات النواب

لقد كانت الحكمة رائد الأمة المصرية في جميع أحوالها وكان حرصها على استقلال الوطن واستمساكها به واتحادها في سبيله أمنع سياج له وأعز ذخيرة لديه وأنتم ممثلو الأمة ، أولئكم ثقتها وحملتكم أمانتها فانهضوا بالأمانة وحققوا ثقة عاملين بحكمة الأمة وحرصها حتى يستقيم ميزان العدل والأمن والطمأنينة في البلاد .

لقد وفت مصر بعهودها وحافظت على طيب العلاقات مع سائر الدول في الخارج فتخطت البلاد خلال الشهور التي انقضت منذ كانت الحرب الحاضرة أدق الظروف وأعصب الأوقات

ولي عظيم الرجاء في أن تظل الحكمة رائدنا ، وأن يصبح العزم صادق وحدتنا

حفظ الله وطننا العزيز بعنايته وشمله برعايته ووفقنا جميعاً في خدمته ليعز جانبه وتعلو كلمته ، إنه سميع مجيب

وقد أرسلت مقاليد الحكومة المصرية إلى صاحب الدولة حسين سري باشا لتشكيل الوزارة وقد ألقت في جلسة البرلمان بيانا لم يخرج عن سابقه ، بحذافيره تقريبا

بيان الوزارة في البرلمان

ألقى صاحب الدولة حسين سري باشا رئيس الوزراء في مجلس الشيوخ والنواب مساء الاثنين ٢٥ نوفمبر البيان الخاص بسياسة الوزارة وهذا نصه :

حضرات النواب المحترمين :

استطاعت الوزارة السابقة أن تتغلب على دقة الأحوال التي تحيط بنا ، وعلى الظروف العصيبة التي يجتازها العالم وتجتازها بلادنا ، لأنها اعتمدت في رسم السياسة التي أدت إلى هذه الغاية ، والتي حازت الرارك وتأييدكم على ما اختص به شعب مصر المجيد من اناة ووفاء وصدق عزم وعلى ما أخذتم به حضراتكم في هـذا المجلس من حكمة وبعد نظر وحسن تقدير .

ثم كانت الوطنية المصرية التي أثبتت على الأيام سموها وقوتها خير كفيل بتعاون أبناء الأمة وأحزابها جميعاً خارج البرلمان وداخله تعاوناً صادقاً في توجيه البلاد إلى ما يحقق مصلحتها ويحمي سلامتها واستقلالها . وإني لأرجو أن توافق الوزارة التي أتشرف برياستها في تنفيذ سياسة الوزارة السابقة ، كما رسمت في خطاب العرش الافتتاحي

على حضرتكم . فهذا الخطاب برنامجنا وهو البيان الذى نقدمه اليكم املين معاونتكم لنا على تنفيذه فلا تزال دقة الأحوال الدوليه تقتضنا اليقظة والحزم ، ولا تزال سلامه الوطن بحاجه إلى وحدة الامه واجماع كلمتها .

سدد الله خطانا ، وألهمنا جيما الحكمة والرشاد .

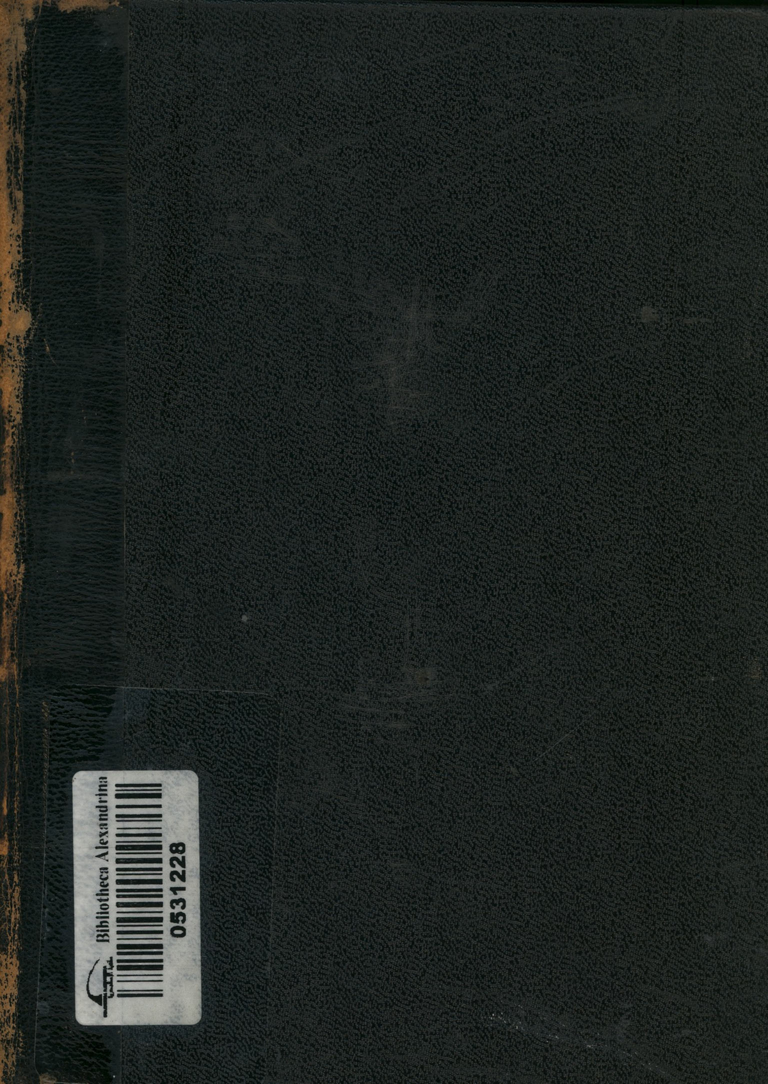
ونحن نسأل الله أن يلهم حكومات الشعوب الاسلامية فى هذه الظروف الدقيقة رشدها وأن يوفقها لخير البلاد والعباد

من كلام الامام على

فى نهج البلاغة

اعلموا عباد الله ، أن عليكم رصداً من أنفسكم ، وعيوناً من جوارحكم ، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم ، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج ، وإن غداً من اليوم قريب .

يذهب اليوم بما فيه ، ويجيء الغد لاحقاً به ، فكأن كل امرىء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته ومخط حفرته ، فياله من بيت وحدة ، ومنزل وحشة ، ومفرد غربة ! وكأن الصيحة قد أتتكم ، والساعة قد غشيتكم ، وبرزتم لفصل القضاء ، قد زاحت عنكم الأباطيل ، واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق ، وصدرت بكم الأمور مصادرها ، فاتعظوا بالعبر ، واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر .


Bibliotheca Alexandrina
0531228